

UNIVERSAL
LIBRARY

OU-234137

UNIVERSAL
LIBRARY

كِتَاب

المحاسن والاضداد

٢٩٩

ع.

١٩٢٣



تأليف

* أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري *

(امام أهل الأدب المتوفى سنة ٢٥٥ هـ)

* الطبعة الأولى *

سنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م

* على نفقة *

(مصطفى فهمي الكتبي بجوار الجامع الأزهر بمصر)

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله أجمعين

قل أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : إني ربما ألفت الكتاب المحكم
المتقن في الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والأحكام
وسائر فنون الحكمة وأنسبه الى نفسي فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من
أهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته ونصاحته . وأكثر
ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفاً لملك معه المقدرة على التقديم
والتأخير والخط والرفع والترهيب والترغيب فنههم يحتاجون عند ذلك
اهتياج الابل المغتامة فان أمكنتهم الحيلة في إسقاط ذلك الكتاب عند
السيد الذي ألف له فهو الذي قصدوه وارادوه وإن كان السيد المؤلف فيه
الكتاب نحريراً نقاباً ونقريساً بليغاً وحاذقاً فطناً وأعجزتهم الحيلة سرقوا
معاني ذلك الكتاب وألقوا من أعراضه وحواشيه كتاباً وأهدوه الى ملك
آخر ومثوا اليه به وهم قد ذموا وثلبوه لما رأوه منسوباً إلى وموسوماً بي

وربما ألفت الكتاب الذى هو دونه فى معانيه وألفاظه فأترجمه باسم غيرى وأحييه على من تقدمنى عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعنابى ومن أشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب فيأتينى أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذى كان أحكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته على ويكتبونه بخطوطهم ويصرونه إماماً يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتأدبون به ويستعملونه ألفاظه ومعانيه فى كتبهم وخطاباتهم ويروونه عنى لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة يأتهم بهم قوم فيه لأنه لم يترجم باسمى ولم ينسب الى تأليفي . وهذا كتاب وسمته ﴿ بالחסن والاضداد ﴾ لم أسبق الى نخاته ولم يسألنى أحد صنعه ابتدأته بذكر محاسن الكتابة والكتب وختمته فى ذكر شيء من محاسن الموت والله يكلؤه من حاسد اذا حسد

﴿ محاسن الكتابة والكتب ﴾

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أزدشير وبناء اصطخر وبناء المدائن والسدير والمدن والحصون . ثم إن العرب شاركت العجم فى البنيان وتفردت بالكتب والأخبار والشعر والآثار فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مارب وقصر مارد وقصر شعوب والأبلى الفرد وغير ذلك من البنيان . وتصنيف الكتب أشد تقيدا للمآثر على ممر الأيام والدهور من البنيان لأن البناء لا محالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق يقع من قرن الى قرن ومن أمة الى أمة فهو ابدى جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ فى تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير

وكانت العجم تجعل الكتاب في الصخور ونقشاً في الحجارة وخلقاً مركبة في البنيان فربما كان الكتاب هو الناقى وربما كان هو المحفور اذا كان ذلك تاريخاً لأمر جسيم أو عهداً لأمر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو إحياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن المشقر وعلى الأبلق الفرد وعلى باب الرها يعمدون الى المواضع المشهورة والأماكن المذكورة فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدثور وأجدر أن يراه من مرّ به ولا ينسى على وجه الدهور . ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغاب سلطان النسيان سلطان الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع استدكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع . ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودوت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم ندركه إلا بهم لقد نجس حظنا منه وأهل العلم والنظر وأصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج المال وأرباب النحل وورثة الأنبياء وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الضرفاء والصالحاء وكتب الملاهي وكتب أعوان الصالحاء وكتب أصحاب المراء والخصومات وكتب السخفاء وحمية الجاهلية . ومنهم من يفرط في العلم أيام خموله وترك ذكره وحدائه سنة . ولولا جياذ الكتب وحسانها لما تحررت هم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى حب الكتب وأنفت من حال الجهل وأن يكونوا في غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى أن يكون لا يمكن الإخبار عن مقداره إلا بالكلام الكثير . وسمعت محمد بن

الجهنم يقول : اذا غشيتي النعاس في غير وقت النوم تناولت كتاباً فأجد اهتزازي للفوائد الاريحية التي تعتريني من سرور الاستنباه وعز التبين أشد إيقاظاً من نهيق الحمار وهدّة الهدم فاني اذا استحسنت كتاباً واستجدته ورجوت فائدته لم أؤثر عليه عوضاً ولم أبغ به بدلاً فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله .

وقال ابن داجة : كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فزله مقبرة من المقابر وكان لا يزال في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال : لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة . وأهدى بعض الكتّاب الى صديق له دفترًا وكتب معه : هديتي هذه أعزك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد لا تفسدها العواري ولا تحلقها كثرة التقلب وهي أنس في الليل والنهار والسفر والحضر تصالح الدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطاوع ونديم صادق . وقال بعض الحكماء : الكتب بسايتين العلماء . وقال آخر : الكتاب جليس لا مؤنة له . وقال آخر : الكتاب جليس بلا مؤنة . وقال آخر : ذهبت المكارم إلا من الكتب (قال الجاحظ) وأنا أحفظ وأقول : الكتاب نعم الذخر والعقدة والجليس والعمدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الأيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربية ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوفيّر والنزيل . والكتاب وعاء مليّ علماً وظرف حشي ظرفاً وإناء شحن مزاحاً إن شئت كان أعياناً من باقل وإن شئت كان أبغ من سحبان وائل وإن شئت سرّتك نوادره وشجّتك مواعظه ومن لك

بواعظ مناهٍ وبناسك فائق وناطق أخرس ومن لك بطبيب اعراي
 ورومي هندي وفارسي يوناني ونديم مولد ونجيب ممتع ومن لك بشيء
 يجمع الأول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضع
 والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده . وبعد فما رأيت بستانا
 يحمل في رذن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن
 الأحياء ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى آمن
 من الأرض وأكتم للسّر من صاحب السّر وأحفظ للوديعه من أرباب
 الوديعه ولا أعلم جارا آمن ولا خليطاً أنصف ولا رفيقاً أطوع ولا معلماً
 اخضع ولا صاحباً أظهر كفاية وعناية ولا اقلّ إملا لا ولا إراما ولا
 أبعد من مرء ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن
 قتال من كتاب ولا أعظم بيانا ولا أحسن موآاة ولا أعجل مكفأة ولا
 شجرة أطول عمرا ولا أطيّب ثمرا ولا أقرب مجتنى ولا أسرع إدراكا
 ولا أوجد في كل إبان من كتاب ولا أعلم نتاجا في حدأة سنه وقرب
 ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده يجمع من السير العجيبة والعلوم
 الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومخود الأذهان اللطيفة ومن الحكم
 الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والأخبار عن القرون
 الماضية والبلاد النازحة والأمثال السائرة والأمم البائدة ما يجمعه كتاب
 ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غيبا وورده خمسا وإن شئت لزمتك
 لزوم ظلك وكان منك كبعضك . والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك
 والصديق الذي لا يقلبك والرفيق الذي لا يملك والمستمع الذي لا يستزيدك
 والجار الذي لا يستبطنك والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك

بالملق ولا يعاملك بالمرء ولا يخذلك بالنفاق . والكتاب هو الذى إن نظرت فيه أطل إمتاعك وشحذ طبعك وبسط لسانك وجود بيانك ونغم ألفاظك وبجح نفسك وعمّر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصدقة الملوك يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفى السفر طاعته فى الحضر وهو المعلم إن افتقرت اليه لم يحقرك وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وإن عزلت لم يدع طاعتك وإن هبت ريح أعدائك لم ينقلب عليك ومتي كنت متعلقاً منه بأذى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء . وإن أمثل ما يقطع به الفراغ نهارهم وأصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظري كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد فى تجربة وعقل ومروءة وصون عرض وإصلاح دين وتخير مال وربّ صنعة وابتداء إنعام . ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه اليك إلا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع ما فى ذلك من التعرض للحقوق التى تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور ألفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الرديئة وجهاتهم المذمومة لكاف فى ذلك السلامة والغنيمة وإحراز الأصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن فى ذلك إلا انه يشغلك عن سخط المني واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشهيه لقد كان له فى ذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم المنّة . وجملة الكتاب وإن كثروا فليس مما يملّ لأنه وإن كان كتاباً واحداً فإنه كتب كثيرة فى خطابه والعلم بالشريعة والأحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير . وقال مصعب بن الزبير : إن الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويكتبون أحسن ما يسمعون فإذا أخذت الأدب نخذه من أفواه الرجال فإنك لا ترى

ولا تسمع إلا مختاراً ولو لؤوا منظوما . وقال لقمان لابنه : يا بني نافس في طاب العلم فانه ميراث غير مسلوب وقرين غير مغلوب ونفيس حظ من الناس وفي الناس مطلوب . وقال الزهري : الأدب ذكر لا يحبه إلا الذكور من الرجال ولا يبغضه إلا مؤنثهم . وقال : اذا سمعت ادباً فاكْتَبْهُ ولو في حائط وقال منصور بن المهدى للمأمون : أychسن بما طاب العلم والأدب . قال : والله لأن أموت طالباً للأدب خير لى من أن أعيش قانعاً بالجهل . قال : فالى متى يحسن بى ذلك . قال : ما حسنت الحياة بك .

✽ ضده ✽

الحديث المرفوع : رحم الله عبداً أصاح من لسانه . وكان الوليد بن عبد الملك لحنه فدخل عليه أعرابي يوماً فقال : أنصفنى من ختنى يا أمير المؤمنين . فقال : ومن ختنك . قال : رجل من الحلى لا أعرف اسمه . فقال عمر بن عبد العزيز : إن أمير المؤمنين يقول لك من ختنك . فقال : هو ذا بالباب . فقال الوليد لعمر : ما هذا ؟ قال : النحو الذي كنت أخبرتك عنه . قال : لا جرم فانى لا أصلى بالناس حتى أتعلمه * قال وسمع أعرابى مؤذناً يقول : أشهد أن محمداً رسول الله فقال : يفعل ماذا * قال وقال رجل لزياد : أيها الأمير إن أبينا هلك وإن أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا . فقال زياد : ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من ميراث أبيك فلا رحم الله أباك حيث ترك ابناً مثلك * وقال مولى لزياد : أيها الأمير احذوا لنا همار وهش . فقال : ما تقول . فقال : احذوا لنا إيرا . فقال زياد : الأول خير من الثانى * قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز فجعلا

يلحنان فقال الحاجب : فما فقد أوزيتما أمير المؤمنين . فقال عمر للحاجب :
 أنت والله أشد إيداءً منهما * قال وقال بشر المريسى وكان كثير اللحن :
 قضى لكم الإمبر على أحسن الوجوه وأهنؤها . فقال القاسم التمار : هذا
 على قوله

إِنَّ سُلَيْمَنِي وَاللَّهِ يَكْلَوُهَا ضَنْتُ بَشْيءَ مَا كَانَ يَرْزَوُهَا

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر * قال وكان زياد النبطي شديد
 اللسنة وكان نحويا فدعا غلامه ثلاثاً فلما أجابه قال : من لدن دأوتك الى
 أن ديتني ما كنت تصناً . يريد دعوتك وجثنتي وتصنع * ومرّ ماسرجويه
 الطبيب بمعاذ بن مسلم فقال : يا ماسرجويه إني لأجد في حاتي بحجاً . قال :
 هو من عمل بلغم . فلما جاوزه قال : تراني لا أحسن أن أقول بلغم ولكن
 قال بالعربية فأجبتة بضدها

* محاسن المخاطبات *

حكوا عن ابن القرية أنه دخل على عبد الملك بن مروان فبينما هو عنده
 إذ دخل بنو عبد الملك عليه فقال : من هؤلاء الفتية يا أمير المؤمنين . قال :
 ولد أمير المؤمنين . قال : بارك الله لك فيهم كما بارك لأبيك فيك وبارك لهم
 فيك كما بارك لك في أبيك . قال فشحن فاه درّاً * قال وقال عمارة بن حمزة
 لأبي العباس وقد أمر له بمجوهر نفيس : وصلك الله يا أمير المؤمنين وبارك
 فوالله لئن أردنا شكرك على انعامك ليقصرن شكرنا عن نعمتك كما قصر الله
 بنا عن منزلتك * قيل ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلي على الرشيد فقال
 مالك . قال :

سَوَامِي سَوَامُ الْمُكَثَرِينَ تَجَمَّلاً وَمَالِي كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلُ
وَأَمْرَةٍ بِالْبُخْلِ قُلْتُ لَهَا أَقْصِرِي فَذَلِكَ شَيْءٌ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَحْرَمُ الْغَنَى وَرَأَيْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلُ
أَرَى النَّاسَ خُلَّانَ الْجَوَادِ وَلَا أَرَى بَخِيلًا لَهُ فِي الْعَالَمِينَ خَلِيلُ

وقال الرشيد : هذا والله الشعر الذي تحت معانيه وقويت أركانه ومبانيه
ولذ على أفواه القائلين وأسماع السامعين يا غلام احمل اليه خمسين ألف
درهم . قال اسحاق : يا أمير المؤمنين كيف أقبل صلتك وقدمت شعري
بأكثر مما مدحتك به . قال الأصمعي : فعلمت انه أريد للدرهم مني *
قال ودخل المأمون ذات يوم الديوان فنظر الى غلام جميل على أذنه قلم فقال
من انت . قال : أنا الناشئ في دولتك المنتقب في نعمتك المؤمل لخدمتك
الحسن بن رجا . فقال المأمون : بالاحسان في البديهة تتفاضل العقول
يرفع عن مرتبة الديوان الى مراتب الخاصة ويعطى مائة ألف درهم تقوية
له * قال ووصف يحيى بن خالد الفضل بن سهل وهو غلام على الجوسية
للرشيد وذكر أدبه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى المأمون فقال ليحيى
يومئذ : أدخل الى هذا الغلام الجوسي حتى أنظر اليه فأصله . فلما مثل
بين يديه ووقف تحير فأراد الكلام فأرتج عليه فأدركته كبوة فنظر الرشيد
الى يحيى نظرة منكرة لما كان تقدم من تقريظه اياه فانبعث الفضل بن سهل
فقالا : يا أمير المؤمنين ان من أبين الدلائل على فراهة المملوك شدة افراط
هيئته لسيد . فقال له الرشيد : أحسنت والله لئن كان سكوتك لتقول هذا
انه لحسن ولئن كان شيء أدركك عند انقطاعك انه لأحسن وأحسن ثم

جعل لا يسأله عن شيء الا رآه فيه مقدماً فضمه الى المأمون * قال وقال
الفضل بن سهل للمأمون وقد سأله حاجة لبعض أهل بيوتات دهاقين
سمرقند وكان وعده تعجيل انفاذها فتأخر ذلك : هب لوعدك مذكرا من
نفسك وهني سائلك حلاوة نعمتك واجعل ميلك الى ذلك في الكرم
حشاً على اصطفاء شكر الطالبين تشهد لك القلوب بحقائق الكرم والألسن
بنهاية الجود . فقال : قد جعلت اليك اجابة سوء الى غنى بما ترى فيهم وآخذك
في التقصير فيما يلزم لهم من غير استثمار أو معاودة في اخراج الصكاك من
احضر الأموال متناولاً . قال اذا لا تجدى معرفتي بما يجب لأمر المؤمنين
الهناء به بما يديم له منهم حسن الثناء ويستمد بدعائهم طول البقاء * وقال
الفضل بن سهل للمأمون يا أمير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة لوجوه خدمك
عن اراقة مائها في غضاضة السؤال . فقال والله لا كان ذلك الا كذلك *
قال ودخل العتابي على المأمون فقال اخبرت بوفاتك فغممتني ثم جاءني وفادتك
فسرتني . فقال يا أمير المؤمنين كيف أمدحك أم بماذا أصفك ولا دين
الابك ولا دنيا الا معك . قال ساني ما بدا لك . قال يداك بالعطية أطلق
من لساني بالمسئلة * قال وقدم السعدى أبو وجزة على المهلب بن أبي صفرة
فقال أصاح الله الأمير اني قد قطعت اليك الدهناء وضربت اليك آباط
الابل من يثرب . قال فهل أتيتنا بوسيلة أو عشرة أو قرابة . قال لا ولكني
رأيتك لحاجتي أهلاً فان قمت بها فأهل ذلك وان يحل دونها حائل لم أذم
يومك ولم أياس من غدك . فقال المهلب يعطى ما في بيت المال . فوجد
مائة ألف درهم فدفعته اليه فأخذها وقال

يا مَنْ على الجودِ صاغَ اللهُ راحتهُ فليس يُحسِنُ غيرَ البذلِ والجودِ
 عَمَّتْ عطايَاكَ مِنَ الشَّرْقِ قاطِبةً فانتَ والجودُ منَحوتَانِ مِنْ عودِ
 وقد يجب على العاقلِ الراغبِ في الأدبِ أن يحفظَ هذهَ المحاطباتِ ويدمنَ قراءتها . وقد قال الأصمعي

أما لَوْ أَعَى كُلُّ مَا أَسْمَعُ وأحفظُ مِنْ ذاكِ ما أجمعُ
 ولم أَسْتَفِدْ غيرَ ما قد جَمَعْتُ لَقِيلَ أنا العالمُ المُتَمِّعُ
 ولكنَّ نَفْسِي إلى كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ تُسَمِّعُهُ تَنْزِعُ
 فلا أنا أحفظُ ما قد جَمَعْتُ ولا أنا مِنْ جمعه أَشْبِعُ
 وأتَعَدُّ لِلْجَبَلِ في مَجْلِسٍ وَعِلْمِي في الكُتُبِ مُسْتَوْدِعُ
 وَمِنْ يَكُ في عِلْمِهِ هَكَذَا يَكُنْ ذَهْرُهُ الْقَهْقَرَى يَرْجِعُ
 يَضِيعُ مِنَ الْمَالِ ما قد جَمَعْتُ وَعِلْمُكَ في الكُتُبِ مُسْتَوْدِعُ
 إذا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا فَجَمْعُكَ لِّلْكِتَابِ ما يَنْفَعُ

وقال بعضهم الحفظ مع الاقلال أمكن وهو مع الاكثار أبعَد وتغيير الطبائع
 زمن رطوبة الغصن أقبل . وفيها قول الشاعر

لُفْتُني هُوَ أَهْأَقْبَلُ أَنْ أَعْرِفَ الْهُوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

وقيل العلم في الصغر كالنقش في الحجر والعلم في الكبر كالعلامة على المدر .
 فسمع ذلك الأحنف فقال الكبير أ كثر عقلا ولكنه أ كثر شغلا
 كما قال

وإنَّ مَنْ أَدْبَتَهُ في الْحَسْبِ كالْعُودِ يُسْقَى الْماءَ في غُرْسِهِ
 حتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذي أَبْصَرْتَ مِنْ يُبْسِهِ

والصبي عن الصبي أفهم وهو له آلف واليه أنزع . وكذلك العالم عن العالم
والجاهل عن الجاهل . وقال الله تعالى (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً)
لأن الإنسان عيب الإنسان أفهم وطباعه بطباعه آنس

﴿ ضده ﴾

قال دخل أبو علقمة النحوى على أعين الطبيب فقال انى أكلت من
لحوم الجوازىء وطسئت طسأة فأصابنى وجع بين الوابلة الى دأية العنق فلم
يزل يربو ويمو حتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء ؟ قال نعم خذ
خوفقاً وسربقاً ورقرقاً فاعسله واشربه بماء . فقال لا أدري ما تقول . قال
ولا انا دريت ما قلت * قال وقال يوما آخر انى أجد معمعة في قلبي وقرة
في صدرى . فقال له أما المعمعة فلا أعرفها وأما القرقرة فهى ضراط غير
نضيج * قال وأتى رجل الهيثم بن العريان بغريم له قد مطهه حقه فقال
أصلح الله الأمير ان لى على هذا حقا قد غلبنى عليه . فقال له الآخر
أصلحك الله ان هذا باعنى عجبدا واستنسانه حولاً وشرطت عليه أن أعطيه
مياومة فهو لا يلتانى فى لقم الا اقتضانى ذهابا . فقال له الهيثم أمن بنى أمية
أنت ؟ قال لا . قال أمن بنى هاشم أنت ؟ قال لا . قال أمن أ كفاءهم من
العرب ؟ قال لا . قال ويلي عليك انزعوا ثيابه . فلما أرادوا أن ينزعوا ثيابه
قال أصلحك الله ان ازارى مرعبل . قال دعوه فلو ترك الغريب فى موضع
لتركه فى هذا الموضع * قال ومر أبو علقمة ببعض الطرق فهاجت به مرة
فوثب عليه قوم فجعلوا يعصرون ابهامه ثم يؤذنون فى أذنه فأفلت من أيديهم
فقال ما لكم تتكأون على تكا كؤؤكم على ذى جنة افرنقوا عنى فقال

رجل منهم دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية * قال وقال لحجام يحجمه اشد
 قصب الملازم وارهنف طبة المشارط وخفف الوضع وعجل النزاع وليكن
 شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكرهن أيا ولا تردن أيا فوضع الحجام
 محاجمه في جوفته وانصرف

* محاسن المكاتبات *

قال كعب العبسي لعروة بن الزبير قد أذنت ذنبا الى الوليد بن عبد الملك
 وليس يزيل غضبه شيء فكتب الى اليه . فكتب اليه لو لم يكن لك
 من قديم حرمة ما يغفر له عظيم جريرته لوجب أن لا تحرمه التقيؤ بظ
 عضوك الذي تأمنه القلوب ولا تعلق به الذنوب وقد استشفع بي اليك فوثق
 له منك بعفو لا يخالطه سخط حقيق أمه وصدق ثقتي بك تجد الشكر وال
 بالنعمة . فكتب اليه الوليد قد شكرت رغبته اليك وعفوت عنه معو
 عليك وله عندي ما يحب فلا تقطع كتبك عني في أمثاله وفي سائر أمور
 وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه أما بعد
 فقد عاقى الشك عن عزيمة الرأي ابتداءتني بلطف من غير خبرة ثم أعقبني
 جفاء من غير ذنب فأطمعني أولان في احسانك وأياسني آخرك من وفائك
 فلا أنا في غير الرجاء جمع لك اطراحا ولا في غدا أنتظره منك على ثقة
 فسبحان من لو شاء كشف ايضاح الرأي فيك فأقنا على اتلاف وأفرقنا
 على اختلاف * قال وسخط مسامة بن عبد الملك على العريان بن الهيثم فعزله
 عن شرطة الكوفة فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز فكتب اليه ان من
 حفظ أنعم الله رعاية ذوى الأسنان ومن اظهار شكر الموهوب صفح القادر

عن الذنب ومن تمام السؤدد حفظ الودائع واستتمام الصنائع وقد كنت
أودعت العريان نعمة من أنعمك فسلبتها عجلة سخطك وما أنصفت غصبتها
على أن وليته ثم عزلته وخاليته وأنا شفيعه فأحب أن تجعل له من قلبك
نصيبه ولا تخرجه من حسن رأيك فتضيع ما أودعته وتتوى (١) ما أفدته .
فعفا عنه ورده الى عماله * قال وغضب سليمان بن عبد الملك على ابن عبيد
مولاء فشكا الى سعيد بن المسيب ذلك فكتب اليه أما بعد فإن امير المؤمنين
في الموضع الذي يرتفع قدره عما تقتضيه رعيته وفي عفو امير المؤمنين سعة
للمسيئين . ف رضي عنه * قال وطاب العتابي من رجل حاجة ففضى له بعضها
ومطله ببعض فكتب اليه اما بعد فقد تركتني منتظرا الوعدك منتجرا
لرفدك وصاحب الحاجة محتاج الى نعم هنيئة او لا مريجة والعذر الجميل
أحسن من المظل الطويل وقد قلت بيتي شعر

بَسَطْتُ لِسَانِي ثُمَّ أَوْتَقْتُ نِصْفَهُ فَنِصْفُ لِسَانِي بِإِمْتِدَاحِك مُطْلَقُ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُنْجِزْ عِدَاتِي تَرَكْتَنِي وَبَاقِي لِسَانِ الشُّكْرِ بِالْيَأْسِ مُوثَقُ

قل وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون في رجل من بني ضبة يستشفع له
بالزيادة في منزلته وجعل كتابه تعريضا أما بعد فقد استشفع بي فلان يا امير
المؤمنين لتطولاك على في الحاقه بنظرانه من الخاصة فيما يرتزقون به واعلمته
أن امير المؤمنين لم يجعاني في مراتب المستشفعين وفي ابتدائه بذلك تعدى
طاعته والسلام . فكتب اليه المأمون قد عرفنا تصريحك له وتعريضك
لنفسك وأجبنك اليهما ووقفتناك عليهما * قال وكسب عمرو بن مسعدة الى
المأمون كتابا يستعطفه على الجند كتابي الى امير المؤمنين ومن قبلى من

اجناده وقواده في الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم . فقال المأمون والله لأقضين حق هذا الكلام وأمر باعطائهم ثمانية أشهر * قال وقدم رجل من أبناء دهاقين قريش على المأمون لعدة سلفت منه فطال على الرجل انتظار خروج أمر المأمون فقال لعمر بن مسعدة توصل في رقعة مني الى أمير المؤمنين تكون أنت الذي تكسبها تكون لك علي نعمتان . فكتب ان رأى أمير المؤمنين أن يفك أسر عبده من ربة المطل بقضاء حاجته ويأذن له في الانصراف الى بلده فعل ان شاء الله . فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمرا فجعل يعجبه من حسن لفظها وإيجاز المراد . فقال عمرو فما نية جتها يا أمير المؤمنين . قال الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه لئلا يتأخر فضل استحساننا كلامه وبجائزة مائة ألف درهم صلة عن دناءة المطل وسماجة الاغفال . ففعل ذلك له * وحدثنا اسماعيل بن أبي شاذان قال لما اصاب اهل مكة السيل الذي شارف الحاجر ومات تحته خلق كثير كتب عبيد الله بن الحسن العلوي وهو والي الحرمين الى المأمون ان اهل حرم الله وجيران بيته والاف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل تراكت أخرياته في هدم البنين . وقتل الرجال والنسوان واجبياح الأصول وجرف الأبقال حتي ماترك طارفا ولا تالدا للراجع اليهما في مطعم ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الأمهات والأولاد والآباء والأجداد فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم واحسانك اليهم تجد الله مكافئك عنهم ومنيبك عز الشكر منهم . قال فوجه اليهم المأمون بالأموال الكثيرة . وكتب الى عبيد الله أما بعد فقد وصلت شكيتك لأهل حرم الله أمير المؤمنين فبكاكم

بقلب رحته وأنجدهم بسبب نعمته وهو متبع مأسلف اليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وأجلا ان أذن الله في تثبيت عزمه على صحة نيته * قال فصار كتابه هذا آنس لاهل مكة من الاموال التي أنفذها اليهم * قال وكتب جعفر بن محمد بن الاشعث الى يحيى بن خالد يستغفیه من العمل شكرى لك على ماأريد الخروج منه شكر من سأل الدخول فيه * قال وكتب علي بن هشام الى اسحاق بن ابرهيم الموصلي . ماأدري كيف أصنع أغيب فأشتاق وألتقى ولا أشتفى ثم يحدث لي اللقاء الذي طلبت منه الشفاء نوعا من الحرقه للووعة الفرقه * قال وكتب معقل الى أبي دلف فلان جميل الحال عندالكرام فان أنت لم ترتبطه بفضلك عليه فعل غيرك * وكتب أبو هاشم الحربى الى بعض الامراء . غرضي من الامير مغوز والصبر على الحرمان مُعجز * وكتب آخر الى صديق له أما بعد فقد أصبح لنا من فضل الله مالا نحصيه مع كثرة ما نعصيه وما ندرى ما نشكر أجميل ما نشر أم كثير ما ستر أم عظيم ما ابلى أم كثير ما عفى غير أنه يلزمنا في كل الامور شكره ويجب علينا حده فاستزد الله في حسن بلائه كشكرك على حسن آلائه

(* ضده) *

(* قال الجاحظ) * كتب ابن المراكبي الى بعض ملوك بغداد . 'جَعَلْتُ فداك برحمته * قال وقرأت على عنوان كتاب لابی الحسن الشمرى لأموت لنا قبلة * وقرأت أيضا على عنوان كتاب الى الذي كتب إلي'

* محاسن الجواب *

قال دخل رجل على كسرى ابرويز . فشكا اليه عاملا غصبه على ضيعة له فقال له كسرى منذ كم هي في يدك قال منذ أربعين سنة قال فأنت تأكلها أربعين سنة ما عليك أن يأكل عاملي منها سنة واحدة فقال وما كان على الملك أن يأكل بهرام جور الملك سنة واحدة فقال ادفعوا في قفاه فأخرجوه فلما خرج أمكنه التفاتة فقال دخلت بمظلمة وخرجت بثنتين فقال كسرى ردوه وأمر برد ضيعته وصيره في خاصته * ويقال ان سعيد بن مرة الكندي حين أتى معاوية * قال له أنت سعيد قال أمير المؤمنين سعيد وأنا ابن مرة * قال ودخل السيد بن أنس الأزدي على المأمون * فقال أنت السيد فقال أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس قال وقيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو عليه الصلاة والسلام أكبر مني وأنا ولدت قبله قال وقال الحجاج للمهلب أنا أطول أم أنت قال الامير أطول وأنا أبسط قامته منه * قيل ووقف المهدي على امرأة من بنى ثعل فقال لها ممن العجوز قالت من طيئ قال مامنع طيئ أن يكون فيها آخر مثل حاتم قالت الذي منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك فأعجب بقولها ووصاها * قيل ولما استوسق أمر العراق لعبد الله بن الزبير وجه مصعب اليه وفدا فلما قدموا عليه قال لهم وددت أن لي بكل خمسة منكم رجلا من أهل الشام فقال رجل من أهل العراق يا أمير المؤمنين علقناك وعلقت بأهل الشام وعاق أهل الشام بآل مروان فما أعرف لنا مثلا إلا قول الأعشي

عَلَّقْتُهَا عَرَضًا وَعَلَّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعَلَّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ
 فما وجدنا جواباً أحسن من هذا * قال وقال مسلمة بن عبد الملك ما شيء
 يؤتى العبد بعد الايمان بالله تعالى أحب إلي من جواب حاضر فان الجواب
 اذا انعقب لم يكن شيئاً

* ضده *

قال اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمر
 ابن الاثم فذكر عمر والزبرقان قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله انه لمطعام
 جواد الكف مطاع في أدانيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره فقال
 الزبرقان بأبي أنت وأمي يا رسول الله انه ليعرف مني أكثر من هذا
 ولكنه يحسدني . فقال عمرو والله يا نبي الله ان هذا لزم من المروءة ضيق
 العطن لئيم العم أحق الخال . فرأى الكراهية في وجه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يا رسول الله ما كذبت في الأولى ولقد
 صدقت في الأخرى ولكني رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت
 فقلت أسوأ ما أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان
 لسحرا وان من الشعر لحكماً * وذكروا أن الوليد بن عقبة قال لعقيل بن
 أبي طالب غلبك على الثروة والعدد قال وسبقني وأياك الى الجنة
 قال الوليد أما والله ان شديك لمتضمنخان من دم عثمان قال عقيل مالك
 ولقريش وانما أنت فيهم كمنيع الميسر فقال الوليد والله اني لأرى لو أن أهل
 الأرض اشرتمكوا في قتله لوردوا صعودا فقال له عقيل كلاً أما ترغب عن
 صحبة أبيك * قال وقال رجل من قریش لخالد بن صفوان ما اسمك قال

خالد بن صفوان بن الاهتم قال ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان أباك
لصفوان وهو حجر وان جدك لأهم والصحيح خير من الأهم قال له
خالد من أي قریش أنت قال من عبد الدار بن قصي بن كلاب قال لقد
هشمتك هاشم وأمتك أمية وجمحت بك جمح وخزمتك مخزوم وأقصتك
قصي فجعلتك عبد دارها تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا * قيل ومر
الفرزدق فرأى خليفة الشاعر فقال له يا أبا فراس من القائل

هُوَ الْقَيْنُ وَابْنُ الْقَيْنِ لَا قَيْنَ مِثْلُهُ لِفَطْحِ الْمَسَاحِي أَوْ لَجَذْلِ الْأَدَاهِمِ
قال الفرزدق الذي يقول

هُوَ اللَّصُّ وَابْنُ اللَّصِّ لَا لِصٍّ مِثْلُهُ لِنَقَبِ جِدَارٍ أَوْ لِطَرٍّ الدَّرَاهِمِ

(محاسن حفظ اللسان)

قال أكرم بن صيفي مقتل الرجل بين فكيه - يعني لسانه - وقال رب
قول أشد من صول . وقال لكل ساقطة لاقطة * وقال المهلب لبيه
اتقوا زلة اللسان فاني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته ويزل
لسانه فيكون فيه هلاكه * قال يونس بن عبيد ليست خلة من خلال الخير
تكون في الرجل هي أخرى أن تكون جامعة لأنواع الخير كلها من حفظ
اللسان * وقال قدامة بن زهير يا معشر الناس ان كلامكم أكثر من صمتكم
فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر * وكان يقال ينبغي للعاقل
أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه ومن لم يحفظ لسانه فقد ساءه على
هلاكه وقال الشاعر

عَلَيْكَ حِفْظَ اللِّسَانِ مُجْتَهِدًا فَإِنَّ جُلَّ الْهَلَاكِ فِي زَلِّهِ

غیره

وَجُرْحُ السَّيْفِ تَأْسُوهُ فَيَبْرَأُ وَجُرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ
جِرَاحَاتُ الطَّعَانِ لَهَا التَّثَامُ وَلَا يَلْتَنَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

غیره

احْفَظْ لِسَانَكَ لَا تَقُولُ فِتْنَتِي إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ

غیره

لَعَمْرُكَ مَا شَيْءٌ عَلِمْتُ مَكَانَهُ أَحَقُّ بِسِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ مُذَلَّلٍ
عَلَيَّ فِيكَ مِمَّا لَيْسَ بِعَيْنِكَ قَوْلُهُ بِقُلٍّ شَدِيدٍ حَيْثُ مَا كُنْتُ فَاقْفِلِ

قيل تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات كأنما رميت عن قوس واحد
قال كسري أنا على رد مالم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الهند اذا
تكلمت بكلمة ملكتنى وان كنت أملكها وقال قيصر لأندم علي مالم أقل
وقد ندمت على ما قلت وقال ملك الصين عاقبة ما قد جري به القول أشد
من الندم علي ترك القول وقال بعضهم من حصافة الانسان أن يكون
الاستماع أحب اليه من النطق اذا وجد من يكفيه فانه لن يعدم الصمت
والاستماع سلامة وزيادة في العلم* وقال بعض الحكماء من قدر على أن يقول
فيحسن فانه قادر علي أن يصمت فيحسن وقال بعضهم كان ابن عبيدة الريحاني
المتكلم الفصيح صاحب التصانيف يقول الصمت أمان من تحريف اللفظ
وعصمة من زيف المنطق وسلامة من فضول القول وقال أبو عبيد الله كاتب
المهدي كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام

وكان يقال من سكت فسلم كان كمن قال فغتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يكره الانبعاث في الكلام يرحم الله امرأاً أوجز في كلامه واقتصر علي حاجته قيل وكلم رجل سقراط عند قتله بكلام أطاله فقال أنساني أول كلامك طول عهده فارق آخره فهمي لتفاوته ولما قدم ليقتل بكت امرأته فقال لها ما يبكيك قالت تقتل ظالماً قال وكنت تحبين أن أقتل حقاً أو أقتل ظالماً وشم رجل المهاب فلم يحبه ف قيل له حابمت عنه فقال ما أعرف مساويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه وقال سلمة بن القاسم عن الزبير قال حملتُ الى المتوكل وأدخلت عليه فقال يا أبا عبد الله الزم أبا عبد الله - يعنى المعتز - حتي تعلمه من فقه المدنيين فأدخلت حجرة فاذا أنا بالمعتز قد أتى في رجله نعل من ذهب وقد عثر به فسال دمه فجعل يغسل الدم ويقول

يُصَابُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يُصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجُلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ
فَقُلْتُ فِي نَفْسِي ضُمَّتْ إِلَى مَنْ أُرِيدُ أَنْ أَعْلَمَ مِنْهُ

✽ ضده ✽

سئل بعض الحكماء عن المنطق فقال انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عتبر به عن شيء فهو أفضل منه * وسئل آخر عنهما فقال أخزى الله المساكنة ما أفسدها للسان وأجابهما للمي ووالله للمهارة في استخراج حق أهدم للمي من النار في يابس العرفج ف قيل له قد عرفت ما في المهارة من الذم فقال ما فيها أقل ضرراً من السكينة التي تورث

عللا وتولد داء أيسره الي * وقال بعض الحكماء اللسان عضو فان مررته
مرن وان تركته حرّ * وممن افراط في قوله فاستقيل بالحلم ما حكي عن
شهرام المروزي فانه جرى بينه وبين أبي مسلم صاحب الدولة كلام فما زال
أبو مسلم يحارره الى أن قال له شهرام يالْقَمَّة فصمت أبو مسلم وندم شهرام
على ما سبق به لسانه وأقبل معتذرا خاضعاً ومتنعلاً فلما رأى ذلك أبو مسلم
قال لسان سبق ووهم أخطأ وانما الغضب شيطان والذنب لى لأنى جرأتك
على نفسي بطول احتمالي منك فان كنت معتمدا للذنب فقد شركتك فيه
وان كنت مغلوبا فالعذر يسعك وقد غفرنا لك على كل حال قال شهرام
أيها الملك عفو مثلك لا يكون غرورا قال أجل قال وان عظيم ذنبي لن يدع
قابي يسكن ولج في الاعتذار فقال أبو مسلم يا عجباً كنت تسيء وأنا أحسن
فاذا أحسنت أسأت

* محاسن كتمان السر *

قال كان المنصور يقول الملك يحتمل كل شيء من أصحابه الا ثلاثا إفشاء
السر والتعرض للحرم والقدح في الملك * وكان يقول سرّك من دمك
فانظر من تملكه * وكان يقول سرّك لا تطلع عليه غيرك وان من أنفذ
البصائر كتمان السر حتي يبرم المبروم * وقيل لأبي مسلم بأي شيء أدركت
هذا الأمر قال ارتديت بالكتمان واتزرت بالحزم وحالفت الصبر وساعدت
المقادير فأدركت طلبتي وحزت بغيقي . وأنشد في ذلك

أدركتُ بِالْجَزْمِ وَالْكِتْمَانِ مَا عَجَزَتْ عَنْهُ مُلُوكُ بَنِي مَرْوَانَ إِذْ حَشَدُوا
مَا زِلْتُ أَسْمَى عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ وَالْقَوْمُ فِي مُلْكِهِم بِالشَّامِ قَدَرَقَدُوا

حَتَّى ضَرَبْتُهُمُ بِالسِّيفِ فَاتَّبَعُوا مِنْ نَوْمِهِ لَمْ يَنْهَ قَبْلَهُمْ أَحَدٌ
وَمَنْ رَعَى غَنَمًا فِي أَرْضٍ مَسْبُوعَةٍ وَنَامَ عَنْهَا تَوَلَّى رَعِيهَا الْأَسَدُ

قال وقال عبد الملك بن مروان للشعبي لما دخل عليه جنبني خصلاً
أربعاً لا تطريني في وجهي ولا تجرين عليّ كذبة ولا تغتابن عندي أحداً
ولا تفشين لي سرا وقال النبي صلى الله عليه وسلم استعينوا على انجاح
حوادثكم بكتمان السر فان كل ذي نعمة محسود وأنشد البيهقي في ذلك
النجم أَقْرَبُ مِنْ سَرٍّ إِذَا اشْتَمَلَتْ مَنَى عَلَى السَّرِّ أَحْشَاءُ وَأَضْلَاعُ
غَيْرِهِ

وَنَفْسُكَ فَاحْفَظْهَا وَلَا تُنْشِ لِلْعَدَا مِنْ السَّرِّ مَا يَطْوِي عَلَيْهِ ضَمِيرُهَا
فَمَا يَحْفَظُ الْمَكْتُومَ مِنْ سَرِّ أَهْلِهِ إِذَا عَقَدُ الْأَسْرَارِ ضَاعَ كَثِيرُهَا
مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا ذُو عَفَافٍ يُعِينُهُ عَلَى ذَاكَ مِنْهُ صِدْقُ نَفْسٍ وَخَيْرُهَا

قال معاوية بن أبي سفيان أعنتُ على علي بن أبي طالب بأربع خصال
كان رجلاً طهرة عُقْلُهُ لَا يَكْتُمُ سَرًّا وَكَنتُ كَتُومًا لِسَرِّي وَكَانَ لَا يَسْخَرُ
حَتَّى يَفَاجِئَهُ الْأَمْرُ مَفَاجَأَةً وَكَنتُ أَبَادِرُ إِلَى ذَلِكَ وَكَانَ فِي أَخْبَثِ جَنْدٍ
وَأَشَدِّهِمْ خِلَافًا وَكَنتُ فِي أَطْوَعِ جَنْدٍ وَأَقْلَمِهِمْ خِلَافًا وَكَنتُ أَحَبَّ إِلَى قُرَيْشٍ
مِنْهُ فَكُنْتُ مَا شِئْتُ فَلِلَّهِ مِنْ جَامِعٍ إِلَيَّ وَمُفْرَقٍ عَنْهُ . وَكَانَ يُقَالُ لِكَلَامِ سِرِّهِ
مِنْ كِتْمَانِهِ إِحْدَى فَضِيلَتَيْ الظَّفَرِ بِحَاجَتِهِ وَالسَّلَامَةِ مِنْ شَرِّهِ فَمَنْ أَحْسَنَ
فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَلَهُ الْمُنَّةُ عَلَيْهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ * وَقَالَ بَعْضُهُمْ كِتْمَانُكَ
سِرُّكَ يَعْقِبُكَ السَّلَامَةُ وَافْشَاؤُكَ سِرُّكَ يَعْقِبُكَ النَّدَامَةُ وَالصَّبْرُ عَلَى كِتْمَانِ
السَّرِّ أَيْسَرُ مِنَ النَّدَمِ عَلَى افْشَائِهِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَا أَقْبَحَ بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَخَافَ

على ما في يده من اللصوص فيخفيه ويمكن عدوه من نفسه باظهاره ما في قلبه
من سر نفسه وسر أخيه ومن عجز عن تقويم أمره فلا يلومن الا نفسه
ان لم يستقم له وقال معاوية ما أفشيت سري الى أحد الا أعقبني طول
الندم وشدة الأسف ولا أودعته جوانح صدرى فحكمته بين أضلاعي
الا أكسبني مجدا وذكرا وسناء ورفعة فقل ولا ابن العاص قال ولا ابن
العاص * وكان يقول ما كنت كاتمته من عدوك فلا تظهر عليه صديقك
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم سره كانت الخيرة في يده ومن
عرض نفسه للهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضع صنع أخيك على أحسنه
ولا تظن بكلمة خرجت منه سوءا ما كنت واجدا لها في الخير مذهبا وما
كافأت من عصى الله فبك بأفضل من أن تطيع الله جل اسمه فيه وعليك
باخوان الصدق فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء * وحدث ابراهيم
ابن عيسى قال ذاكرت المنصور ذات يوم في أبي مسلم وصونه السرو وكتمه
حتى فعل ما فعل فأنشد

تَقَسَّمَنِي أَمْرَانِ لَمْ أَفْتَحْهُمَا بِحَزْمٍ وَلَمْ تَعْرِ كَهْمَالِي الْكَرَّاءُ كَرُّ
وَمَا سَاوَرَا أَحْشَاءَ مِثْلُ دَفِينَةٍ مِنْ أَلْهَمٍ رَدَّتْهَا إِلَيْكَ الْمَعَاذِرُ
وَقَدْ عَلِمْتُ أَفْئَاءَ عَدَتَانِ أَنَّنِي عَلَى مِثْلِهَا مِقْدَامَةٌ مُتَجَانِسَرُ

وقال آخر

صُنِ السِّرُّ بِالْكِتْمَانِ يُرْضِكَ غِبُّهُ فَقَدْ يُظْهِرُ السِّرَّ الْمُضِيعُ فَيَنْدَمُ
وَلَا تُفْشَيْنِ سِرًّا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَيُظْهِرُ خَرَقُ الشَّرِّ مِنْ حَيْثُ يُكْتَمُ
وَمَا زِلْتُ فِي الْكِتْمَانِ حَتَّى كَأَنَّنِي بَرَجَعُ جَوَابِ السَّأَلِ عَنْهُ أَعْجَمُ

لِنَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ وَتَسْلَمِ
وَقَالَ آخِرُ
سَلِمْتَ وَهَلْ حَى عَلَى الدَّهْرِ يَسْلَمُ

أَمِنِي تَخَافُ أَنْتِشَارَ الْحَدِيثِ
وَلَوْ لَمْ أَصْنَعْهُ لَبُقِيََا عَلَيْكَ
وَحَظِي فِي سِتْرِهِ أَوْفَرُ
نَظَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ

وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ

لَا تُفْشِ أَسْرَارَكَ لِلنَّاسِ
فَإِنَّ إِبْلِيسَ عَلَى مَا بِهِ
وَدَاوِ أَحْزَانَكَ بِالْكَاسِ
أَرَأْفُ بِالنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

وَقَالَ الْمُبَرِّدُ أَحْسَنَ مَا سَمِعْتُ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ وَالسِّرِّ مَا رَوَى لَأَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ

لَعَمْرُكَ إِنَّ وَشَاةَ الرَّجَا
فَلَا تُبْدِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ
لَا يَتَرُكُونَ أَدِيمًا صَاحِبَا
فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحَا

وَقَالَ الْعَتَبِيُّ

مَوْلَى صَاحِبِ سِرِّي أَلَكْتَمْتُ عَنْدَهُ
غَدَوْتُ عَلَى أَسْرَارِهِ فَكَسَوْتُهَا
مَحَارِيقُ نِيرَانِ بَلِيلٍ تُحَرِّقُ
ثِيَابًا مِنَ الْكِتْمَانِ مَا تَتَخَرَّقُ
فَأَسْرَارُ صَدْرِي بِالْأَحَادِيثِ تُفَرِّقُ
فَإِنَّكَ إِنْ أَوْدَعْتَهُ مِنْهُ أَحَقُّ
مَنْ كَانَتْ الْأَسْرَارُ تَطْفُو بِصَدْرِهِ
فَلَا تُودِعَنَّ الدَّهْرَ سِرَّكَ أَحَقًّا
وَحَسْبُكَ فِي سِتْرِ الْأَحَادِيثِ وَاعْظًا
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ

وَقَالَ آخِرُ

لا يَكْتُمُ السِّرَّ إِلَّا كُلُّ ذِي خَطَرٍ والسِّرُّ عِنْدَ كِرَامِ النَّاسِ مَكْتُومٌ
 والسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ قَدْ ضَاعَ مِفْتَاحُهُ وَالْبَابُ مَرْدُومٌ
 قِيلَ دِجْلُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ عَلَى الْمَهْدِيِّ وَقَدْ ذَاعَ شَعْرُهُ فِي عَتَبَةِ فَقَالَ
 مَا أَحْسَنْتَ فِي حَبْكُ وَلَا أَجَلْتَ فِي إِذَاعَةِ سِرِّكَ .. فَقَالَ

مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ سَيَكْتُمُ حُبَّهُ أَوْ يَسْتَطِيعُ السِّرَّ فَهُوَ كَذُوبٌ
 الْحُبُّ أَغْلَبُ لِلرَّجَالِ بِقَهْرِهِ مِنْ أَنْ يُرَى لِلسِّرِّ فِيهِ نَصِيبٌ .
 وَإِذَا بَدَأَ سِرُّ اللَّيِّبِ فَانْهَ لَمْ يَنْدُ إِلَّا وَالْفَتَى مَغْلُوبٌ
 إِنِّي لِأَحْسَدُ ذَا هَوًى مُسْتَحْفِظًا لَمْ تَنْهَ أَعْيُنُ وَقُلُوبُ

فاستحسن المهدي شعره وقال قد عذرناك على اذاعة سرك ووصلناك
 على حسن شعرك ان كتمان السر أحسن من اذاعته * وقال زياد لكل
 مستشير ثقة وان الناس قد ابتدعت بهم خصلتان اذاعة السر وترك
 النصيحة وليس للسر موضع الا أحد رجلين اما آخري يرجو ثواب الله
 أو دناوي له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه وهما معدومان في هذا
 الدهر وقال المهلب ما ضاقت صدور الرجال عن شيء كما تضيق عن السر كما
 قال الشاعر

وَلَرُبَّمَا كَتَمَ الْوَقُورُ فُصْرَحَتْ حَرَّ كَاتُهُ لِلنَّاسِ عَنْ كِتْمَانِهِ
 وَلَرُبَّمَا رَزَقَ الْفَتَى بَسْكَوتِهِ وَلَرُبَّمَا حُرِمَ الْفَتَى بَيَانِهِ
 وَقَالَ آخِرُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْفَظْ لِنَفْسِكَ سِرَّهَا فَسِرُّكَ عِنْدَ النَّاسِ أَفْشَى وَأَضِيعُ

وَقَالَ آخِرُ

لساني كتومٌ لا سراركم ودَمِي نَمُومٌ لِسَرِّي مُذِيعٌ
فلولا الدُمُوعُ كَتَمْتُ الهَوَى وَلَوْلَا الهَوَى لَمْ تَكُنْ لِي دُمُوعٌ

(محاسن المشورة)

يقال اذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه واجتهد فقد قضى ما عليه ويقضي الله في أمره ما يحب وقال آخر حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة وقيل اذا استشرت فانصح واذا قدرت فاصح وقيل من وعظ أخاه سرّاً زانه ومن وعظه جهراً شانه وقال آخر الاعتصام بالمشورة نجاة وقال آخر نصف عقلك مع أخيك فاستشره وقال آخر اذا أراد الله لعبده هلاكاً أهلكه برأيه وقال آخر المشورة تقوم اعوجاج الرأي وقال آخر اياك ومشورة النساء فان رأين الى أفن وعزمهن الى وهن

✽ ضده ✽

قال بعض أهل العلم لو لم يكن في المشورة الا استضعاف صاحبك لك وظهور فقرك اليه لوجب أطراح ما تفيده المشورة والقاء ما يكسبه الامتنان وما استشرت أحداً الا كنت عند نفسي ضعيفاً وكان عندي قوياً وتضاغرت له ودخلته العزة فاياك والمشورة وان ضاقت بك المذاهب واختلفت عليك المسالك وأداك الاستبهام الى الخطأ الفادح فان صاحبها أبداً مستذل مستضعف وعليك بالاستبداد فان صاحبه أبداً جليل في العيون مهيب في الصدور ولن تزال كذلك ما استغنيت عن ذوي العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع بنيانك وفسد تدبيرك واستحقرك

الصغير واستخفَّ بك الكبير وعرفت بالحاجة اليهم * وقيل نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل . ومن اقتصر على دون المشورة الشعبي فانه خرج مع ابن الأشعث فقدم به على الحجاج فلقبه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فقال له أشر عليَّ فقال لا أدري بما أشير ولكن أعذر بما قدرت عليه وأشار بذلك عليه كافة أصحابه قال الشعبي فلما دخلت خالفت مشورتهم ورايت والله غير الذي قالوا فسلمت عليه بالامرة ثم قالت أيد الله الأمير إن الناس قد أمروني أن أعذر بغير ما يعلم الله انه الحق ولك الله أن لا أقول في مقامي هذا الا الحق قد جهدنا وحرصنا فما كنا بالأقوياء الفجرة ولا الأتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سطوت فبذنبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا فقال الحجاج أنت والله أحب إلينا قولاً ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويقول والله ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي فقلت أيها الأمير اكنحت والله بعدك السهر واستحليت الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد من الأمير خلفاً قال صدقت وانصرفت

محاسن الشكر

قال بعض الحكماء : صن شكرك عمن لا يستحقه واستر ماء وجهك بالقناعة وقال الفضل بن سهل من أحب الازدياد من النعم فليشكر ومن أحب المنزلة فليكنف ومن أحب بقاء عزه فليسقط دأله ومكره . ومن ذلك قول رجل لرجل شكره في معروف

لقد ثَبَّتَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَوَدَّةٌ كَمَا ثَبَّتَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

قال واصطنع رجل رجلاً فسأله يوماً أتجنبي يا فلان قال نعم أحبك
حباً لو كان فوقك لأظلك أو كان تحتك لأقلك * وقال كسرى أنوشروان
المنعم أفضل من الشاكر لأنه جعل له السبيل إلى الشكر * واختصر
حبيب بن اوس هذا في مصراع واحد فقال

لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلَا

الباهلي عن أبي فروة قال مكتوب في التوراة اشكر من أنعم عليك
وأنعم على من شكره فإنه لازوال للنعم إذا شكرت ولا إقامة لها إذا كفرت
والشكر زيادة في النعم وأمان من الغير * وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة
الرحم ومعروف لا يشكر وأنشد الخطيئة عمر وكعب الاحبار عنده

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

فقال كعب : يا أُمير المؤمنين من هذا الذي قال هذا فإنه مكتوب في
التوراة فقال عمر كيف ذلك قال في التوراة مكتوب : من يصنع الخير لا
يضيع عندي لا يذهب العرف بيني وبين عبدي * وقيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا
الاجتهاد فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً * وفي الحديث ان رجلاً قال
في الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ربنا لك الحمد حمداً
مباركاً طيباً زكياً فاما انصرف صلى الله عليه وسلم قال أياكم الكلمة
قال أحدهم أنا يا رسول الله فقال لقد رأيت سبعة وثلاثين ملكاً يبتاعون
إياهم بكتبها أولاً * وقيل نسيان النعمة أول درجات الكفر * وقال أُمير

المؤمنين علي رضي الله عنه المعروف يكفر من كفره لانه يشكر عليه
أشكر الشاكرين وقد قيل في ذلك

يَدُ الْمَعْرُوفِ غَنَمٌ حَيْثُ كَانَتْ تَحْمَلُهَا كَفُورٌ أَمْ شُكُورٌ
فَعِنْدَ الشَّاكِرِينَ لَهَا جَزَاءٌ وَعِنْدَ اللَّهِ مَا كَفَرَ الْكُفُورُ

وقال بعض الحكماء ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر عليها الا ترك حسابه
عليها وقال بعض الحكماء عند التراخي عن شكر النعم تحمل عظام النقم وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول لعائشة ما فعل بيتك فتشده
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى

فيقول صلى الله عليه وسلم صدق القائل يا عائشة ان الله اذا أجرى على
يد رجل خيرا فلم يشكره فليس لله بشاكر * وقيل لذي الرمة لم خصصت بلال
ابن أبي بردة بمدحك قال : لأنه وطأ مضجعي وأكرم مجلسي وأحسن
صليتي فحق لكثير معروفه عندي أن يستولى على شكري * ومنهم من يقدم
ترك مطالبة الشكر وينسبه الى مكارم الاخلاق * من ذلك ما قاله بزرجمهر
من انتظر بمعروفه شكره عاجل المكافأة . وقال بعض الحكماء ان
الكفر يقطع مادة الانعام فكذلك الاستطالة بالصنعة تمحق الاجر . وقال
علي بن عبيدة من المكارم الظاهرة وسنن النفس الشريفة ترك طلب الشكر
على الاحسان ورفع الهمة عن طلب المكافأة واستكثار القليل من الشكر
واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه وفي فصل من كتاب ولست أقابل
أياديكم ولا استديم احسانك الا بالشكر الذي جعله الله للنعم حارساً وللحق
مؤدياً وللمزيد سبياً

(ضده)

قال بعض الحكماء المعروف الى الكرام يعقب خيراً والى اللئام يعقب
 شراً ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤماً وتشرّب منه
 الافاعي فيعقب بها وقال سفيان وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف
 الى اللئام وقال أثار جماعة من الاعراب ضبعا فدخلت خباء شيخ منهم
 فقالوا أخرجها فقال ما كنت لافعل وقد استجارت بي فانصرفوا وقد
 كانت هزيلة فأحضر لها لقاحا وجعل يسقيها حتى عاشت فنام الشيخ ذات
 يوم فوثبت عليه فقتلته فقال شاعرهم في ذلك

وَمَنْ يَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ مَعَ غَيْرِ أَهْلِهِ	يَلَاقِ الَّذِي لَا قِيَّامَ لَهُ
أَقَامَ لَهَا لَمَّا أَنَاخْتُ بِيَابِهِ	لِتَسْمَنَ أَلْبَانَ اللَّقَاحِ الدَّرَائِرِ
فَأَسَمَنَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَمَكَّنْتُ	فَرْتُهُ بِأَنْيَابِ لَهَا وَأُظَافِرِ
فَقُلْتُ لِلذَّوِي الْمَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ	يَجُودُ بِإِحْسَانٍ إِلَى غَيْرِ شَاكِرِ

قيل وأصاب اعرابي جرو ذئب فاحتمله الى خبائه وقرب له شاة فلم
 يزل يمتص من لبنها حتى سمن وكبر ثم شد على الشاة فقتلها فقال الاعرابي
 يذكر ذلك

غَذَّتْكَ شُوَيْنَهَيَّ وَنَشَأَتْ عِنْدِي	فَمَنْ أَدْرَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبُ
فَجَعَتْ نُسَيْتَةً وَصِغَارَ قَوْمٍ	بِشَاتِهِمْ وَأَنْتَ لَهَا رَيْبُ
إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طِبَاعَ سُوءٍ	فَلَيْسَ بِنَافِعٍ أَدَبُ الْأَدِيبِ

وفي المثل سمن كلبك يا كلك وأنشد

هُمْ سَمَنُوا كَلْبًا لِأَكْلِ بَعْضِهِمْ وَلَوْ عَمِلُوا بِالْحَزْمِ مَا سَمَنُوا كَلْبًا
وقال آخر

وإني وقيساً كالمسمن كلبه فخدشه أنيابه وأظافره
ويضرب المثل بسنمار وكان بنى للنعمان بن المنذر الخورنق فأعجبه وكره
أن يبنى لغيره مثله فرمى به من أعلاه فمات فقيل فيه
جزينا بنى سعدٍ بحسن بلائهم جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
وقال بشار (١)

أثني عليك ولي حالٌ تُكذِّبُنِي فيما أقولُ فأستخني من الناسِ
قد قلتُ إنَّ أباحفصٍ لا كرمُ من يمشي فخاصني في ذاك إفلاسي
حتى إذا قيلَ ما أعطاك من صدقٍ طأطأتُ من سوءِ حالٍ عندها راسي
ولأبي الهول

كأنني إذ مدحتك يا ابن مَعْنٍ رأي الناسُ في رمضانَ أزني
فإنَّ أكرحتُ عنك بغيرِ شيءٍ فلا تفرحْ كذلكَ كانَ ظني
وقال آخر

لحاً الله قوماً أعجبتهُم مدائحي فقالوا مقالاً في ملامٍ وفي عثبي
أبا حازمٍ تمدحُ فقلتُ مُعذِّراً هبوني امرأً جربتُ سبني في كلبِ
وقال آخر

(١) المشهور أن الأبيات لأبي التماهية .. وأولها
يا ابن العلاء ويا ابن القرم مرداسي أي أنتيك في صبحي وجلاسي

عُثْمَانُ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَمْدَ ذُو ثَمَنٍ لَكِنَّهُ يَشْتَهِي حَمْدًا بِمَجَّانٍ
وَالنَّاسُ أَكْبَسُ مِنْ أَنْ يَمْدَحَ حَوَارِجًا حَتَّى يَرَوْا عِنْدَهُ آثَارَ إِحْسَانٍ

وقال آخر

يُحِبُّ الْمَدِيحَ أَبُو خَالِدٍ وَيَغْضَبُ مِنْ صَلَةِ الْمَادِحِ
كَبَّرَ تُحِبُّ لَذِيذَ النَّكَاحِ وَتَجَزَعُ مِنْ ضَوْلَةِ النَّكَاحِ

وقال آخر

وَلَوْ كَانَ يَسْتَغْنِي عَنِ الشُّكْرِ سَيِّدُ لِعِزَّةٍ مُلْكٍ أَوْ عُلُوٍّ مَكَانٍ
لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِشُكْرِهِ فَقَالَ أَشْكُرُونِي أَيُّهَا الثَّمَلَانِ

﴿محاسن الصدق﴾

قال بعض الحكماء عليك بالصدق فما السيف الناطع في كنف الرجل
الشجاع يأعز من الصدق والصدق عز وإن كان فيه ما تكره والكذب
ذل وإن كان فيه ما تحب ومن عرف بالكذب اتهم في الصدق * وقيل
الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل والكذب مكيال الشيطان الذي
يدور عليه الجور * وقال ابن السماك ما أحسبني أوجر على ترك الكذب
لأنني أتركه أنفة * وقال آخر لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لكان
بذلك حقيقة فكيف وفيه المأثم والعار * وقال الشعبي عليك بالصدق حيث
ترى أنه يضرك فانه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فانه
يضررك . وقال بعضهم الصدق عز والكذب خضوع ومدح قوم بالصدق
منهم أبو ذر رضي الله عنه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أظلمت

الخضراء ولا أقلت الغبراء ولا طلعت الشمس على ذي لهجة أصدق من أبي ذر * ومنهم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فإنه روى أنه اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل هذا عمك العباس قال نعم قال ان الله تعالى يأمرك أن تقرأ عليه السلام وتعلمه أن اسمه عند الله الصادق وان له شفاعاة يوم القيامة فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم فقال ان شئت أخبرتك مما به تبسمت وان شئت ان تقول فقل قال بلى تعلمني يا رسول الله فقال لأنك لم تحلف يمينا في جاهلية ولا اسلام برة ولا فاجرة ولم تقل لسائل لا . قال والذي بعثك بالحق نبيا ما تبسمت الا لذلك ويروى ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أستر بخلال الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببت تركته قال دع الكذب فمضى الرجل فهم بالزنا فقال يسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم فان جحدت نقضت ما جعلته له وانا قررت حُددت فلم يزن فهم بالسرقة وشرب الخمر ففكر في ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قد تركتهن أجمع . فأما من رخص له في الكذب فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يصلح الكذب الا في ثلاث كذب الرجل لأهله ليرضيها وكذب في إصلاح ما بين الناس وكذب في حرب . وروى عن المغيرة بن ابراهيم انه قال لم يرخص لاحد في الكذب الا للحجاج بن علاط فإنه لما فتحت خيبر قال يا رسول الله ان لي عند امرأة من قريش وديعة فأذن لي يا رسول الله أن أكذب عليك كذبة لعلني أستل وديعتي فرخص له في ذلك فقدم مكة فأخبرهم انه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا في أيديهم يأتمرون فيه فقاتل

يقول يقتل وقتل يقول لا بل يبعث به الى قومه فتكون منه فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويسيثون العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس يريهم التجميل وأخذ الرجل وديعته فاستقبله العباس وقال ويحك ما الذى أخبرت به فأعلمه السبب ثم أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر ونكح صفية بنت حبي بن أخطب وقتل زوجها وأبأها ثم قال اكتم علي اليوم وغدا حتى أمضي ففعل ذلك فلما مضى يومان أخبرهم العباس بالذى أخبره فقالوا من أخبرك بهذا اقال من أخبركم بضده

✽ ضده ✽

قيل وجد في بعض كتب الهند ليس لكذب مروءة ولا لضجور رياسة ولا للملوك وفاء ولا لبخيل صديق وقال قتيبة بن مسلم لا تطلبن الحوائج من كذوب فانه يقربها وان كانت بعيدة ويبعدها وان كانت قريبة ولا الى رجل قد جعل المسئلة مأكلة فانه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها ولا الى أحق فانه يريد نفعك فيضرك وقيل أمران لا ينفكان من كذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقيل كفاك موبخاً على الكذب علمك بأنك كاذب وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط قال أما هذه فواحدة. وفي المثل هو كذب من أخذ السند وذلك انه يؤخذ الخسيس منهم فيزعم انه ابن الملك وكذلك يقال اكذب من سباح خراسان لانهم يجتازون في كل بلد ويكذبون للسؤال والمسألة. ويقال هو اكذب من الشيخ الغريب. وذلك أنه يتزوج في الغربية وهو ابن سبعين سنة فيزعم انه ابن اربعين. ويقال هو اكذب من مسيلة وبه يضرب المثل ومما قيل في ذلك من الشعر

حَسْبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْبَلِيَّةِ بَعْضُ مَا يَحْكِي عَلَيْهِ
 مَا إِنْ سَمِعْتُ بِكَذِبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نُسِبْتُ إِلَيْهِ
 وَقَالَ آخِرُ .

لَقَدْ أَخْلَفْتَنِي وَخَلَفْتَ حَتَّى
 إِلَّا لَا تَخْلِفَنَّ عَلَى كَلَامٍ
 إِخْلَاكَ قَدْ كَذَبْتَ وَإِنْ صَدَقْنَا
 فَأَكْذَبُ مَا تَكُونُ إِذَا حَلَفْنَا
 وَقَالَ آخِرُ .

قَدْ كُنْتُ أَنْجِزُ دَهْرًا مَا وَعَدْتُ إِلَى
 فَإِنْ أَكُنْ صِرْتُ فِي وَعْدِي أَخَا كَذِبٍ
 قُلْتُ الْأَصْمَعِيُّ . قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ سَهْلٍ يَا أَبَا سَعِيدٍ أَعْلَمْتُ أَنَّ طَوْلَ رَمَحٍ رَسَمَ
 كَانَ سَبْعِينَ ذِرَاعًا مِنْ حَدِيدٍ مَصْمُوتٍ فِي غُلْظِ الرَّاقُودِ فَقُلْتُ هَاهُنَا أَعْرَابِي لَهُ
 مَعْرِفَةٌ فَازْهَبْ بِنَا إِلَيْهِ فَخَذَهُ بِهَذَا فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ فَخَذَهُ فَقَالَ
 الْأَعْرَابِيُّ قَدْ سَمِعْتُ بِذَلِكَ وَبَلَّغْنَا أَنْ رَسَمَ هَذَا كَانَ هُوَ وَاسْفَنْدِيَادُ أَتِيَا
 لِقَهْمَانَ بْنِ عَادٍ بِالْبَادِيَةِ فَوَجَدَاهُ نَائِمًا وَرَأْسُهُ فِي حَجَرٍ أُمِّهِ فَقَالَتْ لَهَا مَا شَأْنُكَمَا
 فَقَالَا بَلَّغْنَا شِدَّةَ هَذَا الرَّجُلِ فَأَتَيْنَاهُ فَأَتْبَعَهُ فَرَعَا مِنْ كَلَامِهِمَا فَفَحَّهْمَا فَأَلْقَاهُمَا
 إِلَى أَصْبَهَانَ فَقَبِرَهُمَا الْيَوْمَ بِهَا . فَقَالَ الْخَلِيلُ قَبِّحَكَ اللَّهُ مَا أَكْذَبُكَ . قَالَ .
 يَا ابْنَ أَخِي مَا بَيْنَنَا شَيْئًا إِلَّا وَهُوَ دُونَ الرَّاقُودِ * قِيلَ وَقَدْ مِ بَعْضُ الْعَمَالِ مِنْ
 عَمَلٍ فِدَا قَوْمًا إِلَى طَعَامِهِ وَجَعَلَ يَحْدِثُهُمْ بِالْكَذِبِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِنَحْنُ كَمَا قَالَ
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسَّحْتِ) * قِيلَ وَكَانَ رَجُلًا مِنْ
 أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ بَيْنِ فُقَيْهِهِ وَرَاوِيهِ وَشَاعِرٍ يَأْتُونَ بَغْدَادَ فَيَرْجِعُونَ بِمَحْظُوتِهِ
 وَحَالِ حُسْنَةٍ فَاجْتَمَعَ عِدَّةٌ مِنْهُمْ فَقَالُوا لَصَدِيقٍ لَهُمْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ

الادب لو أتيت العراق فلعلك أن تصيب شيئاً قال أتم أصحاب آداب تلتسمون بها فقالوا نحن نحتال لك فأخرجوه فلما قدم بغداد طلب الاتصال بعلي بن يقطين وشكا اليه الحاجة فقال ما عندك من الادب فقال ليس عندي من الادب شيء غير اني أكذب الكذبة وأخيل الى من يسمعها اني صادق وكان ظريفاً مليحاً فأعجب به وعرض عليه مالا فأبى أن يقبله . وقال ما أريد منك الا أن تسهل اذني وتدني مجاسي قال ذلك لك وكان من أقرب الناس اليه مجلساً حتى عرف بذلك . وكان المهدي قد غضب على رجل من القواد واستصفي ماله وكان يختلف الى علي بن يقطين رجاء أن يكلم له المهدي وكان يرى قرب المديني ومكانه من علي فأبى المديني القاء عشيّاً فقال ما البشري قال لك البشري وحكمك قال أرسلني علي بن يقطين اليك وهو يفرؤك السلام ويقول قد كلمت أمير المؤمنين في أمرك ورضى عنك وأمر برد مالك وضياعك وبأمرك بالغد واليه لتغدو معه الى أمير المؤمنين متشكراً فدها له الرجل بألف دينار وكسوة وحملاًن وغدا على علي مع جماعة من وجوه العسكر متشكراً فقال له علي وما ذاك قال أخبرني أبو فلان - وهو الى جنبه - كلامك أمير المؤمنين في أمري ورضاه عني فالتفت الى المديني وقال ما هذا فقال أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع نشرناه فضحك علي وقال علي بدابتي وركب الى المهدي وحدثه الحديث فضحك المهدي وقال إنا قد رضينا عن الرجل ورددنا عليه ماله وأجرى علي المديني رزقا واسعاً واستوصى به خيرائهم وصله وكان يعرف بكذاب أمير المؤمنين

(محاسن العفو)

قيل أسر مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه فقال أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة فأعلق بأطرافك وأقول رب سل مصعباً فيم قتلنى فقال أطلقوه فقال أيها الأمير اجعل ما وهبت لى من عمري فى خفض عيش فقال اعطوه مائة ألف درهم قال جأبى أنت وأمي أشهدك أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفاً قال لم قال لتقوله فيك

انما مُصْعَبٌ شَبَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَافِقٍ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ وَلَا لَهُ كِبَرِيَاءُ

فضحك مصعب وقال لقد تلطفت وان فيك لموضعاً للصنعة وأمر له بالمائة ألف ولابن قيس الرقيات بخمسين ألف درهم * قيل وأمر الرشيد يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جناية فحبسه ثم سأل عنه الرشيد فقيل هو كثير الصلاة والدعاء فقال للموكل به عرض له بأن تكلمنى وتسألنى اطلاقه فقال له الموكل ذلك فقال قل لأمر المؤمنين ان كل يوم يمضى من نعمتك ينقص من محنتي والأمر قريب والموعود الصراط والحاكم الله نخر الرشيد معبشياً عليه ثم أفاق وأمر باطلاقه * وقيل ظفر المأمون برجل كان يطلبه فلمادخل عليه قال يا عدو الله أنت الذي تفسد فى الأرض بغير الحق يا غلام خذه اليك فاسقه كأس المنية فقال يا أمير المؤمنين ان رأيت ان تبقينى حتى أؤيدك بما قال لا سبيل الى ذلك فقال يا أمير المؤمنين فدعنى أنشدك أبياتا قال هات فأنشده

زَعَمُوا أَنَّ الْبَارَ عَلَّقَ مَرَّةً عُصْفُورَ بَرٍّ سَاقَهُ الْمَقْدُورُ
فَتَكَلَّمَ الْعُصْفُورُ تَحْتَ جَنَاحِهِ وَالْبَارُ مُنْقَضٌ عَلَيْهِ يَطِيرُ
مَا بِي لِمَا يُفْنِي لِمَتِكَ شَبْعَةً وَلَيْتَنِي أَكَلْتُ فَإِنِّي لَحَقِيرُ
فَتَبَسَّمَ الْبَارُ الْمَدِلُّ بِنَفْسِهِ كَرَمًا وَأَطْلَقَ ذَلِكَ الْعُصْفُورُ

فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ أَحْسَنْتَ مَا جَرَى ذَلِكَ عَلَيَّ لِسَانَكَ إِلَّا لَبِقِيَّةً بَقِيَتْ مِنْ عَمْرِكَ
فَأَطْلَقَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَوَصَلَهُ * وَعَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الْوَالِيَّ أَتَى بِرَجُلٍ جَنَى جُنَايَةَ
فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ فَلَمَّا مَدَّ قَالَ بِحَقِّ رَأْسِ أُمِّكَ إِلَّا مَا عَفَوْتُ عَنْكَ قَالَ أَوْجَعُ فَقَالَ
بِحَقِّ خَدَيْهَا وَنَحْرِهَا قَالَ اضْرِبْ قَالَ بِحَقِّ نَدْيِهَا قَالَ اضْرِبْ قَالَ بِحَقِّ سِرَّتِهَا
قَالَ وَيَلَكُمْ دَعْوُهُ لَا يَنْحَدِرُ قَلِيلًا * وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ إِنْ الرَّجُلُ إِذَا ظَلَمَ فَلَمْ يَنْتَصِرْ وَلَمْ يُجِدْ مَنْ يَنْصُرُهُ فَرَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى
السَّمَاءِ وَدَعَا قَالَ اللَّهُ لِبَيْتِكَ عَبْدِي أَنْصُرْكَ عَاجِلًا وَآجِلًا * وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِمْ أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا وَقَدْ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ أَنْصُرْهُ
مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرْهُ ظَالِمًا فَقَالَ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَذَلِكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ * وَقَالَ
فَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ بَكَى أَبِي فَقُلْتُ مَا يَبْكِيكَ فَقَالَ أَبْكِي عَلَى ظَالِمِي وَمَنْ أَخَذَ
مَالِي أَرْحَمَهُ غَدًا إِذَا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسَأَلَهُ فَلَا تَكُونَ لَهُ حُجَّةٌ
وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ أَيُّهَا الْمُتَصَدِّقُ عَلَى السَّائِلِ يَرْحَمُهُ أَرْحَمُ أَوْلَا مِنْ ظَلَمْتَ
وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
إِذَا عَصَانِي مَنْ يَعْرِفُنِي سُلْطَتُ عَلَيْهِ مِنْ لَا يَعْرِفُنِي * قَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ
إِيَّاكُمْ وَمَجَانِيقُ الضَّعَفَاءِ - يَعْنِي الدَّعَاءَ -

(ضده)

قيل لما قالت التغلبية للجحاف بن حكيم السلمي في وقعتته بالبشر قوض
 الله عمادك وأطال شهادك وأقل رقادك والله ان قتلت الا نساء أسافلهن دُمي
 وأعالهن ندي فقال لمن حوله لولا أن تله مثلها خلّيت سبيلها فبلغ ذلك الحسن
 البصري فقال أما الجحاف فجذوة من نار جهنم * قال ولما بنى زياد بناء البصرة
 أمر أصحابه أن يسمعو من أفواه الناس فأثي برجل تلا آية (أُتَبْنُونَ بِكُلِّ
 رِيعٍ آيَةٍ تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ) قال وما دعاك الى
 هذا قال آية من كتاب الله عز وجل خطرت علي بالي فتلوتها قال والله
 لأعملن فيك بالآية الثانية (وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ) ثم أمر به فبني
 عليه ركن من أركان القصر * قال وبعث زياد الى رجل من بني تميم فقال
 أخبروني بصلحاء كل ناحية فأخبروه فاختر منهم رجلا فضمنهم الطريق
 وقال لو ضاع بيني وبين خراسان جبل لعلمت من لقطه وكان يدفن الناس
 أحياء وينزع أضلاع اللصوص * قال وقال عبد الملك للحجاج كيف تسير
 في الناس قال أنظر الى عجوز أدركت زيادا فاسئله عن سيرته فاعمل بها
 فأخذ والله بسنته حتى ماترك منها شيئا * وذكروا أن الحجاج لما أتى المدينة
 أرسل الى الحسن بن الحسن رضي الله عنه فقال هات سيف رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ودرعه قال لا افعل قال فجاء الحجاج بالسيف والسوط فقال
 والله لأضربنك بهذا السوط حتى أقطعه ثم لأضربنك بهذا السيف حتى
 نبرد أو تأتيني بهما فقال الناس يا أبا محمد لا تعرض لهذا الجبار قال فجاء الحسن
 بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فوضعهما بين يدي الحجاج

فأرسل الحجاج الى رجل من بني أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هل تعرف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم خلطه بين أسيفه ثم قال أخرجه ثم جاء بالدرع فظفر اليها ثم قل هناك علامة كانت على الفضل بن العباس يوم اليرموك فظعن بحربة فخرقت الدرع فعرفناها فوجد الدرع على ما قال فقال الحجاج أما والله لو لم تجئني به وجئت بغيره لضربت برأسك * وذكروا ان الحجاج قال ذات ليلة لحاجبه أغس نفسك فمن وجدته تجئني به فلما أصبح أتاه بثلاثة فقال أصالح الله الأمير ما وجدت الأهولاء الثلاثة فقال الحجاج لواحد منهم ما كان سبب خروجك بالليل وقد نادى الممالي أن لا يخرج أحد بالليل قال أصالح الله الأمير كنت سكران فغلبني السكر فخرجت ولا أعقل ففكر ساعة ثم قال سكران غلبه سكره خلوا عنه لا تعودن ثم قال لا آخر فأت ما سبب خروجك قال أصالح الله الأمير كنت مع قوم في مجلس يشربون فوقعتم بينهم عن بدنة فثقت على نفسي فخرجت ففكر الحجاج ساعة فقال رجل أحب للمسلمة خلوا عنه ثم قال لا آخر ما كان سبب خروجك فقال لي والدة عجوز وأنا رجل حمال فرجعت الى بيتي فقالت والدة مذقت الى هذا الوقت طعاما ولا ذواقا فخوِجت الشمس لها ذلك فأخذني الشمس ففكر ساعة ثم قال يا غلام اضرب عنقه قذا رأسه بين رجليه

(محاسن الصبر على الحبس)

قال الكسروى وقع كسرى بن هرمز الى بعض الحبسين من صبر

على النازلة كان كمن لم تنزل به ومن طول في الجدل كان فيه عطبه ومن
كل بلا مقدار تلفت نفسه * قيل ودخل ابن الزيات على الافشين وهو
محبوس فقال بحاطبه

اصبر لها صبر اقوام نفوسهم لا تستريح الى عقل ولا قود

قال الافشين من صحب الزمان لم ينج من خيره اوشره ووجد الكرامة
الهوان ثم قال .

لم ينج من خيرها او شرها احد
خاضت بك المنية الحمقاء غمرتها
فاذ كرشوا ثبها ان كنت من احد
فتلك امواجنا ترميك بالربد
لعلي بن الجهم لما حبسه المتوكل

قلت حبست فقلت ليس بضاري
او ما رايت الليث يالف غيلة
والذر في احجارها مخبوءة
والبدر يذكره الظلام فتجلى
والزاعية لا يقيم كموبها
غير الليالى بادئات عود
لا يؤيسنك من تفرج كربة
فلكل حال معقب ولربما
كم من غليل قد تخطاه الردى
صبرا فان اليوم يعقبه غد
حبسي واى مهند لا يفمد
كبرا وانباش السباع تردد
لا تضلني ان لم تشرها الا زند
ايمة وكأنه متجدد
الا الثقاف وجذوة تتوقد
والمال عارية يفاد وينفذ
خطب انك به الزمان الانكد
اجلى لك المكروه عما نحمد
فجبا ومات طيبه والعود
ويد الخلافة لا تطاولها يد

والحبس ما لم تَفْشَ لِدَيْتِهِ
 لو لم يَكُنْ فِي الْحَبْسِ إِلَّا أَنَّهُ
 يَتَّيْتُ يُجَدِّدُ لِلكَرِيمِ كَرَامَةً
 أَبْلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ
 أَنْتُمْ بَنُو عَمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 مَا كَانَ مِنْ حُسْنِ فَاتَمِّ أَهْلِهِ
 أَمِنَ السَّوِيَّةِ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ
 يَا أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ إِنَّمَا
 إِنَّ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَيْكَ بِبَاطِلٍ
 شَهِدُوا وَغَبْنَا عَنْهُمْ فَتَحَكَّمُوا
 لَوْ يَجْمَعُ الْخَصَمَاءُ عِنْدَكَ مَنَزَلُ
 وَالشَّمْسُ لَوَلَّا أَنَّهُا مَحْجُوبَةٌ
 شَنَاءُ نَعْمَ الْمَنَزَلُ الْمُتَوَرَّدُ
 لَا يَسْتَدْلِكُ بِالْحِجَابِ الْأَعْبُدُ
 وَبُزَارُ فِيهِ وَلَا يَزُورُ وَيُحَدِّدُ
 خَوْفُ الْعِدَا وَمَخَافُ لَا تَنْفُذُ
 أَوَّلَى بِمَا شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ
 كَرُمْتَ مَغَارِ سَكَمِ وَعَلَابِ الْمَحْنُ
 خَضَمَ تَقَرُّبُهُ وَآخِرُ يُنْعَدُ
 تَذَعَّى لِكُلِّ كَرِيهَةٍ يَا أَحْمَدُ
 أَعْدَاءُ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُجْحَدُ
 فِينَا وَلَيْسَ كِفَايَةُ مَنْ يَشْهَدُ
 يَوْمًا لَبَانَ لَكَ الطَّرِيقُ الْإِرْشَادُ
 عَنْ نَظَرِيكَ لَمَّا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ

❖ ضده ❖

• أَنشَدَنَا عَاصِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ لِنَفْسِهِ مَا حَبَسَهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دَلْفٍ قَوْلُهُ

قَالَتْ حُبِسْتُ فَقُلْتُ خُطْبُ أَنْكَدُ
 لَوْ كُنْتُ حُرًّا كَانَ مَرْبِي مُطْلَقًا
 لَوْ كُنْتُ كَالسَيْفِ الْمُهَنْدِ لَمْ يَكُنْ
 لَوْ كُنْتُ كَاللَّيْثِ الْهَاصُورِ لَمَارَعْتُ
 أَنَحَى عَلَى بِيهِ الزَّمَانُ الْمُرْصَدُ
 مَا كُنْتُ أَحْبَسُ عَنْوَةً وَاقْبَدُ
 وَقْتُ الْكَرِيهَةِ وَالشَّدَائِدِ يُنْعَدُ
 فِي الذَّيَّابِ وَجَذَوْنِي تَتَوَقَّدُ

مَنْ قَالَ إِنَّ الْحَبْسَ يَتُ كَرَامَةً
 مَا الْحَبْسُ إِلَّا يَتُ كُلِّ مَهَانَةٍ
 إِنْ زَارَنِي فِيهِ الْعَدُوُّ فَشَامِتٌ
 أَوْ زَارَنِي فِيهِ الْمُحِبُّ فَمُوجِعٌ
 يَكْفِيكَ أَنَّ الْحَبْسَ يَتُ لَا يَرَى
 تَمْضَى اللَّيَالِي لَا مَذُوقُ لِرَقْدَةٍ
 فِي مُطَبَقٍ فِيهِ النَّهَارُ مُشَاكِلٌ
 غَالِي مَتَى هَذَا الشَّقَاءُ مُؤَكَّدٌ
 مَا لِي بِجَيْرٍ غَيْرُ سَيْدِي الَّذِي
 غَذَّبْتُ حُشَّاشَةً مُهَجَّتِي بِنَوَافِلِ
 عَشْرِينَ حَوْلًا عِشْتُ تَحْتَ جَنَاحِهِ
 فَخَلَا الْعَدُوُّ بِمَوْضِعِي مِنْ قَلْبِهِ
 فَاعْفِرْ لِعَبْدِكَ ذَنْبَهُ مُنْطَوًى
 وَأَذْكُرْ خَصَائِصَ خِدْمَتِي وَمَقَاوِمِي
 وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ

الله عنهم

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا
 إِذَا دَخَلَ السَّجَّانُ يَوْمًا لِحَاجَتِهِ
 وَنَفَرَحُ بِالرُّؤْيَا فَجُلٌّ حَدِيثُنَا
 فَلَسْنَا مِنَ الْأَمْوَاتِ فِيهَا وَلَا الْأَحْيَاءِ
 عَجَبْنَا وَقُلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا
 إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا الْحَدِيثُ عَنْ الرُّؤْيَا

فَإِنْ حَسَنْتَ كَانَتْ بَطِيئًا جَبِيْهَا وَإِنْ قَبَحْتَ لَمْ تُنْتَظَرْ وَأَتَتْ سَعِيَا
وقال آخر

أَلَا أَحَدٌ يَدْعُو لِأَهْلِ مَحَلَّةٍ مُتَمِيمِينَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ فَارَقُوا الدُّنْيَا
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَ دَارِهِمْ وَلَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَ الشَّدَائِدِ وَالْبَلَوَى
وقال ابن المعتز

تَعَلَّمْتُ فِي السَّجْنِ نَسِجَ التَّكَلُّفِ وَكُنْتُ أَمْرًا قَبْلَ حَبْسِي مَلِكُ
وَقِيْدْتُ بَعْدَ رُكُوبِ الْجِيَادِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِدَوْرِ الْفَلَكَ
أَلَمْ تُبْصِرِ الظِّيرَ فِي جَوِّهَا تَكَادُ تُلَاصِقُ ذَاتَ الْحُبُكِ
إِذَا أَبْصَرْتَهُ خَطُوبُ الزَّمَانِ أَوْ قَعْنُهُ فِي حِمَالِ الشَّرْكَ
فَهَذَاكَ مِنْ خَالِقٍ قَدْ يُصَادُ وَمِنْ قَعْرِ بَحْرِ يُصَادُ السَّمَكُ

ووجد في البيت الذي قتل فيه مكتوب بخطه على الارض

يَا نَفْسُ صَبِرِي لَعَلَّ الْخَيْرَ عُقْبَاكَ خَانَكَ بِمَدْطُومِ الْأَمْنِ دُنْيَاكَ
مَرَّتْ بِنَاسِجِرٍ أَطِيرُ فَقَاتُهَا طُوبَاكَ يَا لَيْتَنِي إِيَّاكَ طُوبَاكَ

وقال اعرابي

وَلَمَّا دَخَلْتُ السَّجْنَ كَبُرَ أَهْلُهُ وَقُلُوا أَبُو لَيْثِي الْغَدَاةَ حَزِينُ
وَفِي الْبَابِ مَكْتُوبٌ عَلَى صَفْحَاتِهِ بِأَنَّكَ تَنْزُؤُنِي سَوْفَ تَلِينُ

وفي الحديث المرفوع ان يوسف عليه السلام شكى الى الله تعالى طول

الحبس فأوحى اليه أنت حبست نفسك حين قلت (رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) ولو قلت العافية أحب إلي لعوفيت . قال وكتب يوسف عليه السلام على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الأحياء

(محاسن المودة)

قال بعض الحكماء. ليس للانسان تنعم الا بمودات الاخوان. وقال آخر
الازدياد من الاخوان زيادة في الآجال وتوفير لحسن الحال . وقيل عاشروا
الناس معاشرة ان عشتهم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم . وقال

قد يَمَكُثُ النَّاسُ حِينًا لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَدٌ فَيَزِرْغُهُ التَّسْلِيمُ وَاللُّطْفُ
يَسْلَى الشَّقِيقِينَ طَوْلُ النَّأْيِ بَيْنَهُمَا وَتَلْتَقِي شَعْبٌ شَقِي فَمَا تَنْفُ

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه لابنه الحسين ابذل لصديقك
كل المودة ولا تطمئن اليه كل الطمانينة واعطه كل المواساة ولا تفش اليه
كل الأسرار وقال العباس بن جرير المودة تعاطف القلوب وائتلاف
الأرواح وأنس النفوس ووحشة الأشخاص عند تنائي اللقاء وظهور
السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق في
الحصول وقال بعضهم من لم يواخ من الاخوان الا من لا عيب فيه قل
صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بإشاره إياه على نفسه دام سخطه ومن
عاتب على غير ذنب كثر عدوه وكان يقال أعجز الناس من فرط في طيب
الاخوان وقال الشاعر في مثله

لَعَمْرُكَ مَا مَالُ الْفَتَى بِذَخِيرَةٍ وَلَكِنْ إِخْوَانُ الثِّقَاتِ الذَّخَائِرُ

❖ ضنده ❖

قال المأمون الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة
كالدواء يحتاج اليه أحياناً وطبقة كالداء الذي لا يحتاج اليه وكتب بعض

الكتاب ان فلاناً أولانى جيلاً من البشر مقروناً بلطيف من الخطاب
فى بسط وجهه ولين كنفه فلما كشفه الامتحان ببسر الحاجة كان كالتابوت
المطلى عليه بالذهب المملوء بالعذرة أعجبك حسنه مادام مطبقاً فلما فتح
آذاك ننته فلا أبعد الله غيره ومما قبل فى ذلك

والله لو كرهت كفى منادمتى لقلت للكف بينى اذ كرهتيني

وقال آخر

ولو أنى تخالفنى شمالى
إذا لقطعتها ولقلت بينى
لما اتبعتها أبداً يمينى
كذلك أجتوى من يجتوينى

وقال آخر

من لم يردك فلا تردّه
باعد أخاك يعمده
ليكن كمن لم تستفده
فاذا نأى شبرا فردّه

وقال آخر

تودّ عدوى ثم تزعم أنى
وليس أخى من ودنى رأى عينه
أودك إن الرئى منك لمازب
ولكن أخى من ودنى وهو غائب

وقال آخر

إن اختيارك لأعن خيرة سلفت
كالستيث يطن السيل بحسبه
إلا الرجاء ومما بخطى النظر
حرزا يبادره إذ بلة المطر

وقال آخر

وماحب كان لى وكنت
أشفق من والد على ولد

وكان لي مؤنسًا وكنت له
 كُنَّا كَسَاقٍ مَشَتْ بِهَا قَدَمُ
 حَتَّى إِذَا أُمِكنَ الْحَوَادِثُ مِنْ
 إِزْوَرٍّ عَنِي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ
 حَتَّى إِذَا اسْتَرْفَدَتْ يَدِي يَدَهُ
 لَيْسَتْ بِنَا وَحْشَةً إِلَى أَحَدٍ
 أَوْ كَذِرَاعٍ نِيطَتْ إِلَى عَضْدٍ
 حَظَى وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدِي
 عَنِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي
 كُنْتُ كَمُسْتَرْفِدٍ يَدَ الْأَسَدِ

وقال آخر

فِيَاءُ جَبَّاءٍ لَمَنْ رَبَّيْتُ طِفْلًا
 أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ
 أَعْلَمُهُ الْقُوَّةَ كُلَّ حِينٍ
 أَعْلَمُهُ الرِّوَايَةَ كُلَّ وَقْتٍ
 أَلْقَمُهُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ
 فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
 فَلَمَّا طَرَّ شَارِبُهُ جَفَانِي
 فَلَمَّا صَارَ شَاعِرَهَا هَجَانِي

﴿محاسن الولايات﴾

سئل عمار بن ياسر رضي الله عنه عن الولاية فقال هي حلوة الرضاع
 مرة الفطام وذكروا أنه كان سبب عزل الحجاج بن يوسف عن المدينة وفد
 وفد من أهل المدينة منهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن
 مروان فأنشوا على الحجاج وعيسى ساكت فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا
 له وجه عبد الملك فقام فجلس بين يديه فقال يا أمير المؤمنين من أنا قال
 عيسى بن طلحة بن عبيد الله قال فمن أنت قال عبد الملك بن مروان قال
 أجهلتنا أو تغيرت بعدنا قال وما ذاك قال وليت علينا الحجاج بن يوسف
 يسير بالباطل ويحملنا على أن نفى عليه بغير الحق والله لئن أعدته علينا

لنقصينك وان قاتلتنا وغلبتنا وأسأت إلينا قطعت أرحامنا ولئن قويناعليك
لنقصينك ملكك فقال له عبد الملك انصرف والزم بيتك ولا تذكرن من
هذا شيئاً قال فقام الى منزله وأصبح الحجاج غادياً الى عيسى بن طلحة فقال
جزاك الله عن خلوتك بأمر المؤمنين خيراً فقد أبدلني بكم خيراً وأبدلكم
بى غيري وولاني العراق وعن معمر بن وهيب قال كان عبد الملك عند
. يا استعفى أهل العراق من الحجاج قال لهم اختاروا أي هذين شتم - يعنى
أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك مكان الحجاج فكتب
إليه الحجاج يا أمير المؤمنين ان أهل العراق استغنوا عثمان بن عفان من
سعيد بن العاص فأعفاهم منه فساروا اليه من قابل وقتلوه فقال صدق
ورب الكعبة وكتب الى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له

❖ ضده ❖

كتب عبد الصمد بن المعتز الى صديق له ولي النفاذات فأظهر تبهاً
لعمري لقد أظهرت تبهاً كأنما
توليت للفضل بن مروان عكبراً
دع الكبر واستبق التواضع إنه
قبيح بوالى النفط أن يتغيراً
لحفظ عيون النفط أحدث نحوه
فكيف به لو كان مسكاً وعنبراً
وقال ابن المعتز

كم تأنه بولاية
وسكر الولاية طيب
وبعزله يعدو البريد
وخماره صعب شديد

وقال لبيد

لا تقرحن فكل وال يُعزل
وكما عزلت فعن قريب تُقتل

وكذا الزمان بما يسرك تارة وبما يسوءك تارة يتنقل

﴿ محاسن الصحبة ﴾

قيل قال علقمة بن ليث لابنه يابني ان نازعتك نفسك الى الرجال يوما لحاجتك اليهم فاصحب من ان صحبته زانك وان تخففت له صانك وان نزلت بك مؤنة مانك وان قيل صدق قولك وان صلت شدد صولك اصحب من اذا مددت اليه يدك لفضل مدتها وان رأى منك حسنة عدّها وان بدت منك نعمة سدّها واصحب من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق وقال آخر اصحب من خولك نفسه وملكك خدمته وتخيرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه وكان يقال من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذلّ لقدرك عزه وقال بعضهم لصاحبه أنا أطوع لك من اليد وأذل من النعل وقال بعضهم اذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك فارجه فانه تاركك كما ترك صاحبه وقال ابن أبي داود لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات ما خبرك مع صاحبك فقال لا يقصر في الاحسان الى فقال يا هذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك

﴿ ضده ﴾

قيل كان يوسف بن عمر الثقفي يتولى العراقيين لهشام بن عبد الملك وكان مذموماً في عمله فخبّرني المدائني قال وزن يوسف بن عمر درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق يضرب أهلها مائة قيل وخطب في مسجد الكوفة فتكلم انسان مجنون فقال يا أهل الكوفة ألم أنحكم أن

تدخلوا مساجدكم المجانين اضرَبوا عنقه فضربت عنقه قال وقال له مأم بن يحيى
وكان عاملا له يافاسق خربت مهر جانقدق قال انى لم أكن عليها انما كنت
على ماه دينار وعمرت البلاد فأعاد ذلك عليه مراراً فقال همام قد أخبرتك
انى كنت على ماه دينار وتقول خربت مهر جانقدق فلم يزل يعذبه حتى
مات قال وقال لكتابه وقد احتبس عن ديوانه يوما ما حبسك قال اشتكيت
ضرسى قال تشكي ضرسك وتقعّد عن الديوان ودعا الحجام وأمره أن
يقلع ضرسين من أضراسه وعن المدائنى قال حدثنى رضيع كان ليوסף
ابن عمر من بنى عبس قال كنت لأحجب عنه وعن خدمته فدعا ذات يوم
نجوار له ثلاث ودعا بخصي له يقال له حديد ففقرّب اليه واحدة فقال لها انى
أريد الشخوص أفاخلفك أو أشخصك معي فقالت صحبة الأمير أحب الى
ولكنى أحسب ان مقامى وتخلانى اعني وأخف على قلبه فقال أحببت
التخلف للفجور يا حديد اضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمره أن يأتيه
بالثانية وقد رأت مالقيت صاحبها فقال لها انى أريد الشخوص أفاخلفك
أم أخرجك فقالت ما أعذل بصحبة الأمير شيئاً بل تخرجنى قال أحببت
الجماع ما تريد ان يفوتك ليلة يا حديد اضرب فضربها حتى أوجعها ثم
أمره أن يأتيه بالثالثة وقد رأت مالقيت المتقدمتان فقال لها انى أريد الشخوص
أفاخلفك أم أخرجك قالت الأمير أعلم لينظر أخف الامرين عليه فليفعله
قال اختاري لنفسك قالت ما عندى اختيار فليختر الأمير قال قد فرغت
من كل عمل فلم يبق لي الا أن اختار لك أوجعها يا حديد فضربها حتى
أوجعها قال الرجل فكأنما أوجعنى من شدة غبظى عليه فولت الجارية فتبعها
الخدم فلما بعدت قالت الخيرة والله في فراقك ماتر عين أحد بصحبتك

فلم يفهم يوسف كلامها فقال ماتقول يا حديج قال قالت كذا وكذا فقال يا ابن
الخبثه من أمرك أن تعلمني يا غلام خذ السوط من يده فأوجع رأسه فما
زال يضربه حتي اشتفى فتمعرف من الغلام الآ خر كم ضربت قال لأدرى قال
ياعدو الله تخرج حاصل من بيت مالي من غير حساب اقتلوه فقتلوه (١)

﴿محاسن التطير﴾

عن عكرمة قال كنا جلوساً عند ابن العباس وابن عمر فطار غرابٌ
يصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن العباس لا خير ولا شر والذي
حضرنا من الشعر في مثله لا بي الشيص

ما فَرَّقَ الْأَحْبَابَ بَعْدَ اللَّهِ إِلَّا الْأَيْلُ
وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرًا بَ الْبَيْنِ لَمَّا جَهَلُوا
وما على ظنير غُرًا بَ الْبَيْنِ تُطَوِي الرِّحْلُ
ولا اذا صاح غُرًا بَ فِي الدِّيَارِ ارْتَحَلُوا
وما غُرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا نَاقَةٌ أَوْ جَمَلُ

وقال آخر

أَنْزَحِلْ عَمَّنْ أَنْتَ صَبَّ بِمِثْلِهِ وَتَلَحَّى غُرَابُ الْبَيْنِ إِنَّكَ تَظْلِمُ
أَقِمْ فُغْرَابُ الْبَيْنِ غَيْرُ مُفَرَّقٍ وَلَا يَأْتِي إِلَّا عَلَى الْفَصْلِ بِحَكْمُ

وقال آخر

غَلَطَ الَّذِينَ رَأَيْتَهُمْ بِجَهَالَةٍ يَلْحَوْنَ كُلُّهُمْ غُرَابًا يَنْعِقُ

(١) هكذا في الاصل مسندة الى يوسف بن عمر ولعلها من أخبار الحجاج كما في
غير هذا الكتاب

ما الذَّنْبُ إِلَّا لِلْجَمَالِ فَإِنِهَا مِمَّا يُشْتَتُ شَمْلَهُمْ وَيُفَرِّقُ
إِنَّ الْغُرَابَ يُمْنُهُ يُدْنِي النَّوَى وَتَشْتَتِ الشَّمْلَ الْجَمِيعَ الْأَيْنُقُ
وقال آخر

لَا يَعْلَمُ الْمَرْءُ لَيْلًا مَا يُصْبِحُهُ إِلَّا كَوَازِبُ مِمَّا يُخْبِرُ الْغَالُ
وَالْغَالُ وَالزَّجْرُ وَالسَّكِينُ كُلُّهُمْ مُضِلُّونَ وَدُونُ الْغَيْبِ أَقْطَالُ

❖ ضده ❖

حكى عن النعمان بن المنذر انه خرج متصيذا ومعه عدي بن زيد
العبادي فرآ ارام وهي القبور فقال عدي أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه
الآرام قل لا قل انها تقول

أَنِيهَا الرُّكْبُ الْمُخْفِيُّ نَ عَلَى الْأَرْضِ تَمْشُونَ
لَكُمَا كُنْتُمْ فَكُنَّا وَكَمَا كُنَّا تَكُونُونَ

فقال أعد فأعادها فترك صيده ورجع كثيراً وخرج معه مرة أخرى
فوقف على آرام بظهر الحيرة فقال عدي أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه
الآرام قال لا قل انها تقول

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا يَشْرَبُونَ الْحَمْرَ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ
ثُمَّ أَضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَاكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالِ

فانصرف وترك صيده قال ولما خرج خالد بن الوليد الى أهل الردة
انتهى الى حى من بنى تغلب فأغار عليهم وقتلهم وكان رجل منهم جالسا
على شراب له وهو يغنى بهذا البيت

أَلَا عَمَلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ لَعَلَّ مَنَايَا قَرِيبٌ وَمَا نَذَرِي
فَوَقَفَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ خَالِدٍ فَضَرَبَ عُنُقَهُ فَذَا رَأْسُهُ فِي الْجَفْنَةِ
الَّتِي كَانَ يَشْرِبُ مِنْهَا وَهَذَا كَقَوْلِهِمْ
إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ

(محاسن الوفاء)

قِيلَ فِي امْتِلِ أَوْفَى مِنْ 'فَكِيهَةٍ' وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ كَانَ
مِنْ وَفَائِهَا أَنْ السَّيْلِيكَ بْنَ سُلَيْكَةَ غَزَا بَكْرَ بْنَ وَاثِلٍ فَلَمْ يَجِدْ غَفْلَةً يَلْتَمِسُهَا
فَخَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنْ بَكْرٍ فَوَجَدُوا أَثَرَ قَدَمٍ عَلَى الْمَاءِ فَقَالُوا إِنَّ هَذَا الْإِثْرَ لَا تَرَى
قَدَمَ وَرْدٍ أَمَّا فَتَعَدُّوا لَهُ فَلَمَّا وَافَى حَمَلُوا عَلَيْهِ فَعَدَا حَتَّى وَجَلَ قُبَّةَ فَكِيهَةٍ
فَاسْتَجَارَ بِهَا فَأَدْخَلَتْهُ تَحْتَ دَرْعِهَا فَاتَّزَعُوا خِمَارَهَا فَنَادَتْ أَخَوَاتُهَا فَجَاؤَ عَشْرَةٌ
فَمَنَعُوهُمْ مِنْهَا قُلُوبًا وَكَانَ سَيْلِيكَ يَقُولُ كَأَنِّي أَجِدُ خَشُونَةَ شَعْرِ اسْتِهَا عَلَى
ظَهْرِي حِينَ أَدْخَلْتَنِي تَحْتَ دَرْعِهَا وَقَالَ

أَعْمُرْ أَيْيَكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي لِنِعَمِ الْجَارِ أُخْتُ بَنِي عَوَارَا
مِنْ الْخَفَرَاتِ لَمْ تَفْضَحْ أَخَاهَا وَلَمْ تَرْفَعْ لَوَالِدِهَا شَنْارًا
عَنِتُّ بِهِ فُكِيهَةً حِينَ قَامَتْ لِنَصْلِ السَّيْفِ فَاتَّزَعُوا الْخِمَارَا

وَيَقَالُ أَيْضًا هُوَ أَوْفَى مِنْ أُمِّ حَبِيلٍ وَهِيَ مِنْ رَهْطِ ابْنِ أَبِي بَرْدَةَ مِنْ
دُوسٍ وَكَانَ مِنْ وَفَائِهَا أَنَّ هِشَامَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْخَزَوِمِيَّ قَتَلَ رَجُلًا
مِنَ الْأَزْدِ فَبَلَغَ ذَلِكَ قَوْمَهُ بِالسَّرَاةِ فَوَثَبُوا عَلَى ضَرَارِ بْنِ الْخَطَّابِ الْفَهْرِيِّ
لِيَقْتُلُوهُ فَعَدَا حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ أُمِّ حَبِيلٍ وَعَاذَ بِهَا فَقَامَتْ فِي وَجْهِهِمْ وَدَعَتْ

قومها فنعموها فلما ولى عمر بن الخطاب ظنت أنه أخوه فأتته بالمدينة فلما انتسبت له عرف القصة فقال : انى لست بأخيه الا فى الاسلام وهو غاز وقد عرفنا منتك عليه وأعطاه على انها ابنة سبيل . ويقال أوفى من السموم بن عاديا وكان من وفائه ان امرأ القيس بن حجر لما أراد الخروج الى قبصر استودع السموم دروعا له فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه السموم فأخذ الملك ابناً له خارج الحصن وصاح به يا سموم هذا ابنك فى يدي وقد علمت أن امرأ القيس ابن عمى وأنا أحق بميراثه فان دُفعت الى الدروع والا ذبحت ابنك فقال أجلى فأجله فجمع أهل بيته فشاورهم فكلهم أشاروا بدفع الدروع وأن يستنقذ ابنه فلما أصبح أشرف عليه وقال ليس لى الى دفع الدروع سبيل فاصنع ماأنت صانع فذبح الملك ابنه وهو ينظر اليه وكان يهودياً وانصرف الملك ووافا السموم بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرئ القيس وقال فى ذلك

وَفَيْتُ بِأَذْرُعِ الْكَنْدِيِّ إِنِّى إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ

وَقَالُوا عِنْدَهُ كَنْزٌ رَغِيبٌ فَلَا وَائِيكَ أَغْدَرُ مَا مَشَيْتُ

بَنَى لى عَادِيَا حِصْنًا حَصِينًا وَبَثَّرَا كَلَامًا اشْتَأْتُ اسْتَقَيْتُ

وفى ذلك يقول الأعشى

كُنْ كَالسَّمُومِ إِذَا طَافَ الْهَمَامُ بِهِ فِى جَحْفَلٍ كَسَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ

بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ مِنْ تِيَمَاءَ مَنْزِلُهُ حِمْنٌ حَصِينٌ وَجَارٌ غَيْرُ غَدَّارِ

خَيْرُهُ خُطَّتِي خَسَفَ فَقَالَ لَهُ مَهْمَا تَقُولُنْ فَإِنِّى سَامِعٌ حَارِ

فَقَالَ تُكَلِّ وَغَدَرْتُ أَنْتَ يَنْهَمَا فَأَخْتَرْتُمَا فِيهمَا حَظٌّ لِمُخْتَارِ

فَشَكَ غَيْرَ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ اقْتُلْ أَسِيرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي

ويقال أوفي من الحارث بن عباد وكان من وفائه أنه أسر عدي بن ربيعة ولم يعرفه فقال له دلتني على عدي بن ربيعة ولك الأمان فقال أنا آمن ان دلتك عليه قال نعم. قال فأنا عدي بن ربيعة نخلاء وفي ذلك يقول الشاعر
لَهْفُ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَقَدْ شَأْ رَفَهُ الْمَوْتُ وَأَحْتَوَتْهُ الْمُنُونُ

ويقال هو أوفي من عوف بن محم لم وكان من وفائه أن مروان القرظ غزا بكر بن وائل ففضوا جيشه وأسره رجل منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمه فقالت انك تحتال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ فقال مروان وما ترجين من مروان قالت عظم فدائه قال وكم ترجين من فدائه قالت : مائة بعير قال لك ذلك على أن ترديني الى خماعة بنت عوف بن محم قالت : ومن لي بللمائة فأخذ عودا من الارض وقال هذا لك فمضت به الى بيت عوف فاستجار بخماعة ابنته فبعثت به الى عوف ثم ان عمرو بن هند بعث الى عوف أن يأتيه بمروان وكان واجدا عليه في شيء فقال عوف لرسوله أن خماعة ابنتي قد أجارته . فقال ان الملك قد آلى أن يعفو عنه أو يضع كفه في كفه فقال عوف يفعل ذلك على أن تكون كفي بين أيديهما . فأجابه عمرو الى ذلك فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوضع يده في يده ووضع يده بين أيديهما فعني عنه . ومنهم الطائي صاحب النعمان بن المنذر وكان من وفائه ان النعمان ركب في يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس ويوم نعيم لم يلقه أحد في يوم بؤسه الا قتله ولا في يوم نعيمه الا أحياه وجباه وأعطاه فاستقبله في يوم بؤسه اعرابي من طيء فقال حيا الله الملك ان لي صبية صفاراً لم أوص بهم أحدا فان رأى الملك أن يأذن لي في اتيانهم

وأعطيه عهد الله أن أرجع إليه إذا أوصيت بهم حتى أضع يدي في يده
فرق له النعمان وقال له لا إلا أن يضمنك رجل ممن معنا فإن لم تأت قتلناه
وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن سراحيل فنظر إليه الطائي وقال

يا شريك بن عمرو هل من الموت محالة
يا أخا كل مضاف يا أخا من لا أخ له
يا أخا النعمان فك السبب عن شيخ غلاة
ابن شيبان قبيل أصلح الله فعلة

فقال شريك هو على أصلح الله الملك فضى الطائي وأجل له أجلا
يأتي فيه فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان شريكا وجعل يقول له : ان
صدر هذا اليوم قد وئى وشريك يقول ليس لك علي سبيل حتى نمسي فلما
أمسوا أقبل شخص والنعمان ينظر الى شريك فقال شريك ليس لك علي
سبيل حتي يدنو الشخص فعلاه صاحي فينما هما كذلك اذ أقبل الطائي
فقال النعمان والله ما رأيت أكرم منكما وما أدري أيكما أكرم أهذا
الذي ضمنك وهو الموت أم أنت وقد رجعت الى القتل والله لا أكون
الأم الثلاثة فأطلقه وأمر برفع يوم يؤسه وأشد الطائي

ولقد دعيتي للخلاف عشيرتي فأيت عند تجهم الأقوال
إني أمرؤ مني الوفاء خلقية وفعال كل مذهب بدال

فقال النعمان ما حملك على الوفاء قال ديني : قال وما دينك قال النصرانية
قال اعرضها علي فعرضها عليه فنصر النعمان

* (ضده) *

قيل كتب صاحب بريد همدان الى المأمون وهو بخراسان يعلمه أن كاتب صاحب البريد المعزول أخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على اخراج مائتي ألف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما فوق المأمون إنا نرى قبول السعاية شراً من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على سيئ كمن قبله وأجازه فأنف الساعي عند ذلك وقال يا أمير المؤمنين رضي الله عنك المعذرة فان الساعي وان كان في سعايته صادقاً لقد كان في صدقه كذماً اذ لم يحفظ الحرمة ولم يف لصاحبه قال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين عندي نصيحة قال وما نصيحتك هذه قال فلان كان عاملاً ليزيد بن معاوية وعبد الملك والوليد نفاقهم فيما تولاه ثم اقتطع أموالاً كثيرة جائلة فر باستخراجها منه قال أنت شر منه وأخون حيث اطاعت علي أمره وأظهرته ولولا أني أنفر النصاح لعاقبتك ولكن اختر مني خصلة من ثلاث قال اعرضهن يا أمير المؤمنين قال ان شئت فتشنا عما ذكرت فن كنت صادقاً مقتناً وان كنت كاذباً عاقبتك وان استقلت أقانك فاستقاله الرجل

* محاسن السخاء *

روى عن نافع قال لقي يحيى بن زكرياء عليهما السلام ابليس لعنه الله فقال أخبرني بأحب الناس اليك وأبغضهم اليك قال أحبهم الي كل مؤمن بخيل وأبغضهم الي كل منافق سخي قال ولم ذاك قال لأن السخاء خلق الله

الأعظم فأخشى أن يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له وقال النبي صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله عز وجل من عابد بخيل ودوا الداء البخل وقال صلى الله عليه وسلم ما أشرقت شمس إلا ومعها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الجن والانس وهما الثقلان اللهم عجل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً وما كان يناديان أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وعن الشعبي قال قالت أم البنين ابنة عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحت الوليد بن عبد الملك لو كان البخل فيصا ما لبسته أو طريقاً ما سلكتها وكانت تعتق في كل يوم رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله وكانت تقول البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة وقيل اعتقت هند بنت عبد المطلب في يوم واحد أربعين رقبة وقال بعض الحكماء ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة وثواب البخل حرمان واتلاف ومدممة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه يا علي كن شجاعاً فان الله يحب الشجاع وكن سخياً فان الله يحب السخي وكن غيوراً فان الله يحب الغيور يا علي وان انسان سألك حاجة ليس لها بأهل فكن أنت أهلاً لها وقال النبي صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة في الجنة من أخذ منها بغصن مد به الى الجنة وقال عبد العزيز بن مروان لو لم يدخل على البخلاء في لؤمهم الأسوء ظنهم بالله عز وجل لكان عظيمًا وقال صلى الله عليه وسلم تحافوا عن ذنب السخي فان الله أخذ بيده كلما عثر وقال بهرام جور من أحب أن يعرف فضل الجود على سائر الاشياء فينظر الى ما جاد الله به على الخلق من المواهب الجميلة والراغب

النفيسة والنسيم والريح كما وعدهم الله في الجنان فانه لولا رضاه الجود لم
يصطفه لنفسه وقال الموبدان لا برويز أ كنتم تمنون أنتم وآباؤكم بالمعروف
وتترصدون عليهم المكافأة قال لا ولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف
نرى ذلك وفي كتاب ديننا من فعل معروفًا خفيًا وأظهره ليتطوّل به على
المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب أن لانعده من الابرار
ولانذكره في الأتقياء والصالحين * قيل وسئل الاسكندر مأ كبر ماشيدت
به ملكك قال ابتدأرى الى اسطناع الرجال والاحسان اليهم . قال وكتب
أرسطاطاليس في رسالته الى الاسكندر واعلم أن الايام تأتي على كل شيء
فتخلقه وتخلق آثاره وتميت الافعال إلا مارسخ في قلوب الناس فاودع
قلوبهم محبة أبدية تبقى بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشرف آثارك قال
ولما قدّم بزرجمهر الى القتل قيل له انك في آخر وقت من أوقات الدنيا
وأول وقت من أوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به فقال أى شيء أقول
الكلام كثير ولكن ان أمكنك أن تكون حديثاً حسناً فافعل قيل وتنازع
رجلان أحدهما من أبناء العجم والآخر اعرابي في الضيافة فقال الاعرابي
نحن أقرى للضيف قال وكيف ذلك قال لأن أحداً ربما لا يملك الا بعيراً
فاذا حل به ضيف نحره له فقال له الاعجمي فنحن أحسن مذهباً في القرئ
منكم قال وماذا قال نحن نسمى الضيف مهمان ومعناه انه أكبر من في
المنزل وأملكنا به وقال بعض الحكماء بلغ الجود من قام بالمجهود وقيل
الجواد من لم يرضن بالموجود وقال المأمون الجود بذل الموجود والبخل سوء
الظن بالمعبود . قيل وشكا رجل الى إياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل
الناس وينفق قال ان النفقة داعية الرزق وكان جالساً على باب فقال للرجل

اغلق هذا الباب فأغلقه فقال هل تدخل فيه الريح قال لا قال فافتحه ففتحه فجعلت الريح تخترق في البيت فقال : هكذا الرزق أغلقت فلم تدخل الريح فكذلك اذا أمسكت لم يأتك الرزق . قيل ووصل المؤمن محمد بن عباد المهدي بمائة ألف دينار ففرقها على اخوانه فبلغ ذلك المؤمن فقال يا أبا عبد الله ان بيوت الاموال لا تقوم بهذا فقال يا أمير المؤمنين البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود . وعن أمية بن يزيد الأموي قال كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج فقال له قولا ضعيفا فيه وعد وقلة إطماع فلما قام من عنده ومضى دعا صاحب خزانته فقال اعطه أربع مائة دينار فاستكرناها وقلنا كنت رددت عليه ردا ظننا انك تعطيه شيئا قليلا فاذا أنت أعطيته أكثر مما أمل فقال اني أحب أن يكون فعلي أحسن من قولي . وبجاءهم يضرب المثل في السخاء فحدثنا عن بعض حالات حاتم قيل كان حاتم جوادا شاعرا وكان حينما نزل عرف منزله وكان ظفرا اذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح سبق واذا أسر أطلق وكان أقسم أن لا يقتل واحدا منه قيل ولما بلغ حاتما قول المتلمس الضبي

قليلُ المالِ تُصاحهُ فيبقى ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ
وحفظُ المالِ أيسرُ من بُغاه وضربُ في البلادِ بغيرِ زادِ

فقال ماله قطع الله لسانه يحرض الناس على البخل أفلا قال

فلا الجودُ يُفني المالَ قبلَ فَنائه ولا البخلُ في مالِ الشَّحيحِ يزيدُ
فلا تَلتمِسَ رِزقا بعيشٍ مُقترٍ لكلِّ غدرٍ رِزقٌ يعودُ جديداً

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرِّزْقَ غَادِرٌ وَرَائِحٌ وَأَنَّ الَّذِي أَعْطَاكَ سَوْفَ يُعِيدُ

قيل ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى فنحرقاقة الضيف وعشاء
وغداه وقال انك قد اقرضتني ناقك فاحتكم علي قال راحلتين قال لك
عشرون ارضيت قال نعم وفوق الرضا قال لك اربعون ثم قال لمن يحضرته
من قومه من انا بناقة فله ناقتان بعد الغارة فأتوه بأربعين فدفعها الي
الضيف . وحكوا عن حاتم انه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان
بأرض عنزة ناداه أسير فيهم يا أباسفانة قد أكلني الاسار والقمل قال والله
ما أنا في بلاد ولا معي شيء وقد أسأت الي أن نوهت باسمي فذهب الي
العزيرين فساومهم فيه واشتراهم منهم وقال خلوا عنه وأنا أقيم مكانه في قيده
حتى أؤدي فداء ففعلوا فأتاهم بفداء . قيل ولما مات حاتم خرج رجل من
بنى أسد يعرف بأبي الخبيري في نفر من قومه وذلك قبل أن يعلم كثير
من العرب بموته فأتاخوا بقبيره فقال والله لأحلفن للعرب اني نزلت بحاتم
وسألته القرى فلم يفعل وجعل يضرب القبر برجله ويقول

عَجِّلْ أَبَا سَفَانَةَ قِرَاكَ فسوف أنبي سائلي نساكا

فقال بعضهم مالك تنادي رمة وباتوا مكانهم فقام صاحب القول من
نومه مدعورا فقال يا قوم عليكم مطاياكم فان حاتمأ أتاني فأنشدني

أَبَا الْخَبِيرِي وَأَنْتَ أَمْرُو	ظَلُمُ الْعَشِيرَةِ شَتَامُ
فَمَاذَا أَرَدْتَ إِلَى رِمَةٍ	بِدَوِيَّةٍ صَحَبَتْ هَامُ
تَبَغْيِي أَذَاهَا وَإِعْسَارَهَا	وَحَوْلَكَ طَى وَأَنْعَامُ
وَلَا نَا لِنَنْعِمُ أَضْيَافَنَا	مِنَ الْكُومِ بِالسَّيْفِ نَعْمَانُ

وقيل في المثل هو أجود من كعب بن مامة وكان من إباد وبلغ من
جوده انه خرج في ركب فيهم رجل من بني النمر بن قاسط في شهر ناجر
وألجأهم العطش فضلوا فتصافوا ماءهم فجعل النمرى يشرب نصيبه فاذا
اراد كعب أن يشرب نصيبه قال آثر أخاك النمرى فيؤثره حتى أضربه
العطش فلما رأى ذلك استحث ناقته وبادر حتى رفعت له أعلام الماء وقيل
له رد كعب فأنك ورأدت قبل ان يرد ونجا رفيقه ومن قول أبي تمام

هو البحرُ من أيِّ النواحي أتيتُ فأتتهُ المعروفُ والجودُ ساحلُهُ
كريمٌ اذا ما جئتَ للعرفِ طالباً حبأك بما تحوى عليه أناملُهُ
فلو لم يكن في كفه غيرُ نفسه لجاد بها فليتيق الله سائلُهُ

وللبحتري

لو أن كفك لم تجذ لمؤمل لكفاه عاجلُ وجهك المتهمِّل
ولو أن مجدك لم يكن متقادماً أغناك آخرُ سوددٍ عن أولِ
ولبكر بن النطاح في أبي دلف

بطلٌ بصدرِ حُسامه وسيناهُ ورث المكارمَ وابتناها قاسمُ
يا عِصْنَةَ الْعَرَبِ التي لو لم تكن حياً اذا كانت بغيرِ عمادِ
إن العيون اذا رأتك حِدادُها رجعت من الإجلالِ غيرِ حِدادِ
واذا رميت الثغرَ منك بعزيمةٍ فتحت منه مواضع الأسدادِ
وكان رنحك منقعه في عُصْفُرٍ وكان سيفك سلٌّ من فِرْصادِ

لَوْصَالٍ مِنْ عَضْبِ أَبِي دُلْفٍ عَلَى بَيْضِ السُّيُوفِ لَذُنَّ فِي الْأَعْمَادِ

أَوْزَى وَنَوَّرَ لِلْعَدَاوَةِ وَالْهَوَى نَارَيْنِ نَارَ دَمٍ وَنَارَ زِنَادِ

قال أبو هفان أنشدت هذه الأبيات عبد العزيز بن أبي دلف بسر من رأى

فقال هل سمعت بمنزل هذه الأبيات قلت لا قال ولغيره في أبي دلف

وَلَوْ يَجُوزُ لَقَالَ النَّاسُ كُلَّهُمْ لَوْلَا أَبُو دُلْفٍ مَا أَوْزَقَ الشَّجَرُ

قال ابن يحيى النديم دعاني المتوكل ذات يوم وهو مخمور فقال أنشدني

قول عمارة في أهل بغداد فأنشدته

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي مُلُوكُ مَحْرَمٍ أَبْعَ حَسَنًا وَابْنِي هِشَامَ بِدَرَاهِمِ

وَأُعْطِيَ رَجُلًا بَعْدَ ذَلِكَ زِيَادَةً وَأَمْنَحُ دِينَارًا بَغِيرِ تَنْدَمِ

فَإِنْ طَلَبُوا مِنِّي الزِّيَادَةَ زِدْتُهُمْ أَبَا دُلْفٍ وَالْمُسْتَطِيلَ بْنَ أَكْثَمِ

فقال المتوكل ويلى على ابن البوَال على عقبه يهجو شقيق دولة العباس

قال فهل عندك من الممدح في أبي دلف القاسم بن عيسى شيء قلت نعم يا أمير

المؤمنين قول الاعرابي الذي يقول فيه

أَبَا دُلْفٍ إِنْ السَّمَاحَةَ لَمْ تَزَلْ مُغْلَلَةً تَشْكُو إِلَى اللَّهِ غُلًّا

فَبَشِّرْهَا رَبِّي بِمِيلَادِ قَاسِمٍ فَارْسِلْ جَبْرِيلًا إِلَيْهَا فَحُلًّا

وقال غيره

حُرٌّ إِذَا جَسْتُهُ يَوْمًا لَتَسْأَلُهُ أَعْطَاكَ مَا مَلَكَتْ كَفَّاهُ وَاعْتَدَرَا

يُخْنِي صَنَائِعُهُ وَاللَّهُ يُظْهِرُهَا إِنَّ الْجَمِيلَ إِذَا أَخْفَيْتُهُ ظَهَرَ

وقال آخر

فَتَيَّ عَاهَدَ الرَّحْمَنِ فِي بَذْلِ مَالِهِ فَلَيْسَ تَرَاهُ الدَّهْرَ إِلَّا عَلَى الْعَهْدِ
فَتَيَّ قَصُرَتْ آمَالُهُ عَنْ فِعَالِهِ وَلَيْسَ عَلَى الْحَرِّ الْكَرِيمِ سِوَى الْجَهْدِ
وقال آخر

إِذَا مَا أَنَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّدَتْ عَلَيْهِ مَصَابِيحُ الطَّلَاقَةِ وَالْبُشْرِ
لَهُ فِي ذُرَى الْمَعْرُوفِ نِعْمَى كَأَنَّهَا مَوَاقِعُ مَاءِ الْمُرْنِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ
وقال آخر

عَادَ الشُّرُورُ إِلَيْكَ فِي الْأَعْيَادِ وَسَعِدْتَ مِنْ دُنْيَاكَ بِالْإِسْعَادِ
رَفَقًا بَعْدَ جَلٍّ أَوْ لَيْتَهُ رَفَقًا فَقَدْ أَثْقَلْتَهُ بِأَيَادِي
مَلَأَ النَّفْسَ مَهَابَةً وَمَحَبَةً بَذْرًا بَدَأَ مُتَغَمَّرًا بِسَوَادِ
مَا لَمْ أَرَى لَكَ مِثْلَهَا فِيمَنْ أَرَى إِنْ الْكَرَامَ قَلِيلَةُ الْأُنْدَادِ

وقال في ابن أبي دؤاد

بَدَأَ حِينَ أُنْزِيَ بِإِخْوَانِهِ فَقَلَّلَ عَنْهُمْ شِبَابَ الْعَدَمِ
وَحَذَّرَهُ الْحَزْمُ صَرْفَ الزَّمَانِ فَبَادَرَ قَبْلَ انْتِقَالِ النِّعَمِ
فَلَيْسَ وَإِنْ بَخِلَ الْبَاخِلُو نَ يَقْرَعُ سِنًا لَهُ مِنْ نَدَمِ
وَلَا يَنْكُثُ الْأَرْضُ عِنْدَ السُّؤَالِ لِيَمْنَعُ سُؤَالُهُ عَنْ نَعَمِ
وَلَكِنْ تَبْرَى مُشْرِقًا وَجْهَهُ لِيُزْغِمَ فِي مَالِهِ مَنْ دُغِمَ

ويروى في الحديث انه لا يجتمع الشح والايثار في قلب عبد صالح أبدا
ويقولون الشحيح أغدر من الظالم اقسم الله بعزته لا يساكنه بخيل في جنته
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من فتح له باب من الخير فليتهمه به فانه لا يدري
متى يغلق عنه وقال الشاعر في ذلك

ليس في كلِّ ساعةٍ وأوانٍ تَبْهِيًا صَنَائِعُ الإِحْسَانِ
فَإِذَا أَمَكَنْتَ تَقَدَّمْتُ فِيهَا حَذَرًا مِنْ تَعَذُّرِ الإِمْكَانِ

وذكر عبيد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه بعثه إلى حكيم بن حزام بن خويلد يسأله مالا فأنطلق به إلى منزله فوجد في الطريق صوفاً فأخذه ومر بقطعة كساء فأخذه فلما صار إلى المنزل أعطاه طرف الصوف فجعل يفتله حتى صيره خيطاً ثم دعا بغرارة مخرقة فرقعها بالكساء وخيطها بالخيط وصرَّ فيها ثلاثين ألف درهم فحمت معه قل وأتى قوم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري رحمه الله يسألونه في حمالة فصادفوه في حائط له ينتبع ما يسقط من التمر فيعزل جيده وردئته على حدة فهموا بأن يرجعوا عنه وقالوا ما نظن عنده خيراً ثم كلوه فأعطاهم فقال رجل من القوم لقد رأيناك تصنع شيئاً لا يشبه فعالك فقال وما ذلك فأخبروه فقال إن الذي رأيتم يؤول إلى اجتماع ما ينفع وينمو ومنها قيل الذود إلى الذود إبل وأنشد

رُبَّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرُ وَفِي الْبُحُورِ تُفَرِّقُ الْبُحُورُ

وقال آخر

قَدْ بَلَغَ الصَّغِيرُ بِالْجَلِيلِ وَأَمَّا الْقَرَمُ مِنَ الْإِفِيلِ

وَسُحُقُ النَّخْلِ مِنَ الْفَسِيلِ

قال وأتى رجل طلحة بن عبيد الله فسأله حمالة فرآه يهناً بعيراً له فقال يا غلام أخرج إليه بدرة فقبضها وقال أردت أن أنصرف حين رأيته تهنأ البعير فقال إنا لا نضيع الصغير ولا يتعاضبنا الكبير

﴿ مساوى البخل ﴾

المثل السائر فى البخل : هو أبخل من مادر وهو رجل من بنى هلال ابن عامر بلغ من بخله أنه كان يسقى إبله فبقى فى أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض به فسمى مادرا وذكروا ان بنى هلال وبنى فزارة تنافروا الى أنس بن مدرك وتراضوا به فقالت بنو هلال يا بنى فزارة إير الحمار فقالت بنو فزارة لم نعرفه وكان سبب ذلك ان ثلاثة اصطحبوا فزاري وثعلبي وكلابي فصادفوا حمار وحش ومضى الفزاري فى بعض حوائجه فطبخوا وأكلا وخبأ للفزاري إير الحمار فلما رجع قالا قد خبأنا لك حنك فمكل فأقبل يأكل ولا يسيغه فجعلا يضحكان ففطن وأخذ السيف وقام اليهما وقال لتأكلن منه أو لأقتلنكما فامتعا فضرب أحدهما فقتله وتناوله الآخر فأكل منه فقال فيهم الشاعر

نَشَدْتُكَ يَا فَزَارَ وَأَنْتَ شَيْخٌ إِذَا خُيِّرْتَ تَخْطِئُ فِي الْخِيَارِ
أَصْنِجَانِيَّةٌ أَدِمْتَ بِسَمْنٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ إِيرُ الْحِمَارِ
بَلَى إِيرُ الْحِمَارِ وَخَصِيَّتَاهُ أَحَبُّ إِلَى فَزَارَةَ مِنْ فَزَارِي

فقالت بنو فزارة منكم يا بنى هلال من سقى إبله فلما رويت سلح فى الحوض ومدره بخلا ففقرهم أنس بن مدرك على الهلاليين فأخذ الفزاريون منهم مائة بعير وكانوا تراهنوا عليها وفي بنى هلال يقول الشاعر

لَقَدْ جَمَلْتُ خَزْيَا هِلَالُ بْنُ عَامِرٍ بَنَى عَامِرٍ طُرًّا بِسَلْحَةٍ مَادِرٍ
فَأَفَ لَكُمْ لَا تَذْكُرُوا الْفَخْرَ بَعْدَهَا بَنَى عَامِرٍ أَنْتُمْ شِرَارُ الْعَشَائِرِ

وفي المثل هو أبخل من أبى جباحب وهو رجل فى الجاهلية بلغ من

بخله انه كان يسرج السراج فاذا اراد أحد أن يأخذ منه أطفاه فضرب به
 المثل ومنهم صاحب نجيح بن سلكة اليربوعي فانه ذكر ان نجيحاً اليربوعي
 خرج يوماً يتصيد فمرض له حمار وحش فاتبه حتى دفع الى أكمة فاذا
 هو برجل أعمي أسود قاعد في أطمار بين يديه ذهب وفضة ودر وياقوت
 فدنا منه فتناول بعضها ولم يستطع أن يحرك يده حتى ألقاه فقال ياهذا ما
 هذا الذي بين يديك وكيف استطاع أخذه وهل هو لك أم لغيرك فاني
 أعجب مما أرى أجواد أنت فتجود لنا أم بنجيل فأعذرك فقال الأعمي
 أطلب رجلاً فقد منذسين وهو سعد بن خشرم بن شماس فأتني به نعطك
 ماتشاء فانطلق نجيح مسرعاً قد استظير فؤاده حتى وصل الى قومه ودخل
 خبائه ووضع رأسه فنام لما به من الغم لا يدري من سعد بن خشرم فأتاه آت
 في منامه فقال له يانجیح ان سعد بن خشرم في حى بنى محلم من ولد ذهل
 ابن شيبان فسأل عن بنى محلم ثم سأل عن خشرم بن شماس فاذا هو بشيخ
 قاعد على باب خبائه فحياء نجيح فرد عليه السلام فقال له نجيح من انت
 قال أنا خشرم بن شماس قال له فأين ولدك سعد قال خرج في طلب نجيح
 اليربوعي وذلك ان آتياً أتاه في منامه فحدثه ان مالاله في نواحي بنى يربوع.

لا يعلم به الانجیح اليربوعي فضرب نجیح فرسه ومضى وهو يقول
 أَيَطْلُبُنِي مَنْ قَدْ عَنَانِي طَلَابُهُ فَيَا لَيْتَنِي أَلْقَاكَ سَعْدَ بْنَ خَشْرَمٍ
 أَتَيْتَ بَنِي يَرْبُوعَ تَبْنِي لِقَاءَنَا وَجِئْتُ لَكَ أَلْقَاكَ حَى مَحْلَمٍ

فلما دنا من محله استقبله سعد فقال له نجيح أيها الراكب هل لقيت
 سعداً في بنى يربوع قال أنا سعد فهل تدل على نجيح قال أنا نجيح وحدثه

بالحديث فقال الدال على الخير كفاعله وهو أول من قالها فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان فتوارى الرجل الأعمى عنهما وترك المال فأخذه سعد كله فقال نجيح ياسعد قاسمني فقال له اطوعني وعن مالي كشحاً وأبي إن يعطيه شيئاً فانتضي نجيح سيفه فجعل يضربه حتى برد فلما وقع قتيلاً تحول الرجل الحافظ للمال سعة فأسرع في أكل سعد وعاد المال إلى مكانه فلما رأى نجيح ذلك ولى هارباً إلى قومه * قيل وكان أبو عبس بخيلاً وكان إذا وقع الدرهم في يده نقره بأصبعه ثم يقول كم من مدينة قد دخلتها ويد قد وقعت فيها فلأن استقر بك القرار واضمأنت بك الدار ثم يرمى به في صندوقه فيكون آخر العهد به * قيل ونضر سليمان بن مزاحم إلى درهم فقال في شق لا إله إلا الله وفي شق محمد رسول الله ما ينبغي أن تكون إلا معاذة وقدفه في صندوقه * وذكروا أنه كان يلقي عامل على الخراج يقال له المسيب فأتاه شاعر يمتدحه فلم يعطه شيئاً ثم سعل سعة فضرط فقال الشاعر

أَتَيْتُ الْمُسَيْبَ فِي حَاجَةٍ فَمَا زَالَ يَسْغُلُ حَتَّى ضَرَطَ
فَقَالَ غَلِظْنَا حِسَابَ الْخَرَاجِ فَقُلْتُ مِنَ الضَّرْطِ جَاءَ الْغَلَاظُ

فما زالوا يقولون ذلك حتى هرب منها من غير عزل قال وكتب أرسطاطاليس إلى رجل بشيء فلم يفعل فكتب إليه إن كنت أردت فلم تقدر فعذور وإن كنت قدرت ولم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر قال رسمع أبو الأسود الدؤلي رجلاً يقول من يعشى الجائع فعشاه ثم قام الرجل بخرج فقال هيهات تخرج فتؤذي الناس كما آذيتني ووضع رجله في الأدهم حتى أصبح قال وكان رجل يأتي ابن المقفع فيلج عليه وسأله أن يتغدى عنده ويقول لعلك تظن أني أتكلف لك شيئاً والله لا أقدم لك إلا ما عندي

فلما اتاه لم يجد في بيته إلا كسر أياسته وملحاً جريشاً وجاء سائل الى الباب فقال له وسع الله عليك فلم يذهب فقال والله لئن خرجت اليك لأدقن رأسك فقال ابن المقفع للسائل ويحك لو عرفت من صدق وعيده ما أعرف من صدق وعده لم تزد كلمة ولم تقم طرفة عين قال وكتب ابراهيم بن سابة الى صديق له كثير المال يستسلفه فكتب اليه العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب عاينه فكتب اليه ان كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وان كنت صادقاً فجعلك الله معذوراً وكتب آخر الى آخر يصف رجلاً أما بعد فانك كتبت تسأل عن فلان كأنك هممت به أو حدثتك نفسك بالقدوم اليه فلا تفعل فان حسن الظن به لا يقع في الوهم الا بخذلان الله والطمع فيما عنده لا يخطر على القلب إلا بسوء التوكل على الله والرجاء فيما في يده لا ينبغي إلا بعد اليأس من رحمة الله انه يري الايثار الذي يرضى به التبذير الذي يعاقب عليه والاقتصاد الذي أمر به الاسراف الذي يعاقب عليه وان بنى اسرائيل لم يستبدلوا العدى والبصل بالبن والسلوى إلا لفضل أخلاقهم وقديم علمهم وان الصنيعة مرفوعة والصلة موضوعة والهبة مكروهة والصدقة منحوسة والتوسع ضلالة والجود فسوق والسخاء من همزات الشياطين وان مواسات الرجال من الذنوب الموبقة والافضال عليهم من احدى الكبار وأيم الله انه يقول ان الله لا يغفر أن يؤثر المرء في خصاصة على نفسه ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن أثر على نفسه فقد ضلّ ضلالاً بعيداً كأنه لم يسمع بالمعروف الا في الجاهلية الذين قطع الله أديبارهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وان الرجفة لم تأخذ أهل مدين الا لسخاء كان فيهم ولا أهلك الرج عاداً الا لتوسع كان منهم فهو يخشى العقاب على الانفاق ويرجو الثواب على

الاعتار ويعد نفسه خامرا ويعدّها الفقر ويأمرها بالبخل خيفة أن تمرّ به قوارع الدمر وأن يصيبه ما أصاب القرون الأولى فأقم رحمك الله مكانك واصطبر على عسرك عسى الله أن يبدلنا وإياك خيرا منه ذكوة وأقرب رحما * ولبعض الكتاب أما بعد فإن كثير المواعيد من غير نجاح عار على المطلوب اليه وقتلها مع نجاح الحاجة مكرمة من صاحبها وقد رددتنا في حاجتنا هذه في كثرة مواعيدك من غير نجاح لها حتى كأننا قد رضىنا بالتعلل لها دون النجاح كقول القائل

لا تَجْعَلْنَا كَكُمُونٍ بِمَزْرَعَةٍ إِنْ قَاتَهُ الْمَاءُ أَرْوَتْهُ الْمَوَاعِيدُ

وكتب آخر ما رأيت مثل طيب قولك أمره سوء فعلك ولا مثل بسط وجهك خالفه طول تنكيدك ولا مثل قرب عدتك باعدها افراط مطلق ولا مثل أنس مذاهبك أوحش منه اختبار عواقبك حتى كأن الدمر أودعك لطيف الحيلة بالمر بأهل الخلّة وكأنه زينك فيهم بالخديعة لتدرك منهم فرصة الهلكة * وقد قيل وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتأجيل * وقال بعضهم وعدتنا مواعيد عرقوب ومطائنا مطل نعاس الكلب وغررتنا غرور السراب ومنيتنا أمانى الكُمُون * ولبعضهم أما بعد فلا تدعنى معلقا بوعدك فلعذر الجميل أحسن من انطل الطويل فإن كنت تريد الانعام فأنجح وإن تعذرت الحاجة فواضح واعلمنى ذلك لأصرف وجه الطلب الى غيرك * وذكروا أن فتى من مراد كان يختلف الى عمرو بن العاص فقال له ذات يوم . ألك امرأة قال لا . قال فزوج وعليّ المهر . فرجع الى أمه فأخبرها الخبر فقالت

إذا حَدَّثْتُكَ النَّفْسُ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى مَا حَوَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ فَكَذِّبْ
قَتْرُوجَ وَأَتَى عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَاعْتَلَّ عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْجِزْ وَعْدَهُ فَشَكِيَ ذَلِكَ
إِلَى أُمِّهِ فَقَالَتْ . .

لَا تَغْضِبَنَّ عَلَى امْرِئٍ فِي مَالِهِ وَعَلَى كَرَأْتُمْ حُرٍّ مَالِكٍ فَاغْضِبْ
وَوَصَفَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ لَهُ بَشْرٌ مَطْمَعٌ وَمَطْلٌ مُؤَيَّسٌ وَكُنْتُ مِنْهُ
أَبْدًا بَيْنَ الطَّمَعِ وَالْيَأْسِ لَا بَذْلَ سَرِيحٍ وَلَا مَطْلَ مَرِيحٍ وَقَالَ أَعْرَابِي أَنَا مِنْ
فُلَانٍ فِي أُمَانِي تَهْبِطُ الْعَصَمُ وَخَلْفٌ يَذْكُرُ الْعَدَمُ وَلَسْتُ بِالْحَرِيصِ الَّذِي
إِذَا وَعَدَهُ الْكَذُوبُ عَلِقَ نَفْسَهُ لَدَيْهِ وَأَتَعَبَ رَاحِلَتَهُ إِلَيْهِ * وَذَكَرَ أَعْرَابِي
رَجُلًا فَقَالَ لَهُ مَوَاعِيدُ عَوَاقِبِهَا الْمَطْلُ وَثَمَارُهَا الْخُلْفُ وَمَحْصُولُهَا الْيَأْسُ
وَيُقَالُ سُرْعَةُ الْيَأْسِ أَحَدُ النُّجَجِينَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَوَاعِيدُ فُلَانٍ مَوَاعِيدُ
عَرَقُوبٍ وَاعِ الْآلِ وَبِرْقُ الْخَلَبِ وَأُمَانِي الْكُتْمُونَ وَنَارُ الْجَبَابِغِ وَصَلَفُ
تَحْتِ الرَّاعِدَةِ وَمَا قَبِلَ فِي ذَلِكَ

أَرْوَحُ وَأَغْدُو نَحْوَكُمْ فِي حَوَائِجِي
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو لِلصَّادِقِ شِفَاعَتِي
وَلَأَبِي نَوَاسٍ

وَعَدْتَنِي وَعَدَكَ حَتَّى إِذَا
جِئْتُ مِنَ اللَّيْلِ بِغَسَّالَةٍ
أَطْمَعَتَنِي فِي كَنْزِ قَارُونِ
تَغْسِلُ مَا قُلْتُ بِصَابُونِ

وَلَأَبِي تَمَامٍ

يَحْتَاجُ مَنْ يَرْتَجِي نَوَالَكُمُ
كُنُوزَ قَارُونٍ أَنْ تَكُونَ لَهُ
إِلَى ثَلَاثٍ مِنْ غَيْرِ تَكْذِيبِ
وَعُمَرُ نُوْحٍ وَصَبْرُ أَيُّوبَ

وقال آخر

إني رأيتُ من المكارمِ حسبكم

وقال حسان بن ثابت

إني لأعجبُ من قولٍ غرِزتُ به
لو تسمعُ العضمُ من ضمِّ الجبالِ به
كالخمرِ والشهدِ يجري فوق ظاهره
وكالسرابِ شبيهاً بالغديرِ وإن
لا ينبُتُ العشبُ عن برقٍ وراعدةٍ

وقال آخر

رأيتُ أبا عثمانٍ يذُلُّ عرضه
يحنُّ إلى جاراته بعدَ شبعه

وقال آخر

ما كنتُ أحسبُ أن الخبزَ فاكهةٌ
الحابسِ الرُّوثَ في أعفاجٍ بغلته

وقال آخر

نَوَالِكُ دُونَهُ خَرُطُ الْقَتَادِ
تَرَى الْإِصْلَاحَ صَوْمَكَ لِلنَّسْكِ
أَرَى عُمَرَ الرَّغِيفَ يَطُولُ جَدًّا

وقال آخر

أَنْ تَلْبَسُوا خَزَّ الثَّيَابِ وَتَشَبِعُوا

..

حُلُوٍ يَمْدُ إِلَيْهِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
ظَلَّتْ مِنَ الرَّأْسِيَّاتِ الْعَصَمُ تَنْحَدِرُ
وَمَا لِبَاطِنِهِ طَعْمٌ وَلَا خَبَرُ
تَبَعُ السَّرَّابِ فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
غَرَاءُ أَيْسَ لَهَا سَيْلٌ وَلَا مَطَرُ

وخبزُ أبي عثمانٍ في أحرازِ الحُرُزِ
وجاراته غرَّتني تحنُّ إلى الخبزِ

حتى نزلتُ على أوفى بن منصورٍ
خوفاً على الحبِّ من لقطِ العصافيرِ

وخبزُكَ كَالثَّرِيَّاءِ فِي الْبِعَادِ
وَكُنْ خَبْزُكَ مِنَ عَمَلِ الْفَسَادِ
لَدَيْكَ كَأَنَّهُ مِنْ قَوْمٍ عَادِ

اللَّوْمُ مِنْكَ عَلَى الطَّعَامِ طَبَاعُ
وَأِذَا يَمُرُّ بِيَابِ دَارِكَ سَائِلُ
وَعَلَى رَغِيظِكَ بَحِيَّةٌ مَسْمُومَةٌ
وَقَالَ آخِرُ

يَا تَارِكَ الْبَيْتِ عَلَى الضَّيْفِ
ضَيْفِكَ قَدْ جَاءَ بِخَبْرٍ لَهُ
إِذَا اشْتَهَى الضَّيْفُ طَبِيخَ الشِّتَا
وَلِنْ دَنَا الْمِسْكِينُ مِنْ بَابِهِ
وَقَالَ آخِرُ

أَرَى ضَيْفَكَ بِلْدَارِ
وَكَرْبُ الْجُوعِ يَحْشَاهُ
عَلَى خُبْرِكَ مَكْتُوبُ
سَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ

لَأَبِي نُوحٍ رَغِيفُ
أَبْدًا يَمْسَحُهُ الدَّهْرُ بِكُمْ
وَوَقَايَهُ
وَلَهُ كَاتِبُ سِرِّ خَطِّ فِيهِ بَعْنَايَهُ
فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ

وَقَالَ آخِرُ

الْخُبْرُ يُطَيِّحِينَ يَدْعُو بِهِ
كَأَنَّهُ يَقْدُمُ مِنْ قَافِ
وَيَمْدَحُ الْمِلْحَ لِأَصْحَابِهِ
يَقُولُ هَذَا مِلْحُ سِرَافِ
سَيَّانُ أَكُلُ الْخُبْرِ فِي دَارِهِ
وَقَلْعُ عَيْنِيهِ بِمُخْطَافِ

وقال آخر

فَقِيَ لَا يَغَارُ عَلَى عِرْسِهِ وَلَكِنْ يَغَارُ عَلَى خَبْزِهِ
فَمِنْهُ يَدُ الْجُودِ مَقْبُوضَةٌ وَكَفَّ السَّمَاحَةَ فِي عَجْزِهِ

وقال آخر

يَصُونُونَ أَثْوَابَهُمْ فِي الثُّخُوتِ وَأَزْوَاجُهُمْ بِذَلَّةٍ فِي السَّيْكَاتِ
يُنْحُونُ مَنْ رَامَ رُغْفَانَهُمْ وَيُذْنُونَ مَنْ رَامَ حَلَّ التَّيْكَاتِ

وقال آخر

أَمَّا الرَّغِيفُ عَلَى الْخُؤَا نِ فَمِنْ سَحَامَاتِ الْحَرَمِ
مَا إِنْ يُجَسَّ وَلَا يَمَسُّ وَلَا يُدَاقُ وَلَا يُشَمُّ
فَتَرَاهُ أَخْضَرَ يَا بَسًّا بِأَلَى الثُّقُوشِ مِنَ الْهَرَمِ

وقال آخر

أَتَيْنَا أَبَا طَاهِرٍ مَفْطَرِينَ إِلَى دَارِهِ فَرَجَعْنَا صِيَامَا
وَجَاءَ بِخَبْزٍ لَهُ حَامِضٍ فَقَلَّتْ دُعُوهُ وَمُوتُوا كِرَامَا

وقال آخر

يَبْخَلُ بِالْمَاءِ وَلَوْ أَنَّهُ مَنَعَمَسَ فِي وَسْطِ النَّيْلِ
شُحًّا فَلَا تَطْعَمُ فِي خَبْزِهِ وَلَوْ تَشَفَّعَتْ بِجَبْرِيلَ

وعن حذيفة بن محمد الطائفي قال قال الرشيد مالا أحد من المولدين م
نواس في الهجاء

وَمَا رَوْحُنَا لِتَذُبُّ عَنَّا وَلَكِنْ خِزْتِ زَرْيَةَ الدُّبَابِ
شِرَابُكَ كَالسَّرَابِ إِذَا تَقَيْنَا وَخَبْرُكَ عِنْدَ مُنْقَطِعِ التَّرَابِ

وقال آخر

خانَ عَهْدِي عَمْرٍو وما خُنْتُ عَهْدَهُ وَجَفَانِي وما تَغَيَّرْتُ بَعْدَهُ
لَيْسَ لِي ما جَبَيْتُ ذَنْبٌ إِلَيْهِ غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَغَدَّيْتُ عَنْدَهُ

وقال الخليل بن أحمد العروضي الأزدي

فَكَفَّاهُ لَمْ تُخْلَقَا لِلنَّدَى وَلَمْ يَكُ بَخْلُهُمَا بِدَعَهُ
فَكَفَّ عَلَيَّ الْخَبْرَ مَقْبُوضَةً كَمَا نَقَصَتْ مِائَةٌ تِسْعَهُ
وَكَفَّ ثَلَاثَةَ آلَافِهَا وَتِسْعُ مِثْهَالِهَا شِرْعَهُ^(١)

وقال ابن أبي البغل

وَكُلُّ مَنْ أَجْتَدِيهِ فِي بَلَدٍ أَرُومٌ مِمَّا لَدَيْهِ فِي صَفَدٍ
يَعْقُدُ لِي بِاللَّسَارِ أَرْبَعَةً مَنقُوصَةً تِسْعَةً إِلَى الْعَدَدِ

وقال آخر

أَتَيْتُ أَبَا عَمْرٍو أَرْجَى نَوَالِهِ فزَادَ أَبُو عَمْرٍو عَلَيَّ حَزَنِي حُزْنًا
فَكُنْتُ كَبَاغِي الْقَرْنِ أَسْلَمَ أُذُنُهُ قَابَ بِلَا أُذُنٍ وَلَمْ يَسْتَفِدْ قَرْنًا

(محاسن الشجاعة)

قيل كان باليمامة رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان
لسناً فائقاً شجاعاً شاعراً وكان قد أبرَّ على أهل هجر وناحيتها فبلغ ذلك

(١) - قلت في هامش الاصل مانصه وذكر جعفر بن محمد النيسبي في كتابه الجامع
في اللغة الشرعة المثل يقال هذا شرعة ذاك أي مثله وعلى هذا تأولوا قول الخليل رحمه الله
فكف وذكر الايات الثلاثة ثم قال ير يد مثلها أي مثل الاولى وأنا أرى أن تكون شرعة
هامنا ديناً وسنة قال هذا لها ديناً

الحجاج بن يوسف فكتب الى عامل اليمامة يوبخه بتلاعب جحدر به
ويأمره بالتجرد في طلبه حتى يظفر به فبعث العامل الى فتية من بني
يربوع بن حنظلة فجعل لهم جعلاً عظيماً ان هم قتلوا جحدرأ أو أتوه به
أسيراً ووعدهم أن يوفدهم الى الحجاج ويسنى فرائضهم فخرج الفتية في
طلبه حتى اذا كانوا قريباً منه بعثوا اليه رجلاً منهم يريه انهم يريدون
الانقطاع اليه والتحرم به فوثق بهم واطمان اليهم فينما هم على ذلك اذ شدوه
وثاقاً وقدموا به الى العامل فبعث به معهم الى الحجاج وكتب يثني على
الفتية فلما قدموا على الحجاج قال له أنت جحدر قل نعم قال ما حملك على
ما بلغني عنك قال جراءة الجنان وجفوة السلطان وكلب الزمان قال وما
الذي بلغ من أمرك فيجترى جنانك ويصلك سلطانك ولا يكلب زمانك
قال لو بلاني الامير لوجدني من صالحى الاعوان وبهم الفرسان ومن أوفى
على أهل الزمان قل الحجاج إنا قد ذفوك في قبة فيها أسد فان قتلك كفانا
مؤونتك وان قتلته خيلناك ووصلناك قل قد أعطيت أصاحك الله الامنية
وأعظمت المنة وقربت المحنة فأمر به فستوثق منه بالحديد وألقى في السجن
وكتب الى عامله بكسكر يأمره أن يصيد له أسداً ضارياً فلم يلبث العامل
لأن بعث اليه بأسود ضاريات قد أبرت على أهل تلك الناحية ومنعت عامة
مراعهم ومسارح دوابهم فجعل منها واحداً في تابوت يجر على عجلة فلما
قدموا به على الحجاج أمر فألقى في حيز وأجيع ثلاثاً ثم بعث الى جحدر
فأخرج وأعطى سيفاً ودلي عليه فمشى الى الأسد وأنشأ يقول

لَيْثٌ وَلَيْثٌ فِي مَكَانٍ ضَنْكَ كِلَاهُمَا ذُو أَنْفٍ وَمَحْكٍ

وَصَوْلَةٍ فِي بَطْشَةٍ وَفَتْكَ إِنَّ يَكْشِفُ اللَّهُ قِنَاعَ الشَّكِّ

وظفراً بجوْجُوٍّ وبركٍ فهو أحقُّ منزلٍ بتركٍ
الذَّئِبُ يَعْوِي والغُرَابُ يُنْكِي

حتى إذا كان منه على قدر ربح تخطى الأسد وزأر وحمل عليه فتلقاه
جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها وسقط الأسد كأنه خيمة قوضتها
الريح فأنثى جحدر وقد تلتطخ بدمه لشدة حملة الأسد عليه فكبر الناس
فقال الحجاج يا جحدر ان أحببت أن ألحقك ببلاك وأحسن صحبتك
وجائزتك فعلت بك وإن أحببت أن تقيم عندنا اأقت فأسنينا فريضتك
قال أختار صحبة الأمير ففرض له وللمجاعة أهل بيته وأنشأ جحدر يقول

يا جملُ إنك لو رأيتِ بسآلي	في يومٍ هينٍ مُرْدِفٍ وعِجاجٍ
وتقدّمي للآثِ أَرْسُفُ نَحْوُهُ	حتى أكا بدُهُ على الإِجْراجِ
جَهَنَّمُ كَأَنَّ جَبِينَهُ لَمَّا بَدَا	طَبَقُ الرِّيحَا مُتَفَجِّرُ الْأَثْبَاجِ
يَرْنُو بِنَاطِرَتَيْنِ تَحْسِبُ فِيهِمَا	مَنْ ظَنَّ خَالَهُمَا شِعَاعَ سِرَاجِ
شَنْنُ بَرَائِنُهُ كَأَنَّ نِيُوبَهُ	زُرْنُقُ الْمَعَاوِلِ أَوْ شَذَاةُ زُجَاجِ
وَكأنما خِيطَتُ عَلَيْهِ عِبَاءُهُ	بَرْقَاهُ أَوْ خَلَقْتُ مِنَ الدِّيَبَاجِ
قِرْنَانِ مُخْتَصِرَانِ قَدَرَبْتُهُمَا	أُمُّ الْمَنِيَةِ غَيْرُ ذَاتِ تِتَاجِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أُيِّتُ نَزَالُهُ	أَنَّى مِنَ الْحَجَّاجِ لَسْتُ بِنَاجِ
فَمَشَيْتُ أَرْسُفُ فِي الْحَدِيدِ مُكَبَّلًا	بَلَمُوتِ نَفْسِي عِنْدَ ذَاكَ أَنَا جِي
وَالنَّاسُ مِنْهُمْ شَامِتٌ وَعِصَابَةٌ	عَبْرَانُهُمْ لِي بِالْحُلُوقِ شَوَاجِي
فَفَلَقْتُ هَامَتَهُ فخرًا كَأَنَّهُ	أَطْمُ تَقْوُضَ مَائِلَ الْأَبْرَاجِ

نَمْ اثْنَيْتُ فِي قَبْصِي شَاهِدٌ مِمَّا جَرَى مِنْ شَاخِبِ الْأَوْجِ
 أَيْقَنْتُ أَنِّي ذُو حِفَاطٍ مَاجِدٌ مِنْ نَسْلِ أَمْلَاحِ ذَوِي أَوْجِ
 فَلَنْ قُدِّتُ إِلَى الْمَنِيَّةِ عَامِدًا إِنِّي لَخَيْرُكَ بَعْدَ ذَلِكَ رَاجِ
 عَلِمَ النِّسَاءُ بِأَنِّي لَا أَتْنِي ^(١) أَذْ لَا يَتَقَنَّ بَغِيرَةَ الْأَوْجِ

وحكي عن الطفيل بن عامر العمري قال خرجت ذات يوم أريد الغارة
 وكنت رجلاً أحب الوحدة فيينا أنا أسير اذ ضللت الطريق الذي أردته
 فسرت أياماً لا أدري أين أتوجه حتى نفذ زادي فجعلت آكل الحشيش
 وورق الشجر حتى أشرفت على الهلاك واثنت من الحياة فيينا أنا أسير
 اذ ابصرت قطع غنم في ناحية من الطريق فلت إليها واذا شاب حسن
 الوجه فصيح اللسان قال لي يا ابن العم أين تريد فقلت أردت حاجة لي في
 بعض المدن وما أظنني الا قد ضللت الطريق فقال أجل ان بينك وبين الطريق
 مسيرة أيام فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك فزلت فرسي لفرسي
 حشيشاً وجاء إلى بزيد كثير ولبن نم قام الى كبش فذبحه وأجج ناراً
 وجعل يكب لي ويطعمني حتى اكنفت فلما جننا الليل قام وفرش لي
 وقال قم قارم بنفسك فان النوم اذهب لتعبك وارجع لنفسك فقمتم ووضع
 رأسي فيينا أنا نائم اذ أقبلت جارية لم تر عيناها مثلها قط حسناً وجالاً
 فقعدت الي الفتى وجعل كل واحد منهما يشكو الى صاحبه مايلتي من
 الوجد به فامتنع علي النوم لحسن حديثهما فلما كان في وقت السحر قامت
 الى منزلها فلما أصبحنا دنوت منه فقلت له ممن الرجل قال أنا فلان بن فلان
 فانتسب لي فعرفته فقلت له ويحك ان أباك لسيد قومه فما حملك على وضعك

(١) المشهور في رواية البيت (من ينار على النساء حفيظة البيت الخ

مك في هذا المكان فقال أنا والله اخبرك كنت عاشقاً لابنة عمي هذه
 رأيتها وكانت هي أيضاً لي وامقة فشاع خبرنا في الناس فأثبت عمي
 ألتة أن يزوجه فقال يا بني والله ما سألت شططاً وما هي بآثر عندي منك
 لكن الناس قد تحدثوا بشيء وعمك يكره المقالة القبيحة ولكن انظر
 لها في قومك حتى يقوم عمك بالواجب لك فقلت لا حاجة لي فيما ذكرت
 حملت عليه بجماعة من قومي فردهم وزوجها رجلاً من ثقيف له رئاسة
 در فحملها الى ههنا (وأشار بيده الى خيم كثيرة بالقرب منا) فضاعت
 في الدنيا برحبها وخرجت في أثرها فلما رأته فرحت فرحاً شديداً فقلت
 لا تخبري أحداً أنني منك بسبيل ثم أتيت زوجها وقلت أنا رجل من
 زدت أصبت دماً وأنا خائف وقد قصدتك لما أعرف من رغبتك في
 سطناع المعروف ولي بصير بالغنم ان رأيت أن تعطيني من غنمك شيئاً
 كوني في جوارك وكنفك فافعل : قال نعم وكرامة فأعطاني مائة شاة
 مال لي لا تبعد بها من الحى وكانت ابنة عمي تخرج الى كل ليلة في الوقت
 ي رأيت وتنصرف فلما رأى حسن حال الغنم أعطاني هذه فريضت من
 نيا بما ترى قال فأقمت عنده أياماً فيينا أنا نائم اذ نهني وقال يا أخا بني عامر
 ت له ما شأنك قال ان ابنة عمي قد ابطأت ولم تكن هذه عادتها ووالله
 أظن ذلك الا لأمر حادث فحدثني فجعلت أحده فأنشأ يقول

ما بال مية لا تأتي كعادتها	هل حاجها طرب أو صد هاشغل
لكن قلبي لا يعنيه غيركم	حتى الممات ولا لي غيركم أمل
لو تعلمين الذي بي من فراقكم	لما اعتذرت ولا طابت لك العلل
نفسى فداؤك قد أحللت بي حرّاً	تكاد من حرها الأحشاء تنفصل

لَوْ كَانَ عَادِيَّةً مِنْهُ عَلَى جَبَلٍ لَزَلَّ وَانْهَدَّ مِنْ أَرْكَانِهِ الْجَبَلُ

فوالله ما اكتحل بنعمض حتى انفجر عمود الصبح وقام ومرت نحو
الحى فأبطأ عني ساعة ثم أقبل ومعه شيء وجعل يبكي عليه . فقلت له ما
هذا قال هذه ابنة عمي افترسها السبع فأكل بعضها ووضعها بالقرب مني
فأوجع والله قلبي ثم تناول سيفه ومرت نحو الحى فأبطأ ضيقاً ثم أقبل الى
وعلى عاتقه ليث كأنه حمار فقلت له ما هذا قال صاحبي قلت وكيف علمته
قال اني قصدت الموضع الذي أصابها فيه وعلمت أنه سيعود الى ما فضل منها
فجاء قاصدا الى ذلك الموضع فعلمت أنه هو شعلت عليه فقتلته ثم قام خفراً
في الأرض فأمعن وأخرج ثوباً جديداً وقال يا أخا بني عمار اذا أنا مت
فادرجنى معها في هذا الثوب ثم ضعنا في هذه الحفرة وأهل التراب واكتب
هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام

كُنَّا عَلَى ظَهْرِهَا وَالْعَيْشُ فِي مَبَلٍ وَالْدَّهْرُ يَجْمَعُنَا وَالِدَارُ وَالْوَطَنُ
فَخَانَنَا الدَّهْرُ فِي تَفْرِيقِ الْفَتَا وَالْيَوْمُ يَجْمَعُنَا فِي بَطْنِهَا الْكُفَرُ
ثُمَّ التَفْتُ إِلَى الْأَسَدِ وَقَالَ

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْثُ الْمَذْلُ بْنُ مَفْلُ هَبْلَيْتَ لَقَدْ جَرَّتْ يَدَاكَ لَنَا حُرْنَا
وَوَغَادَرْتَنِي فَرْدَاً وَقَدْ كُنْتُ الْفَا وَصَيَّرْتَ آفَاقَ الْبِلَادِ لَنَا سَجْنَا
أَصْغَبُ دَهْرًا خَالِي بِفِرَاقِهَا مَعَاذَ إِلَهِي أَنْ أَكُونَ لَهُ خَدْنَا

ثم قال يا أخا بني عامر اذا فرغت من شأننا فصبح في أدبار هذه النعم
فردها الى صاحبها ثم قام الى شجرة فختق حتى مات فقامت فأدرجتهما في
ذلك الثوب ووضعتهما في تلك الحفرة وكتبت البيتين على قبرهما ورددت

ثم الى صاحبها وسألني القوم فأخبرتهم الخبر فخرج جماعة منهم فقالوا والله
 حزنٌ عليه نعظماً له فخرجوا وأخرجوا مائة ناقة وتسامع الناس فاجتمعوا
 ما فصحرت ثلاثمائة ناقة ثم انصرفنا * وقيل لما كان من أمر عبد الرحمن بن
 أشعث الكندي ما كان قال الحجاج اطلبوا لي شهاب بن حرة السعدي
 الأسرى أو القتي فطلبوه فوجدوه في الأسرى فلما أدخل على الحجاج
 له من أنت قال أنا شهاب بن حرة قال والله لأقتلك قال لم يكن الأمير
 ذي يمتاني قال ولم قل لان في خصالا يرغب فيهن الأمير قال وما هن قال
 روب بالصفحة هزوم للكتيبة أحمى الجار وأذب عن الذمار وأجود على
 مسر واليسر غير بطيء عن النصر قال الحجاج ما أحسن هذا الخصال فأخبرني
 شد شيء مرا عليك قال نعم أصاح الله الأمير

ينف أنا أسير * ومر كبي وثير * في عصابة من قومي
 في ليالي ويومي * يمضون كالاجادل * في الحرب كالبواسل
 أنا المطاع فيهم * في كل ما يليهم * فسرت خمساً عوماً
 وبعد خمس يوماً * حتى وردت أرضاً * ما ان ترام عرضاً
 من بلد البحرين * عند طلوع العين * فهجتهم نهارة
 ألتس المغارة * حتى اذا كان السحر * من بعد ما غاب القمر
 اذا أنا بعير * يقودها خفير * موقرة متاعا
 مقبلة سراعا * فصلت باللسان * مع سادة فتيان
 فسقتها جميعاً * أحشأ سريعاً * أريد رمل عاجل
 أمتع بالعناجيج * أسير في الليالي * خرقا بعيداً خالي
 وقد لقينا تعباً * وبعد ذاك نصبا * حتى اذا هبطنا

من بعد ما صعدنا * غنت لنا كيدانه * قد كان فيها عانه
 رميتها بقوسى * فى مهمه كالترس * حتى اذا ما أمعنت
 بالقفر ثم درمت * وردت قصرا منهلا * فى جوفه طام حلا
 وعنده خيمه * فى جوفها نعيمه * عزيزه كالشمس
 فاقت جميع الانس * فعجت مهري عندها * حتى وقفت معها
 حيث ثم ردت * فى لطف وحيث * فقلت يا لعوب
 والطفة العروب * هل عندكم قراء * إذ نحن بالعرء
 قلت نعم برحب * فى لطف وقرب * اربع هنا عتيدا
 ولا تكن بعيدا * حتى يحبك عامر * مثل الهلال زاهر
 فعجت عن قريب * فى بطن الكتيب * حتى رأيت عامرا
 يحمل لينا خدرأ * على عتيق سانح * كمثل طود الملامح

قل وكان الحجاج متكئا فستوى جالسا ثم قل ويحك دعنا من السجع
 والرجز وخذ فى الحديث . قل نعم أيها الأمير ثم نزل فربط فرسه وجمع
 حجارة وأوقد عليها نارا وشق عن بطن الأسد وألقى مراقه فى النار فجعلت
 اصالح الله الأمير أسمع للحم الاسد نحيبا فقالت له نعيمة قد جاءنا ضيف
 وأنت فى الصيد . قل فما فعل قالت ها هو ذاك يظهر الكتيب والخيمة
 فأومأت الى قائمتها فذا أنا بعلام أمرد كان وجهه دارة القمر فربط فرسي
 الى جنب فرسه ودعاني الى طعامه فلم أمتع من أكل لحم الاسد لشدة
 الجوع فأكلت أنا ونعيمة منه بعضه وأتى الغلام على آخره ثم مال الى زق
 فيه خمر فشرب ثم سقاني فشربت ثم شرب الغلام حتى أتى على آخره فبينما
 نحن كذلك اذ سمعت وقع حوافر خيل أنحبابي فقممت وركبت فرسي

وتناولت رمحي وصرت معهم ثم قلت يا غلام خل عن الجارية ولك ما سواها
فقال ويلك احفظ المألحة . قلت لا بد من الجارية فالتفت اليها وقال لها قني
ثم قال يا فتيان هل لكم في العافية والا فارس وفارس فبرز اليه رجل من
اصحابي فقال له الغلام من أنت فلست أقاتل من لا أعرفه ولا أقاتل إلا
كفؤا أعرفه . فقال أنا عاصم بن كلبه السعدي فشده عليه . وأنشأ يقول

إنك يا عاصمُ بي لجاهل إذ رُمْتَ أمراً أنت عنه ناكِل
لاني كمي في الحرُوبِ بأسل ليثُ إذا اصطك اللُّيُوثُ بازل
خرابُ هَماماتِ العِدا مُنازل قَتَلُ أقرانِ الوِغا مُقاتِل

ثم طعنه فقتله وقال : يا فتيان هل لكم في العافية والا فارس وفارس
فتقدم اليه آخر من أصحابي فقال له الغلام : من أنت . فقال : أنا صابر بن
حرقة فشده عليه وأنشأ يقول

إنك والايه لست صابراً على سنانٍ يَجْلِبُ المَقادِرا
ومُتَصِلُ بِمِثْلِ الشَّبابِ باتراً في كَفَرٍ قَرَمَ يَمْنَعُ الحِرائِرا
اني اذا رُمْتُ أمراً فأسيراً يكونُ قِرْنِي في الحرُوبِ بائِرا

ثم طعنه فقتله وقال . يا فتيان هل لكم في العافية والا فارس لفارس
فلما رأيت ذلك هالني أمره وأشفقت على أصحابي فقتلت . احملوا عليه حملة
رجل واحد فلما رأى ذلك أنشأ يقول

الآن طاب الموتُ ثم طاباً إذ تَطْلُبُون رَخْصَةَ كَعابا
ولا نريدُ بَعْدَها عِتابا

فركبت نعيمة فرسها وأخذت رمحها فما زال يجالدها ونعيمة حتى قتل

منا عشرين رجلاً فأشفقت على أصحابي فقلت : يا غلام قد قبلنا العافية والسلامة . فقال ما كان أحسن هذا لو كان أولاً ونزلنا وسألنا ثم قلت يا عامر بحق المبالغة من أنت قال أنا عامر بن حرقمة الطائي وهذه ابنة عمي ونحن في هذه البرية منذ زمان ودهر مامر بنا النسي غيركم فقلت من أين طعامكم قال حشرات الطير والوحش والسباع قلت فمن أين شرابكم قال أحمر أجلبها من بلاد البحرين كل عام مرة أو مرتين قلت ان معي مائة من الإبل موقرة متاعاً نخذ منها حاجتك فقال لا أرب لي فيها ولو أردت ذلك لكنت أقدر عليه فارتحلنا عنه متصرفين . فقال الحجاج الآن يا عبدو الله شاب قتلك لغدرك بالفتى قال كان خروجي على الأمير أساحه استأعظه من ذلك فان عفى عني الأمير رجوت أن لا يؤخذني بغيره فأطلقه ووصلنا وورده إلى بلده

❦ ضده ❦

قال . دخل أبو زبيد الطائي على عثمان بن عفان في خلافته وكان نصرانياً فقال له بلغني أنك تحيد وصف الأسد . فقال له لقد رأيت منه منظراً وشهدت منه خيراً لا يزال ذكره يتجدد علي قايي . قال هات مأمراً علي رأسك منه . قال خرجت يا أمير المؤمنين في صيابة من افناء قبائل العرب ذوي شارة حسنة ترمى بنا المياري بكسائها القز والبات ومعنا البغال عليها العبيد يتودون عتاق الخيل نريد الحمارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام فاخروط بنا المسير في حمارة القيظ حتى اذا عصبت الأفواه وذبلت الشفاه وشالت المياه واذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصبيخند وصر الجندب وضايق العصفور الضب في وجاره قال قائمنا . أيها الركب غوروا بنا في دوح هذا الوادي فاذا واد كثير الدغل دائم الغلل شجراؤه مغنة

وأطياره مرتة فططنا رحالنا بأصول دوحات كنهلات فأصبنا من فضلات
المزاود واتبعناها بالماء البارد فانا لنصف حراً يومنا ومماطاته ومطاولته إذ
صر أقصى الخيل أذنيه وشمس الأرض بيديه ثم ما لبث أن جال فحمم
وبال فهمهم ثم فعل فعلة الذي يليه واحد بعد واحد فتضععت الخيل
وتكعكت الابل وتقهقرت البغال فن نافر بشكله وناهض بعقاله فعلمنا
أن قد أثينا وأنه السبع لاشك فيه فنزع كل امرئ منا الى سيفه واستله
من جربانه ثم وقفنا به رزداً فأقبل يتظالع في مشيته كانه مجنوب أو في
عبار الصلوة نحيط وللبلا عيسه غطيظ أو لظرفه وميض ولا رساغه نقيض
كأنما نحيط هيباً أو يضاً صريماً وإذا هامة كالجن وخد كالسن وعينان
سجراوان كأنهما سراجان يقدان وقصرة ربالة ولهمزة رهلة وكند مغبط
وزور مفروط وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شنة البرائن الى مخالب
كالخاجن ثم ضرب بذنبه فرهج وكشر فافرج عن ألياب كالمعاول
مصقولة غير مفلولة وفم شدق كالغار الأخرق ثم تطلّى فأسرع بيديه
وحفز وركبه برجابه حتى صار ظله مثليه ثم أقعي فاقشعر ثم مثل فاكفهر
ثم تجههم فزبار فلا والذي بيته في السماء ما تقيناه بأول من أخ لنا من بني
فزاره كان ضخم الجزاره فوهده ثم أقعصه فقضةض متنه وبقر بطنه فجفل
يلغ في دمد فدمرت أصحابي فبعد لأي ما استقدموا فكر مقشعر الزبرة كان
به شيهما حولياً فاختلج من دوني رجلا أعجر ذا حوايا ففضه نفضة فزابلت
أوصاله وانقطعت أوداجه ثم نههم فقرقر ثم زفر فبربر ثم زار فجر جر ثم
لحظ فوالله خلعت البرق يتطير من تحت جفونه عن شماله ويمينه فارتعشت
الأيدي واصطكت الأرجل وأطت الاضلاع وارتجت الأسماع وحملجت

العيون وأنخزلت المتون ولحقت الظهور البطون ثم ساءت الظنون .
وأنشأ يقول

عَبُّوسٌ شَمُوسٌ مُصْلِحِدٌ خُنَابِسٌ جَرِيٌّ عَلَى الْأَزْوَاجِ لِلْقَرْنِ قَاهِرٌ
مَنْعٌ وَيَحْمِي كُلَّ وَادٍ بَرُومُهُ شَدِيدُ أَصُولِ الْمَاضِعِينَ مُكَابِرٌ
بَرَائْتُهُ شَتْنٌ وَعَيْنَاهُ فِي الدَّحْجَى كَجَمْرِ الْغَضَا فِي وَجْهِهِ الشَّرُّ ظَاهِرٌ
يُدِلُّ بِأَنْيَابٍ حِدَادٍ كَأَنَّهَُا إِذَا قَلَصَ الْأَشْدَاقُ عَنْهَا خَنَاجِرٌ

فقال عثمان اكفف لأم لك فلقد أرعبت قلوب المسامين ولقد وصفته
حتى كأنى أنظر إليه يريد يوانبى وقيل في المثل هو أجبن من هيرس - وهو
القرد - وذلك أنه لا ينام الا وفي يده حجر مخافة أن يأكله الذئب . وحدثنا
رجل بمكة قال اذا كان الليل رأيت القروء تجتمع في موضع واحد ثم تبيت
مستطيلة واحداً في أثر واحد في يد كل واحد منهم حجر لئلا ترقد فبأنتها
الذئب فيأكلها وان نام واحد وسقط الحجر من يده فزع فتجرك الآخر
فصار قدامه فلا تزال كذلك طول الليل فتصبح وقد سارت من الموضع
الذي باتت فيه على ثلاثة أميال أو أكثر جبناً . وقيل هو أجبن من صافر
وهو طائر يتعلق برجليه وينكس رأسه ثم يصفر ليلته كلها خوفاً من أن
ينام فيؤخذ . وقيل أيضاً هو أجبن من المنزوف ضرطاً . وكان من حديثه
أن نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن برجل كان
ينام الى الضحى فإذا اتبه ضربته وقان له قم فاصطبح ويقول . لو لعادية
نبهتني - أي خيل عادية عليكن مغيرة فادفعها عنكن - فلما رأى ذلك
فرحن وقلن إن صاحبنا لشجاع ثم أقبلن وقلن تعالين نجربه فأتينه كما كن

يأتينه فأيقظنه فقال لو لعادية نبهتني فقلن له نواصي الخيل معك . فجعل
يقول الخيل الخيل ويضطر حتى مات فضرب به المثل . وقيل لجبان انهزمت
فغضب الامير عليك قال يغضب الامير وأنا حي أحب الي من أن يرضى
وأنا ميت وقيل لبعض الحنان مالك لا تغزو قال والله اني لا بغض الموت على
فراشي فكيف أمر اليه ركضاً . قال وقال الحجاج لحمد الارقط وقد
أنشده قصيدة يصف فيها الحرب يا حميد هل قاتلت قط قال لا أيها الامير
إلا في النوم قال وكيف كانت وقعتك قال انتبهت وأنا منهزم ومما قيل في
ذلك من الشعر

وللشجاعة خطب غير مجهول
أوجدك ألف جبان غير مقتول
يتم العيال وإشكال المناكيل
يغدون للموت كالطير الأبايل
بالنصر ما خاطرت نفسي لجبريل
فكل هذا نعم فاغروا بتعزيلي
كان أعذارى رديداً غير مقبول
خلاف بأس المساعير البهاليل
شما تشرع في عرضي وفي طولي
رنجي كبير وسيفي غير مصقول
وانصغت أطوي الفلاميل إلى ميل
حتى تخلصت من غضوب السراويل

ظلت تشجني هند بتضليل
هاني شجاعا غير القتل مصرعه
الحرب توسع من يضل بها حرباً
اسم الوغى اشتق من غوغاء بحرها
والله لو أن جبريلا تكفل لي
هل غير أن يعذروني أني فشال
إن أعذر من فرأى في الوغى أبداً
اسمع أخبرك عن بأسى بدي سلب
لما بدت منهم نحوى عشورته
قلت وبحكم لا ترهبوا جلدي
لما اتقيتهم طوعاً بذات يدي
الله خلصني منهم وفلسفتي

وقال آخر

أضحتْ تُشجّعني هِنْدُ فقلتُ لها إنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ
لا والذي حَبَّتْ الأَنْصَارُ كَعَبْتَهُ ما يَشْتَعِي المَوْتَ عِنْدِي مَنْ لَهُ أَرْبُ
للْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللهُ سَمِيحَهُمُ إِذَا دَعَيْتَهُمْ إِلَى حَوَامَاتِهَا وَثَبُوا
ولستُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمُ لَا الْقَتْلُ يُعْجِزُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّلْبُ

وقال آخر

يقولُ لى الأَمِيرُ بغيرِ جُرمٍ تَقَدَّمَ حِينَ حَلَّ بِنَا المِرَاسُ
فمَالِي إِنْ أَطَعْتُكَ فِي حَيَاقٍ وَلَا لِي غَيْرُ هَذَا الرَّاسِ رَاسُ

(محاسن حب الوطن)

قال عمر بن الخطاب لولا حب الوطن لخرب بلد السوء وكان يقال بحب
الوطن عمرت البلدان وقال جالينوس يتروح العليل بنسيم أرضه كيتروح
الأرض الجذبة ببل المطر . وقال بقراط يداوى كل عايل بعقاقير أرضه
فان الطبيعة تنزع الى غذائها ومما يؤكد ذلك قول اعرابي وقد مرض
بالخضر فقيل له ما تشتهي فقال غيضاً رويأ وضباً مشويأ . وقد قيل أحق
البلدان بزراعك اليها بلد أمصك حب رضاعه . وقيل احفظ أرضاً
أرسخك رضاعها وأصلحك غذاؤها وارع حمى اكتنفت فئاؤه . وقيل
لا تشك بلدا فيه قبائلك وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى
أوطانها مشتاقة والى مولدها تواقفة . وحدثنا بعض بني هاشم قال قلت
لاعرابي من أين أقبلت قال من هذه البادية قلت وأين تسكن منها قال
مساقط الحمى حمى ضرية ما ان لعمر الله أريد بها بدلاً ولا أبتغي عنها حولاً

حفتها الفلوات فلا يملوحُ مأوها ولا تحمي تربتها ليس فيها أذى ولا قذى
ولا وعك ولا موم ونحن بأرفه عيش وأوسع معيشة وأسبغ نعمة قلت
مم طعامكم قال مخرج المخرج الهيب والضبب واليرابيع مع القنافذ والحيات وربما
والله أكلنا القد واشتوينا الجلد فلا نعلم أحداً أخصب منا عيشاً فالحمد لله
على ما رزق من السعة وبسط من حسن الدعة . وقيل لاعرابي كيف تصنع
بالبادية اذا انتصف النهار وانتعل كل شيء ظله . قال وهل العيش الا ذاك
يمشي أحدنا ميلاً فيرفض عرقاً كأنه الجمان ثم ينصب عصاه ويأتي عليها كساة
وتقبل الرياح من كل جانب فكأنه في إيوان كسرى وقال بعض الحكماء
عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك . وقيل لاعرابي ما الغبطة قال
الكفاية ولزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان . وقيل فما الذل قال التنقل
في البلدان والتنحي عن الاوطان . وقال بعض الادباء الغربية ذلة والذلة قلة
وقال الآخر لا تنهض عن وطنك ووكرك فتنقصك الغربية وتصمتك
الوحدة وشبهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذي تشكل أبويه فلا أم
ترأه ولا أب يحذب عليه وكان يقال الغريب عن وطنه ومحل رضاه
كالغرس الذي زایل أرضه وفقد شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضرب
وكان يقال الجمالي عن مسقط رأسه كالغیر الناشئ عن موضعه الذي هو لكل
سبع فريسه ولكل كلب قنيصه ولكل رام رمية واحسن من ذلك وأصدق
قول الله عز وجل (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) وقال تعالى (ولو
أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل
منهم) فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل وقال تقدست أسماؤه
(وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) فجعل

القتال بازاء الجلاء . وقال النبي صلى الله عليه وسلم الخروج عن الوطن عقوبة ومما قيل في ذلك من الشعر

اذا ما ذكرت التفرقات مدامي
واضحى فؤادي نهبةً للهامم
حينئذ الى ارض بها اخضر شاربى
وحلت بها عنى عقود التمام
والطف قومى بالفتى اهل ارضه
وارعاهم للمرء حق التقادم

وقال آخر

أحن الى ارض الحجاز وحاجتى
خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظرى من نحو نجد بناهى
أجل لا ولكنى على ذاك أنظر
ففى كل يوم نظرة ثم عبدة
لعينيك يجرى ماؤها يتحدّر
مضى يستريح قلب فامّا محاذر
حزين وإمّا نازح يتذكر

وقال آخر

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل فى الأرض يألفه الفتى
وحينه أبداً لأول منزل

وقال ابن أبى السرح قرأت على حائط بيتي شعر وهما

إن الغريب ولو يكون يئادة
يحبى اليه خراجها لغريب
وأقل ما يلقى الغريب من الأذى
أن يستذل وأن يقال كذوب
قال وقرأت على حائط بعسكر مكرم

إن الغريب اذا ينادى موجعاً
عند الشدائد كان غير محاب
فاذا نظرت الى الغريب فكأن له
مترحمًا ليأعده الأجاب

وقال وقرأت على حائط ببغداد

جميعُ سُؤالِهِ ابنُ الطريقِ
كما يَتعلَّقُ الرَّجُلُ الغريقُ
على حالاتِهِ سَعَةً وضيقُ

غريبُ الدَّارِ ليسَ لَهُ صَدِيقُ
تَعلَقَ بالسُّؤالِ لِكُلِّ شَيْءٍ
فلا تَجزَعُ فكلُّ فتي سَياني

قال ورجدت على حائط باب مكتوباً

رَحَلْنَا وَخَلَفْنَاكَ غَيْرَ ذَمِيمٍ
فما أَحَدٌ مِنْ رِيِّهَا بِسَلِيمٍ

عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ يا خَيْرَ مَنزِلٍ
فانْ تَكُنِ الأَيامُ فَرَقَنَ بَيْنَنا

وقال آخر

ولا فاقَةَ يَسْمُوها لَعَجِبُ
ونالَ ثِراءً أنْ يُقالَ غَرِيبُ

وإنْ اغْتَرابَ المرءُ مِنْ غيرِ حاجَةٍ
فحَسبُ امرئٍ ذُلًّا ولو أدركَ الغنى

وقال آخر

لَمُعَذِّبٍ وفُؤادُهُ مَحزُونُ
ومُفارقاً يا رَبِّ كيفَ يَكُونُ

إنَّ الغَرِيبَ وإنْ يَكُنْ في غِبطَةٍ
ومَتى يَكُونُ معَ التَّغَرُّبِ عاشِقاً

وقال آخر

لو أَنَّهُ مَلِكٌ كُلُّ الوَرى مَلِكاً
حَنَّ الغَرِيبُ إلى أوطانِهِ فَبكى

إنَّ الغَرِيبَ دَلِيلُ ابنِ ماسَلَكِ
إذا تَغَنَّى سَحامُ الأيْلِ في غُصْنٍ

وقال آخر

فكم قَدْ رَدَّ مِثْلَكَ مِنْ غَرِيبٍ
ولا تَيأسُ مِنَ الفَرَجِ الغَرِيبِ

سَلِّ اللَّهُ إلى بابٍ مِنَ المَغِيبِ
وَسَلِّ الحَزْنَ مِنْكَ بِمُحْسِنِ ظَنِّ

وقال آخر

تصبرٌ ولا تعجلْ وقيت من الردى
فقلت وفى قلبى جوى لفراقها
لعلَّ إيلابَ الظَّاعِنينَ قريبُ
ألا لا تصبرنى فليستُ أجيبُ

وقال آخر

أعاذلَ حبي للغريبِ سَجِيَّةُ
لئن قلتُ لم أجزع من البينِ إن مضوا
وكلَّ غريبٍ للغريبِ حبيبُ
فماضتْ لها من مُتَلاتِي غروبُ
لطيِّبهمْ إلي إذا الكدوبُ
بلي غيِّراتِ الشوقِ أضرمتِ الحشا

وقال آخر

إذا اغترب الكريمُ رأى مودرا
بجودِ يثيبُ لها الوليدُ

وقال آخر

ما كنتُ أحسبُ أن يكونَ
بخلُ الزمانِ على أن
نبتى كما كنا جميعا
فأحسنى فى بلدٍ
ن كذا تفرقنا سريعا
قد كنتُ أُنظِرُ الوسا
ل فصرتُ أُنظِرُ الرجوعا

وقال آخر

نسيمُ الخزامى والرياحُ التى جرتُ
أثاني نسيمُ السدرِ طيباً الى الحمى
نجد على نجدٍ نذ كرتي نجداً
فد كرتي نجداً ففقمعنى وجداً

وفي معناه ^{في} الدماء للمسافر * بأيمن طالع واسر طائر . ولا كبا بك
مركب ولا آشت بك مذهب ولا تعذر عليك مغتاب . سهل الله لك السير
وأنا لك القصد وظوى لك البعد بمسرة الظفر وكرامة المدخر . على الطائر

الميمون والكوكب السعد الى حيث تتقاصر أيدي الحوادث عنك وتتقاعس
نوائب الايام دونك بسهولة المطالب ونجاح المنقلب . كان الله لك في سفرك
خفيرا وفي حضرك ظهيرا بسعي نجيح وأوب سريح . بصرك الله محلك
وهذاك رحلك وأسر بأوبتك أهلك ولا زلت آمناً مقياً وظاعنا بأسعد جد
وأنجح مضطرب وأسر منقلب وأكرم بدأة وأحمد عاقبة . اشخص مصحوباً
بالسلامة والكلاءة آيها بالنجح والغبطة محوطاً فيما تطالعه بالعناية والشفقة
في ودائع الله وكنفه وجواره وستره وأمانه وحفظه وضمائه . وقال رجل
للنبي صلى الله عليه وسلم : انى أريد سفرا . فقال في كنف الله وستره
زودك الله التقوى ووجهك الى الخير حيث ما كنت أستخلف الله فيك
وأستخافه منك . وقال الشاعر

في كنفِ الله وفي سترِهِ مَنْ لَيْسَ يَخْلُو الْقَلْبُ مِنْ ذِكْرِهِ

وقال آخر

إِرحلْ أبا بشرٍ بأيمن طائرٍ وعلى السَّعادةِ والسَّلامةِ قَانِزِلِ

(ضده)

قل بعض حكماء الفلاسفة اطلبوا الرزق في البعد فانكم ان لم تكسبوا
مألاً غنتم عقلاً كثيراً . وقال آخر لا يألف الوطن إلا ضيق العطن * وقيل
لا توحشك الغربة اذا آنستك النعمة . وقيل الفقير في الأهل مصروم
والغنى في الغربة موصول . وقال لا تستوحش من الغربة اذا أنست مصروما
. وقيل أوحش قومك ما كان في ايجاشهم أنسك واحجر وطنك ما نبت عنه
نفسك . وأنشد

لا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضُ الْعِيشِ فِي دَعَا
نَزُوعَ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانِ
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلْتَ بِهَا
أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانِ
وقال آخر

نَبَتْ بِكَ الدَّارُ فَيَسِّرْ آمِنًا فَلَفَّقِي حَيْثُ انْتَهَى دَارُ

وفي معناه ﴿الدعاء على المسافر﴾ بالبارح الأثام والسائح الأعضب
والصرد الأ نكد والسفر الأبعد . لا استمرت به مطيته ولا استتبت به أمنيته
ولا تراخت منيته . بنحس مستمر وعيش مر لا قرى اذا استضاف ولا
أمن اذا خاف . ويقال ان علياً عليه السلام لما اتصل به مسير معاوية قال لا
أرشد الله قائدته ولا أسعد رائده ولا أصاب غيئاً ولا سار إلأ ريثاً ولا رافق
إلا ليناً أبعد الله وأسحقه وأوقد على أنره وأحرقه لاحطاً الله رحله ولا
كشف محله ولا بشر به أهله لازكي له مطلب ولا رجب له مذهب ولا
يسر له همراماً لا فرج الله له غمه ولا سرى همه لاسقاء الله ماء ولا حل
عقده ولا أورى زنده جعله الله سفر الفراق وعصى الشقاق . وأنشد

بأنكد طائرٍ وبشرٍ فل
لأبعد غاية وأخسر حال
بحد السد حيث يكون منى
كابين الجنوب الى الشمال
غريباً تمتطى قدميك دهرًا
على خوف تحين الى العيال

وقال آخر

اذا استقلت بك الركاب
فحيث لا درت السحاب
وحيث لا تبتغى فلاحاً
وحيث لا يرتجى إياب
وحيثما درت فيه يوماً
قابلك الذئب والغراب

وقال آخر

فَسِرْ بِالنَّحْسِ إِلَى بَلَدَةٍ تُعَمَّرُ فِيهَا وَلَا تَرْزُقُ
وَلَا تَمْنَعُ الْأَرْضُ مِنْ زَهْرَةٍ وَلَا يَسْمُرُ الشَّجَرُ الْمُرِقُ
تَغِيضُ الْبِجَارُ بِهَا مَرَّةً وَيَكْذِبُ السَّحَابُ بِهَا الْمُنْقِدُ

وقال آخر

أَذْنَى خُطَاكَ الْهِنْدُ وَالصِّينُ وَكُلُّ نَحْسٍ بِكَ مَقْرُونُ
بِمَيْثُ لَا يَأْنِسُ مُسْتَوْحِشٌ وَحَيْثُ لَا يَفْرَحُ مَخْزُونُ
تَهْوَى بِكَ الْأَرْضُ إِلَى بَلَدَةٍ لَيْسَ بِهَا مَاءٌ وَلَا طِينُ

✽ محاسن الدهاء والحيل ✽

الهيثم بن حسن بن عمار قال . قدم شيخ من خزاعة أيام المختار فتل على عبد الرحمن بن أبان الخزاعي فلما رأى ما تصنع سوقة المختار من الاعظام جعل يقول : يا عباد الله أبا المختار يصنع هذا والله لقد رأيتكم يتبع الإماء بالحجاز فباع ذلك المختار فدعا به وقال : ما هذا الذي بلغني عنك . قال الباطل . فأمر بضرب عنقه فقال لا والله لا تقدر على ذلك . قال ولم قال أما دون أن أنظر إليك وقد هدمت مدينة دمشق حجرا حجرا وقتلت المقاتلة وسبيت الذرية ثم تصلبني على شجرة على نهر والله اني لأعرف الشجرة الساعة وأعرف شاطئ ذلك النهر فالتفت المختار الى أصحابه فقال لهم . إن الرجل قد عرف الشجرة فحبس حتى اذا كان الليل بعث اليه فقال . يا أخا خزاعة أومزاح عند القتل . قال أنشدك الله أن أقتل ضبا

قال وما تطلب ههنا . قال أربعة آلاف درهم أقضي بها ديني . قال ادفعوها
إليه وإياك أن تصبح بالكوفة فقبضها وخرج عنه . قال كان سراقه البارقي
من ظرفاء أهل الكوفة فأسره رجل من أصحاب المختار فأتى به المختار فقال
له . أسرك هذا . قال سراقه . كذب والله ما أسرنى إلا رجل عليه ثياب
بيض على فرس أبلق . فقال المختار . ألا إن الرجل قد عاين الملائكة خلوا
سبيله . فلما أفلت منه أنشأ يقول

ألا أبلغ أبا إسحاق أني رأيت البلق دهماً مُصمتات
أري عيني ما لم ترأياه كِلانا عالم بالترهات
كفرت بوحيم وجملت نذراً على قتالكم حتى المات

وعنه قال . كان الاحوص بن جعفر الخزومي يتغذى في دير اللج في
يوم شديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقه البارقي فلما كان على ظهر
الكوفة وعليه الوبر والخز وعليهما الاطمار قال حمزة لسراقه . أين يذهب
بنا في البرد ونحن في اطمار . قال سأ كفيكه فبينما هو يسير إذ دنا منهم
راكب مقبل فحرك سراقه دابته نحوه وواقفه ساعة ولحق بالاحوص فقال
له يا خبرك الراكب . قال زعم أن خوارج خرجت بالقطفطانة . قال بعيد
قال . ان الخوارج تسير في ليلة ثلاثين فرسخاً واكثر وكان الاحوص
احد الجبناء فثنى رأس دابته وقال : ردوا طعامنا نتغذى في المنزل فلما
حاذى منزله قال لاصحابه ادخلوا ومضى الى خالد بن عبد الله القسري فقال
خرجت خارجة بالقطفطانة . فنادى خالد في المعسكر فجمعهم ووجه خيلاً
تركض نحو اللج لتعرف الخبر فأعلموه انه لا أصل للخبر فقال للاحوص :

من أعلمك بهذا قال سراقه قال واين هو : قال في منزلي فأرسل اليه من أتاه به قال : أنت أخبرته عن الخارجة قال ما فعلت اصلح الله الأمير قال له الاحوص انكذبنى بين يدي الامير قال خالد ويحك اصدقني قال نعم أخرجنا في هذا البرد وقد ظاهرا الخبز والوبر ونحن في أطهارنا هذه فأحببت ان ارده فقال له خالد ويحك وهذا مما يتلاعب به وسراقه هذا هو القائل

قالوا سُرَاقَةُ عَنِينُ فَقُلْتُ لَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي غَيْرُ عَنِينِ
فَانْظَنَّتُمْ بِي الشَّيْءَ الَّذِي زَعَمُوا فَقَرَّبُونِي مِنْ بَنَاتِ ابْنِ يَاسِينَ

وذكروا ان شبيب بن يزيد الخارجى مرّاً بسلام مستنقع في الفرات فقال له يا غلام اخرج اني أسألك فعرفه الغلام فقال له اني أخاف أفا من أنا اذا خرجت حتى ألبس ثيابي قال نعم : فخرج وقال والله لا ألبسها اليوم فضحك شبيب وقال خدعتنى ورب الكعبة ووكل به رجلاً من أصحابه يحفظه أن لا يصيبه أحد بمكرهه قال وكان رجل من الخوارج يقول
فمنا يَزِيدُ والبَطِينُ وَقَعَبٌ ومنا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَبِيبُ
فسار البيت حتى سمعه عبد الملك بن مروان فأمر بطلب قائله فأتى به

فلما وقف بين يديه قال أنت القائل ومنا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَبِيبُ
قال لم أقل هكذا يا أمير المؤمنين انما قلت ومنا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَبِيبُ
فضحك عبد الملك وأمر بتخلية سبيله فتخلص بدهائه وفطنته لازالة الاعراب من الرفع الى النصب وزعموا أن عمرو بن معدي كرب هجم في بعض غاراته على شابة جميلة منفردة وأخذها فلما أمعن بها بكت فقال : ما يبكيك قالت أبكي لفراقى بنات عمي هن مثلي في الجمال وأفضل منى خرجت معهن فانقطعنا عن الحى قال وأين هن قالت خلف ذلك الجبل ووددت اذ

أخذتني انك أخذتهن معي فامض الى الموضع الذي وصفته فمضى الى هنالك
فما شعر بشيء حتى هجم على فارس شاك في السلاح فعرض عليه المصارعة
فصرعه الفارس ثم عرض عليه ضرباً من المناوشة فغلبه الفارس في كلها
فسأله عمرو عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكرم الكنعاني فاستنقذ الجارية
وعن عطاء أن مخارق بن عفان ومعن بن زائدة تلقيا رجلاً ببلاد الشرك
ومعه جارية لم يريا أحسن منها شباباً وجمالاً فصاحا به خل عنها ومعه قوس
فرمى بها وهاباً الاقدام عليه ثم عاد ليرمى فانقطع وتره وسلم الجارية وأسند
في جبل كان قريباً منه فابتدراه وأخذوا الجارية وكان في أذنها قرط فيه درة
فانزعاه من أذنها فقالت وما قدر هذه لو رأيتا درتين معه في قلنسوته وفي
القلنسوة وتر قد أعدده ونسيه من الدهن فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر
فأخذه وعقده في قوسه فوليا ليست لهما همة الا النجاء وخلياً عن الجارية
وعن الهيثم قال كان الحجاج حسوداً لا تتم له صنعة حتى يفسدها فوجه
عمارة بن تميم اللخمي الى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فظفر به وصنع
ما صنع ورجع الى الحجاج بالفتح ولم ير منه ما أحب وكره منافرته وكان
ماقلاً رقيقاً فجعل يرفق به ويقول أيها الأمير أشرف العرب أنت من شرفته
شرفاً ومن وضعته اتضع وما ينكر ذلك لك مع رفقك وبمنك ومشورتك
ورأيك وما كان هذا كله الا بصنع الله وتديرك وليس أحد أشكر لبلائك
منى ومن ابن أشعث وما خطره حتى عزم الحجاج على السير الى عبد الملك
فأخرج عمارة معه وعمارة يومئذ على أهل فلسطين أمير فلم يزل يلطف
بالحجاج في مسيره ويعظمه حتى قدموا على عبد الملك فلما قامت الخطباء
بين يديه وأنت على الحجاج قلم عمارة. فقال يا أمير المؤمنين. سل الحجاج

عن طاعتي ومناصحتي وبلائي قال الحجاج يا أمير المؤمنين صنع وصنع وم
 بأسه ونجده وعفاه كذا وكذا وهو أئمن الناس نقيية وأعلمهم بتدبير وسياس
 ولم يُبق في الثناء عليه غاية فقال عمارة قد رضيت يا أمير المؤمنين قال له
 فرضي الله عنك حتى قالها ثلاثاً في كلها يقول قد رضيت قال عمارة فلا رض
 الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه فهو والله السيئ التدي
 الذي قد أفسد عليك أهل العراق وألب الناس عليك وما أتيت إلا من قب
 ومن قلة عقله وضعف رأيه وقلة بصره بالسياسة فلك والله أمثالها ان
 تعزله فقال الحجاج مه يا عمارة فقال لا مه ولا كرامة كل امرأة له طالو
 وكل مملوك له حر ان سارت تحت راية الحجاج أبدا قال اني أعلم أنه .
 خرج هذا منك الا عن معتبة ولك عندي العتبي وأرسل اليه ارجع الي
 فقال ما كنت أظن ان عقلك على هذا أرجع اليه بعد الذي كان من طعو
 عليه وقولي عند أمير المؤمنين ما قلت فيه لا ولا كرامة

✽ ضده ✽

قيل في المثل : هو أحق من عجل وهو عجل بن لجم وذلك انه قيل
 له ماسميت فرسك ففقأ عينه وقال سميته الأعور فقال الشاعر فيه —
 رَمَتْنِي بَنُو عِجْلٍ بِدَاءِ أَبِيهِمْ وَأَيُّ أَمْرِي فِي النَّاسِ أَحَقُّ مِنْ عِجْلٍ
 أَلَيْسَ أَبُوهُمْ عَارَ عَيْنَ جَوَادِهِ فَصَارَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ تُضْرَبُ فِي الْجَهْلِ
 وقيل هو أحق من هبنقة وبلغ من حمقه أنه ضلَّ له بعير فجعل
 ينادي من وجد بعيري فهو له. فقيل له ولم تشده قال وأين حلاوة الظفر
 والوجدان واختصمت اليه الطفاوة وبنو راسب في رجل ادعى هؤلاء

وهؤلاء فيه فقالوا قد رضينا بحكم أول طالع يطلع علينا فطلع عليهم هبنقة فلما رأوه قالوا انظروا بالله من طلع علينا فلما دنا قصوا عليه القصة فقال هبنقة الحكم في هذا بين اذهبوا به الى نهر البصرة فآلقوه فيه فان كان راسيا رسب وان كان طفاويا طفا . فقال الرجل لا أريد أن أكون من احد هذين الحيين ولا حاجة لي في الديوان * وقيل هو أحق من دُغة وهي مارية بنت مغنج تزوجت في بني العنبر وهي صغيرة فلما ضربها المخاض ظنت أنها تريد الخلاء فخرجت تنبرز فصاحت فصاح الولد فجاءت منصرفة يا أماء هل يفتح الجعر فاه . قالت نعم ويدعو أباه فسبت بنو العنبر بذلك فقبل بنو الجعراء . وقيل هو أحق من باقل وكان اشترى عنزا بأحد عشر درهماً فسئل بكم اشتريت العنز ففتح كفيه وفرق اصابعه وأخرج لسانه يريد أحد عشر درهماً فعيروه بذلك قال الشاعر

يَلُومُونَ فِي مُحَقِّهِ بِأَقْلًا كَأَنَّ الْحَمَاقَةَ لَمْ تُخْلَقِ
فَلَا تُكْثِرُوا الْعَذْلَ فِي عِيَةٍ فَلَصَّصْتُ أَجْمَلُ بِالْأَمْوَقِ
خُرُوجُ اللِّسَانِ وَفَتْحُ الْبَنَانِ أَحَبُّ الْيَسَا مِنَ الْمَنْطِقِ

ومما قيل فيه أيضاً من الشعر

يَا نَابِتَ الْعَقْلِ كَمْ عَايَنْتَ ذَا مُحَقِّ الرَّزْقُ أُغْرِي بِهِ مِنْ لَازِمِ الْجَرْبِ
فَانْنِي وَاجِدُهُ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً الرَّزْقُ أَرُوغُ شَيْءٍ عَنْ ذَوِي الْأَدَبِ
وَخَصَلَةٌ لَيْسَ فِيهَا مَنْ يُخَالِفُنِي الرَّزْقُ وَالنُّوْكَ مَقْرُونَانِ فِي سَبَبِ

وقال آخر

أَرَى زَمَنًا نُوْكَاهُ أَسْعَدُ خَلْقِهِ عَلَى أَنَّهُ يَشْقَى بِهِ كُلُّ عَاقِلٍ

عَلَا فَوْقَهُ رِجْلَاهُ وَالرَّأْسُ تَحْتَهُ فَكَبَّ الْأَعْلَى بَارِئًا فَاغِ الْأَهَا فِلِ

وَقَالَ آخِرُ

كَمْ مِنْ قَوِيٍّ قَوِيٍّ فِي تَقَلُّبِهِ مُهَذَّبِ اللَّبِّ عَنْهُ الرِّزْقُ مُنْحَرِفُ
وَمِنْ ضَعِيفٍ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مُخْتَلِطِ كَأَنَّهُ مِنْ خَلِيجِ الْبَحْرِ يَغْتَرِفُ

﴿ محاسن المفاخرة ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ينشد بيتاً من شعر

إِنِّي امْرُؤٌ حَمِيرِيٍّ حِينَ تَنْسُبُنِي لَا مِنْ رَبِيعَةَ آبَائِي وَلَا مُضَرَ

فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الْأُمُّ لَكَ وَأَبْعَدُ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ

إِذَا مُضَرُ الْحَمَرَاءُ كَانَتْ أَرْوَمَتِي وَقَامَ بَنْضَرِي خَازِمٌ وَابْنُ خَازِمٍ

عَطَسَتْ بَأَنْفٍ شَامِخٍ وَتَنَاوَلَتْ يَدَايَ الثَّرِيَّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ

شعيب بن ابراهيم عن علي بن زيد عن عبد الله بن الحارث عن عبد

المطلب بن ربيعة قال مرَّ العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بنفر من

قريش وهم يقولون انما محمد في أهله مثل نخلة نبتت في كناسة فبلغ ذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه فخرج حتى قام فيهم خطيباً ثم

قال أيها الناس من أنا قالوا أنت رسول الله قال فأنا محمد بن عبد الله بن عبد

المطلب بن هاشم ان الله عز وجل خلق خلقه فجعلني من خير خلقه ثم

جعل الخلق الذي أنا منهم فريقين فجعلني من خير الفريقين من خلقه ثم

جعل الخلق الذي أنا منهم شعوباً فجعلني في خيرهم شعباً ثم جعلهم بيوتاً

فجعلني من خيرهم بيتاً فأنا خيركم بيتاً وخيركم والدأ واني مباه لكم قم يا عباس
فقام عن يمينه ثم قال قم يا سعد فقام عن يساره فقال يقرب امرؤ منكم عما
مثل هذا وخلا مثل هذا * وحدثنا سنان بن الحسن التستري عن اسماعيل
ابن مهران العسكري عن أبان بن عثمان عن عكرمة عن ابن عباس رجهما
الله تعالى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال لما امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج وانا معه وأبو بكر وكان
عالماً بأنساب العرب فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عابهم الوقار
والسكينة فتقدم أبو بكر فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال ممن القوم
فقالوا من ربيعة قال من هاتما أم لها زما قالوا بل من هاتما العظمى قال
وأي هاتما قالوا ذهل قال ذهل الأ كبر أم ذهل الأصغر قالوا بل الأ كبر
قال فنكم عوف الذي كان يقال لا حرراً بوادي عوف قالوا لا قال أنكم
بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنهى الأ حياء قالوا لا قال أنكم جساس
ابن مرة حامي الدمار ومانع الجار قالوا لا قال أنكم المزدلف صاحب العمامة
قالوا لا قال أفانتم أخوال الملوك من كندة قالوا لا قال أفانتم أصحاب الملوك
من لخم قالوا لا قال فاستم من ذهل الأ كبر إذا أنتم من ذهل الأصغر فقام
عليه اعرابي غلام حين بقل وجهه فأخذ بزمام ناقته ورسول الله صلى الله
عليه وسلم واقف على ناقته يسمع مخاطبته فقال

لنا على سائلنا أن نسأله والمبنة لا تعرفه أو تحميه

يا هذا انك قد سألنا أي مسألة شئت فلم نكتك شيئا فأخبرنا من
أنت فقال أبو بكر من قريش فقال بئح بئح أهل الشرف والرئاسة فأخبرني
من أي قريش أنت قال من بني نيم بن مرة قال أنكم قصي بن كلاب

الذي جمع القبائل من فھر فكان يقال له جمع قال أبو بكر لا قال أنفكم
هاشم الذي يقول فيه الشاعر

عَمْرُو وَلِمْ عَلَىٰ هِشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالَ مُكَّةَ مُسْتَنُونَ عِجَافُ

قال أبو بكر لا قال أنفكم شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء في الليلة
الداجية مطعم الطير قال لا قال أنف المفيضين بالناس أنت قال لا قال أنف
أهل الرقادة أنت قال لا قال أنف أهل السقاية أنت قال لا قال أنف أهل
الحجابة أنت قال لا . قال أما والله لو شئت لأخبرتكم لست من أشرف
قريش فاجتذب أبو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب فقال الاعرابي
صَادَفَ دَرَّ السَّيْلِ دَرَّ يَذْفَعُهُ فِي هَضْبَةٍ تَرْفَعُهُ وَتَضَعُهُ

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علي كرم الله وجهه فقلت
يا أبا بكر لقد وقعت من هذا الاعرابي على باقة قال أجل يا أبا حسن مامن
طامة إلا وفوقها طامة وإن البلاء موكل بالمنطق قال وأنى الحسن بن علي
رضي الله عنهما معاوية بن أبي سفيان وقد سبقه ابن عباس رحمه الله فأمر
بإزاله فبينا معاوية مع عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزيد المدعي
إلى أبي سفيان يتحاورون في قديمهم ومجدهم إذ قال معاوية قد اكثرتكم
الفخر ولو حضركم الحسن بن علي وعبد الله بن عباس لقصروا من
أعنتكم فقال زيد وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وما يقومان لمروان بن
الحكم في غرب منطقة ولا لنا في بواذخنا فابعث إليهما حتى نسمع كلامهما
فقال معاوية لعمرو ماتقول في هذا الليل فابعث إليهما في غد فبعث معاوية
بإبنيه زيد إليهما فأتيا فدخلا عليه وبدأ معاوية فقال اني أجلكما وأزفر

قدركما عن المسامرة بالليل ولا سيما انت يا ابا محمد فانك ابن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكر له فلما استويا في مجلسهما علم
 عمرو أن الحدة ستقع به فقال والله لا بد أن أتكلم فان قهرت فسييل ذلك
 وان قهرت أكون قد ابتدأت فقال يا حسن إنا قد تفاوضنا فقلنا ان رجال
 بنى أمية أصبر على اللقاء وأمضى في الوغاء وأوفى عهدا وأكرم خبا وأمنع
 لما وراء ظهورهم من بنى عبد المطلب ثم تكلم مروان بن الحكم فقال
 كيف لا يكون ذلك وقد قارعناهم فغلبناهم وحاربناهم فملكناهم فان شئنا
 عفونا وان شئنا بطشنا ثم تكلم زياد فقال ما ينبغي لهم أن يشكروا الفضل
 لأهله ويبحدوا الخير في مظانه نحن الحملة في الحروب ولنا الفضل على سائر
 الناس قديماً وحديثاً فتكلم الحسن بن علي رضي الله عنه فقال ليس من
 الحزم أن يصمت الرجل عند إيراد الحجة ولكن من الافك أن ينطق
 الرجل بالخطا ويصور الكذب في صورة الحق يا عمرو افتخارا بالكذب
 وجراءة على الافك ما زلت اعرف مثالك الخبيثة أبديها مرة بعد مرة
 أتذكر مصابيح الدجى وأعلام الهدى وفرسان الطراد وحتوف الاقران
 واباء الطعان وربيع الضيفان ومعدن العلم ومهبط النبوة وزعمتم أنكم
 أحق لما وراء ظهوركم وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت الابطال
 وتساورت الأقران واقتحمت الليث واعتزكت المنية وقامت رحاها على
 قطبها وفرت عن نابها وطار شرار الحرب فقتلنا رجالكم ومن النبي صلى
 الله عليه وسلم على ذرارئكم وكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين لما وراء
 ظهوركم من بنى عبد المطلب ثم قال وأما انت يا مروان فما أنت والا كثار
 في قريش وأنت ابن طليق وأبوك طريد تتقلب في خزاية الى سواة وقد أثني

بك الى امير المؤمنين يوم الجمل فلما رأيت الضرغام قد دميت برائه
واشتبكت انيابه كنت كما قال الاول

بَصْبَصْنَ ثُمَّ رَمَيْنَ بِالْأَبْعَارِ

فلما منَّ عليك بالعفو وارخى خناقك بعد ما ضاق عليك وغصصت
بريقك لاتقعد منا مقعد أهل الشكر ولكن تساوينا وتجارينا ونحن من لا
يدركنا عار ولا يلاحقنا خزاية ثم التفت إلى زياد وقال وما أنت يا زياد
وقريش ما أعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعاً نابتاً ولا قدماً نابتاً ولا
منبتاً كريماً كانت أمك بغياً يتداولها رجالات قريش وفجار العرب فلما
ولدت لم تعرف لك العرب والدا فاذعاك هذا - يعنى معاوية - فمالك
والافتخار تكفيك سمية ويكفيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى سيد
المؤمنين الذي لم يرتد على عقبه وعماي حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار
في الجنة وأنا وأخى سيدا شباب اهل الجنة ثم التفت الى ابن عباس فقال
انما هى بغاث الطير انقض عليها البازي . فأراد ابن عباس أن يتكلم فأقسم
عليه معاوية أن يكف فكف ثم خرجا . فقال معاوية أجاد عمرو والكلام
أولاً لولا أن حجته دحضت وقد تكلم مروان لولا أنه نكص ثم التفت
الى زياد فقال مادعاك الى محاورته ما كنت إلا كالحجل في كف العقاب .
فقال عمرو . أفلا رميت من ورأنا . قال معاوية إذا كنت شريككم في
الجهل أفأفاخر رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم جده وهو سيد من
مضى ومن بقى وأمه فاطمة سيدة نساء العالمين ثم قال لهم . والله لئن سمع
أهل الشام ذلك انه للسواة السوءاء فقال عمرو . لقد أبقي عليك ولكنه

طحن مروان وزيدا طحن الرحا بشفاها ووطئها وطاء البازل القراد
 بمنسمة . فقال زياد والله لقد فعل ولكنك يا معاوية تريد الاغراء بيننا
 وبينهم لاجرم والله لاشهدت مجلساً يكونان فيه إلا كنت معهما على من
 فاخرهما فخلاً ابن عباس بالحسن رضي الله عنه فقبل بين عينيه وقال أفديك
 يا ابن عمي والله مازال بحرك يزخر وأنت تصول حتى شفيتني من أولاد
 البغايا ثم ان الحسن رضي الله عنه غاب أياماً ثم رجع حتى دخل على معاوية
 وعنده عبد الله بن الزبير فقال معاوية يا أبا محمد اني أظنك تَباً نَباً فأت
 المنزل فأرح نفسك فقام الحسن رضي الله عنه فخرج فقال معاوية لعبد
 الله بن الزبير لو افتخرت على الحسن فأنت ابن حوارى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وابن عمته ولأبيك في الاسلام نصيب وافر فقال ابن الزبير
 : انا له ثم جعل ليلته يطالب الحُجج فلما أصبح دخل على معاوية وجاء
 الحسن رضي الله عنه فحياه معاوية وسأله عن مبيته فقال خير مبيت وأكرم
 مستفاض فلما استوى في مجلسه . قال له ابن الزبير لولا انك خوار في
 الحروب غير مقدم ما سلمت لمعاوية الامر وكنت لا تحتاج الى اختراق
 السهوب وقطع المراحل والمفاوز تطالب معروفه وتقوم ببابه وكنت
 حرياً أن لا تفعل ذلك وأنت ابن علي في بأسه ونجدته فما أدري ما الذي
 حملك على ذلك أضعف حال أم وهي تحيزة ما أظن لك مخرجاً من هذين
 الحالين أما والله لو استجمع لى ما استجمع لك لعلمت أننى ابن الزبير وأنى
 لا أنكسر عن الابطال وكيف لا أكون كذلك وجدتني صفة بنت عبد
 المطلب وأبي الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد الناس بأساً
 وأكرمهم حسباً في الجاهلية وأطوعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت

ليه وقال : أما والله لولا ان بنى أمية تنسبني الى العجز عن المقال
عنك تهاونا بك ولكن سأبين ذلك لتعلم أنى لست بالكليل
وعليّ تفتخر ولم تك لجدك في الجاهلية مكرمة الا تزوجه عمي
ت عبد المطلب فبذخ بها على جميع العرب وشرف بمكانها فكيف
ن في القلادة واسطتها وفي الاشراف سادتها نحن أكرم أهل الارض
الشرف الثاقب والكرم الغالب ثم تزعم أنى سلمت الامر لمعاوية
يكون ويحك كذلك وانا ابن أشجع العرب ولدتنى فاطمة سيدة
خيرة الأمهات لم أفعل ويحك ذلك جبناً ولا فرقا ولكنه بايعني
هو يطلب بيرة ويداجيني المودة فلم أثق بنصرته لأنكم بيت غدر
حن ووتر فكيف لا تكون كما قول وقد بايع أمير المؤمنين
نكث بيعته ونكص على عقبيه واخترع حشية من حشايا رسول
الله عليه وسلم ليضل بها الناس فلما دلف نحو الاعنة ورأى بريق
تل بمضيعة لا ناصر له وأتى بك أسيرا وقد وطئتكم الكماة باظلافها
بسناكبها واعتلاك الاشر فغصصت بريقك واقعيت على عقبيك
ا اذا احتوشته الليوث فنحن ويحك نور البلاد واملاكها وبناتفتخر
ينا تاتي مقاليد الامور نصول وانت تختدع النساء ثم تفتخر على بنى
تزل الاقاويل منا مقبولة وعليك وعلى ابيك مردودة دخل الناس
جدي طائعين وكارهين ثم بايعوا امير المؤمنين صلوات الله عليه فصار
وطلمحة حين نكنا البيعة وخدعا عرس رسول الله صلى الله عليه
عند نكتهما بيعته واتى بك أسيرا تبصص بذنبك فناشدته الرحم
فغفا عنك فأنت عتاقة أبي وأنا سيدك وأبي سيدأبيك فذق وبال

أمرك فقال ابن الزبير اعذرنا يا ابا محمد فانما حملني على محاورتك هذا واشتهى الاغراء بيننا فهلا إذ جهلتُ أمسكتَ عني فانكم أهل بيت سجيتمكم الحلم قال الحسن يا معاوية انظر أأرّح عن محاورة أحد وبحك أتدري من أي شجرة أنا والى من أنتمى انتة قبل أن أسمك بسمة يتحدث بها الركبان في آفاق البلدان قال ابن الزبير هو لذلك أهل فقال معاوية أما انه قد شفا بلابل صدرى منك ورمى مقتلك فبقيت في يده كاللجل في كف البازي يتلاعب بك كيف شاء فلا أراك تفتخر على أحد بعد هذا * وذكروا أن الحسن بن علي صلوات الله عليهما دخل على معاوية فقال في كلام جرى من معاوية في ذلك

فِيمَ الْكَلَامُ وَقَدْ سَبَقْتُ مُبَرِّزًا سَبَقَ الْجَوَادِ مِنَ الْمَدَى وَالْمِقْوَسِ
فقال معاوية إيتاي تعني والله لا آتينك بما يعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك أنا ابن بطحاء مكة أنا ابن أجودها جوداً وأكرمها أبوةً وجدوداً وأوفاهها عهوداً أنا ابن من ساد قريشاً ناشئاً فقال الحسن أجل إياك أعنى أفعلى تفتخر يا معاوية وأنا ابن ماء السماء وعروق الثرى وابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الثاقب والشرف الفائق والقديم السابق وابن من رضاه رضا الرحمن وسخطه سخط الرحمن فهل لك أب كأتى أو قديم كقديمي فان تقل لا تغلب وان تقل نعم تكذب. فقال أقول لا تصديقا لقولك فقال الحسن رضي الله عنه
الْحَقُّ أَبْلَجُ لَا تَرْيَغُ سَبِيلُهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَبَابِ

قال وقال معاوية ذات يوم وعنده أشرف الناس من قريش وغيرهم أخبروني بأكرم الناس أباً وأماً وعماً وعممة وخالاً وخالة وجداً وجدة . فقام مالك بن عجلان وأوماً الى الحسن بن علي صلوات الله عليه فقال هو ذا

ي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه
الطيار وعمته أم هانئ بنت أبي طالب وخاله القاسم بن رسول الله
عليه وسلم وخالته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته
الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة بنت خويلد . فسكت القوم
الحسن فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال . أحب بني هاشم حملك
تكلمت بالباطل . فقال ابن عجلان ما قلت الا حقاً وما أحد من
بطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق الا لم يعط أمنيته في دنياه وختم له
في آخرته بنو هاشم أنضركم عوداً وأوراً كم زندياً كذلك هو يا معاوية
المهم نعم . قال واستأذن الحسن بن علي رضي الله عنه علي معاوية وعنده
. بن جعفر وعمرو بن العاص فأذن له فلما اقبل قال عمرو قد جاءكم
ممي الذي كان بين لحييه عقلة . فقال عبد الله بن جعفر مه والله لقد
سخرة معلمة تنحط عنها السيول وتقصّر دونها الوعول لا تبلغها
فأياك والحسن إياك فانك لا تزال راتعاً في لحم رجل من قریش ولقد
فما برح سهمك وقدحت فما أوري زنديك فسمع الحسن الكلام فلما
نلسه قال يا معاوية لا يزال عندك عبد يرتع في لحوم الناس أما والله
ت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الأمور وتخرج منه الصدور ثم أنشأ يقول
أمرُ يا معاويَ عبدَ سهمٍ بشتى والملا منّا شهودُ
أأخذت مجالسها قریشُ فقد علمت قریشُ ما تريدُ
نت بطلُ تشنّى سفاها لضغن ما يزول ولا يبيدُ
لي لك من أب كآبي تسامى به من قد تسامى أو تسيد

وَلَا جَدُّ كَجَدَّتِي يَا ابْنَ حَرْبٍ رَسُولِ اللَّهِ إِنْ ذُكِرَ الْجَدُّودُ
وَلَا أُمٌّ كَأُمِّي مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا حُصِّلَ الْحَسَبُ التَّلِيدُ
فَمَا مِثْلِي نُهُكُمْ يَا ابْنَ حَرْبٍ وَلَا مِثْلِي يُنْهِنُهُ الْوَعِيدُ
فَهَلَّا لَا تَهْجُ مِنَّا أُمُورًا يَشِيبُ لَهْوُهَا الطِّفْلُ الْوَلِيدُ

وذكروا ان عمرو بن العاص قال لمعاوية ابعت الى الحسن بن علي فأمره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون في ذلك مانعيره به فبعث اليه معاوية فأمره أن يخطب فصعد المنبر وقد اجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب ابن عم النبي أنا ابن البشير النذير السراج المنير أنا ابن من بعثه الله رحمة للعالمين أنا ابن من بعث الى الجن والانس أنا ابن مستجاب الدعوة أنا ابن الشفييع المطاع أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب أنا ابن أول من يقرع باب الجنة أنا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر بالزعب من مسيرة شهر وأمعن في هذا الباب ولم يزل حتى أظلمت الارض على معاوية فقال يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة ولست هناك . قال الحسن إنما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا آباء وأماً ولكن ذلك ملك أصاب ملكا يتمتع به قليلا ويعذب بعده طويلا وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته وبقيت عليه التبعة فكان كما قال الله تعالى (وان أدري لعله فتنة لكم ومتاعاً الى حين) ثم انصرف . فقال معاوية لعمرو ما أردت إلا هتكي ما كان أهل الشام يرون أحدا مثلي حتى سمعوا من

الحسن ماسمعوا * قال وقدم الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه أهل بيته ووجوه أهل اليمن وأهل الشام فلما نظر إليه معاوية أقعده على سريريه وأقبل عليه بوجهه يريه السرور به وبقدومه فحسده مروان وقد كان معاوية قال لهم لا تحاوروا هذين الرجلين فقد قلداكم العار عند أهل الشام (يعني الحسن بن علي رضي الله عنه وعبد الله بن عباس) فقال مروان يا حسن لولا حلم أمير المؤمنين وما قد بناه له آباؤه الكرام من المجد والعلاما أقعدك هذا المقعد ولقتلك وأنت لهذا مستحق بقودك الجماهير الينا فلما قاومتنا وعلمت أن لا طاقة لك بفرسان أهل الشام وصناديد بني أمية أذعنت بالطاعة واحتجزت بالبيعة وبعثت تطلب الأمان أما والله لولا ذلك لأراق دمك ولعلمت أنا نعطي السيوف حقها عند الوغى فحمد الله اذ ابتلاك بمعاوية وعفا عنك بحلمه ثم صنع بك ما ترى فنظر إليه الحسن وقال ويلك يا مروان لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخازلة عند مخالطتها هبنتك أمك لنا الحجج البوالغ ولما عليكم ان شكرتم النعم السوانع ندعوكم الى النجاة وتدعوننا الى النار فشتان ما بين المنزلتين تفتخر ببني أمية وتزعم أنهم صبر في الحرب أسد عند اللقاء ثكثت الثواكل أولئك البهاليل السادة والحماة الذادة والكرام القادة بنو عبد المطلب أما والله لقد رأيتهم أنت وجميع من في المجلس ما هالتهم الاهوال ولا حادوا عن الابطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة فعندها وليت هارباً وأخذت أسيراً فقلدت قومك العار لانك في الحروب خوار أتهريق دمي فهلا أهرقت دم من وثب على عثمان في الدار

فدبحه كما يذبح الجمل وأنت تشغو ثغاء النعجة وتنادي بالويل والنبور كلما رأت
الوكعاء ما دفعت عنه بسهم ولا منعت دونه بحرب قد ارتعدت فرائصك
وغشي بصرك واستغثت كما يستغيث العبد بربه فأنجيتك من القتل ثم جعلت
تبحث عن دمي وتحض على قتلي ولو رام ذلك معاوية معك لذبح كما ذبح ابن
عفان وأنت معه أقصريدا وأضيق باعا وأجبن قلباً من أن تجسر على ذلك
ثم تزعم أنني ابتليت بحلم معاوية أما والله لو أعرف بشأنه وأشكر لنا إذ
وليناه هذا الأمر فتي بدا له فلا يفضي جفنه على القذى معك فوالله
لا أغضن أهل الشام بحيش يضيق فضاؤه ويستأصل فرسانه ثم لا ينفعك عند
ذلك الروغان والهرب ولا تنفع بتدريجك الكلام فحن من لا يجمل آباؤ
الكرام القدماء الأكابر وفروعنا السادة الأخيار الأفضل انطق ان كنت
صادقاً فقال عمرو : ينطق بالخنا وتنطق بالصدق ثم أنشأ يقول

قَدْ يَضْرُطُّ الْعَيْرُ وَالْمَكْوَاةُ تَأْخُذُهُ لَا يَضْرُطُّ الْعَيْرُ وَالْمَكْوَاةُ فِي الدَّرِ
ذَقْ وَبَالَ أَمْرِكَ يَا مَرْوَانَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ مَعَاوِيَةُ فَقَالَ قَدْ نَهَيْتَكَ عَنْ هَذَا
الرَّجُلِ وَأَنْتَ تَأْتِيهِمَا كَأَيِّمَا لَا يَعْنيكَ أَرْبَعٌ عَلَى نَفْسِكَ فَلَيْسَ أَبُوهُ
كَأَبِيكَ وَلَا هُوَ مِثْلُكَ أَنْتَ ابْنُ الطَّرِيدِ الشَّرِيدِ وَهُوَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَرِيمِ وَلَكِنْ رَبُّ بَاحِثٍ عَنْ حَتْفِهِ بِظُلْفِهِ فَقَالَ مَرْوَانُ
أَرْمِ دُونَ بَيْضَتِكَ وَقِمْ بِحُجَّةٍ عَشِيرَتِكَ ثُمَّ قَالَ لِعَمْرُو لَقَدْ طَعَنَكَ أَبُوهُ فَوَقِيتَ
نَفْسَكَ بِخَصِيَّتِكَ وَمِنْهَا ثَبِتَ أَعْنَتُكَ وَقَامَ مَغْضِباً . فَقَالَ مَعَاوِيَةُ لِاتَّجَارِ الْبَحَارِ
فَتَغْمِرْكَ وَلَا الْجِبَالَ فَتَقْهَرْكَ وَاسْتَرَحَ مِنَ الْإِعْتِذَارِ قَالَ وَلْتِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ
الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي الطَّوَافِ فَقَالَ يَا حَسَنُ أَرَزَعْتِ أَنَّ الدِّينَ
لَا يَقُومُ إِلَّا بِكَ وَبِأَبِيكَ فَقَدْ رَأَيْتَ اللَّهَ أَقَامَهُ بِمَعَاوِيَةَ فَجَعَلَهُ ثَابِتاً بَعْدَ مِيلِهِ

وبيناً بعد خفائه أفيضي الله قتل عثمان أم من الحق أن تدور بالبيت كما يدور
الجل بالطحين عليك ثياب كغرقى البيض وأنت قاتل عثمان والله انه لألم
للشعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك فقال الحسن صلوات
الله عليه ان لأهل النار علامات يُعرفون بها وهي الاحاد في دين الله
والموالاة لأعداء الله والانحراف عن دين الله والله انك لتعلم أن علياً لم
يترث في الامر ولم يشك في الله طرفه عين وأيم الله لتنتهين يا ابن العاص
أو لأقرعن قصتك - يعنى جبينه - بقراع وكلام واياك والجرأة علي فاني
من عرفت لست بضعيف المغمز ولا بهش المشاشة - يعنى العظام - ولا
بمرء المأكلة واني لمن قريش كأوسط القلادة معرق حسبي لا أدعى لغير
أبي وقد تحاكت فيك رجال من قريش فغلب عليك الأمها حسباً وأعظمها
لعنة فإياك عنى فانما أنت نجس ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس
وطهرنا تطهيراً . قال واجتمع الحسن بن علي صلوات الله عليهما وعمر بن
العاص فقال الحسن قد علمت قريش بأسرها اني منها في عز أرومتها لم
أطبع على ضعف ولم أعكس على خسف أعرف نسبي وأدعى لأبي : فقال
عمر بن عبد المطلب قد علمت قريش انك ابن أفلها عقلاً وأكثرها جهلاً وان فيك
خصالاً لو لم يكن فيك الا واحدة منها لشملك خزيمها كما شمل البياض
الحالك وأيم الله لئن لم تنته عما أراك تصنع لأكبسن لك حافة كجلد العائط
اذا اعتاطت رحمتها فما تحمل أرميك من خللها بأحر من وقع الأنافي أعرك
منها أديمك عرك السلعة فانك طالما ركبت المنحدر ونزلت في أعراض الوعر
إلتماساً للفرقة وإرصاداً للفتنة ولن يزيدك الله فيها الا فظاعة فقال الحسن
أما والله لو كنت تسمو بحسبك وتعمل برأيك ما سلكت فج قصد ولا

حللت راية مجد أما والله لو أطاعنا معاوية لجعلك بمنزلة العدو الكاشح فانه
 ظلماً تأخر شأوك واستسر داؤك وطمع بك الرجا الى الغاية القصوى التي
 لا يورق بها غصنك ولا ينحضر منها رعيك أما والله لتوشكن يا ابن العاص
 أن تقع بين حبي ضرغام ولا يسجيك منه الروغان اذا التقت حلقما البطان
 . ابن المنذر عن أبيه عن الشعبي عن ابن عباس انه دخل المسجد وقد سار
 الحسين بن علي رضي الله عنه الى العراق فاذا هو بابن الزبير في جماعة من
 قريش قد استعلاهم بالكلام فجاء ابن عباس فضرب يده على عضد ابن
 الزبير : وقال أصبحت والله كما قال الشاعر

يا لك من قنبرٍ بمغمَرٍ خلا لك الجو فيبقى واصفري
 وتقرى ما شئت أن تنقرى قد ذهب الصياد عنك فابشري
 لا أبد من أخذك يوماً فاصري

خلت الحجاز من الحسين بن علي وأقبلت تهدر في جوانبها . فغضب ابن
 الزبير وقال : والله انك لترى انك أحق بهذا من غيرك . فقال ابن عباس
 انما يرى ذلك من كان في حل شك وأنا من ذلك على يقين . قال : وبأي
 شيء أستحق عندك انك بهذا الأمر أحق مني . فقال ابن عباس : لأننا أحق
 بمن يدل بحقه وبأي شيء أستحق عندك انك أحق بها من سائر العرب
 إلا بنا . فقال ابن الزبير : استحق عندي اني أحق بها منكم لشرفي عليكم
 قديماً وحديثاً . فقال أنت أشرف أم من شرفت به . فقال : ان من شرفت
 به زادني شرفاً الى شرفي . قال : فني الزيادة أم منك . فتبسم ابن عباس فقال
 ابن الزبير : يا ابن عباس دعني من لسانك هذا الذي تقلبه كيف شئت والله

يا بني هاشم لا تحبوننا أبداً ، قال ابن عباس : صدقت نحن أهل بيت مع الله
 لا نحب من أبغضه الله ، قال يا ابن عباس أما ينبغي لك أن تصفح عن كلمة
 واحدة . قال إنما يصفح عمن أقر وأما من هراً فلا والفضل لأهل الفضل
 قال ابن الزبير : فأين الفضل . قال عند أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتظلم
 ولا تضعه في غير أهله فتندم . قال ابن الزبير : أفلست من أهله . قال : بلى
 إن نبذت الحسد ولزمت الجدد . وانقضى حديثهما .، وروى عن ابن عباس
 انه قال : قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع من بني أمية ووفود
 العرب عنده فدخلت وسلمت وقعدت فقال : يا ابن عباس من الناس . فقلت
 نحن . قال : فاذا غبتم . قلت : فلا أحد . قال : فانك ترى أنني قعدت هذا
 المقعد بكم . قلت : نعم فبمن قعدت . قال بمن كان مثل حرب بن أمية .
 قلت : من كفاً عليه اناءه واجاره بردائه . قال فغضب وقال أرحني من
 شخصك شهراً فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك . فلما خرج ابن عباس
 قال لخاصته : ألا تسألوني ما الذي أغضب معاوية . قالوا بلى فقل بفضلك .
 قال ان أباه حرب لم يلق أحداً من رؤساء قريش في عقبة ولا مضيق إلا تقدمه
 حتى يجوزه فلقبه يوماً رجل من تميم في عقبة فتقدمه التيمي فقال حرب
 أنا حرب بن أمية فلم يلتفت اليه وجازه فقال موعذك مكة نخافه التيمي ثم
 أراد دخول مكة فقال من يحيرني من حرب بن أمية فقيل له عبد المطلب
 فقال عبد المطلب أجل قدرأ من أن يحير على حرب فأتى ليلاً الى دار الزبير
 ابن عبد المطلب فدق بابَه فقال الزبير لعبدَه قد جاءنا رجل إما طالب
 قرى وإما مستجير وقد أجنبناه الى ما يريد ثم خرج الزبير اليه . فقال التيمي

لَا قِيَتُ حَرْبًا فِي الثَّنِيَّةِ مُقْبِلًا وَالصُّبْحُ أَبْلَجُ ضَوْءُهُ لِسَّارِي
 فَدَعَا بِصَوْتٍ وَأَكْتَنِي لِيرُوعَنِي وَسَمَا عَلَى سُمُوٍّ لَيْثٍ ضَارِي
 فَتَرَ كُنْهُ كَالْكَلْبِ يَنْبَحُ ظِلُّهُ وَأَتَيْتُ قَوْمَ مَعَالِمٍ وَفَخَارِي
 لَيْثًا هَزَبَرًا يُسْتَجَارُ بَعِزُّهُ رَحْبَ الْمُبَاءَةِ مُكْرِمًا لِلْعَارِ
 وَلَقَدْ حَلَفْتُ بِمَكَّةَ وَبِزَمْرٍ وَالْبَيْتِ ذِي الْأَحْجَارِ وَالْأَسْتَارِ
 إِنَّ الزُّبَيْرَ لَمَانَعِي مِنْ خَوْفِهِ مَا كَبَّرَ الْحُجَّاجُ فِي الْأَمْصَارِ

فقدّمه الزبير وأجاره ودخل به المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فحمل عليه الزبير بالسيف فولى هارباً يعدو حتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرني من الزبير فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس فبقي تحتها ساعة ثم قل له اخرج قال وكيف أخرج وعلى الباب تسعة من بنيك قد احتبوا بسبوفهم فألقي عليه رداء كان كساء إياه سيف بن ذي يزن له طرّتان خضراوان فخرج عليهم فعلموا أنه قد أجاره عبد المطلب ففرقوا عنه قال وحضر مجلس معاوية عبد الله بن جعفر فقال عمرو بن العاص قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمنى والطربات بالتغنى محب للقيان كثير مزاحه شديد تطماحه صدود عن الشبان ظاهر الطيش رخي العيش أخذ بالسلف منفاق بالسرف ، فقال ابن عباس كذبت والله أنت وليس كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولنعمائه شكور وعن الخنازجور جواد كريم سيد حلیم اذا رمي أصاب واذا سئل أجاب غير حصر ولا هباب ولا عيابة مغتاب حلّ من قریش فی کریم النصاب کالھزیر الضرعام الجریء المقدام فی الحسب القمقام لیس بدعی ولادنیء لا کمن اختصم فیہ من قریش شرارھا فغلب علیہ جزّارھا

فأصبح الأما حبا وأدناها منصبا ينوء منها بالذليل ويأوى منها الى القليل
مذبذب بين الحيين كالساقط بين المهدين لا المضطر فيهم عرفوه ولا الطاعن
عنهم فقدوه فليت شعري بأى قدر تتعرض للرجال وبأى حسب تعتد به
عند النضال أنفك وأنت الوغد اللئيم والنكد الذميم والوضع الزنيم ام
بمن تسمى اليهم وهم أهل السفه والطيش والدناءة في قرش لا يشرف في
الجاهلية شهرها ولا بتقديم في الاسلام ذكرها جعلت تتكلم بغير لسانك
وتنطق بالزور في غير أقرانك والله لكان أئين للفضل وأبعد للعدوان ان
ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق فانه طالما سلس داؤك وطمح بك رجاؤك
الى الغاية القصوى التي لم يخضر فيها رعيك ولم يورق فيها غصنك ، فقال عبد الله
ابن جعفر أقسمت عليك لما أمسكت فأنك عنى ناضلت ولى فاوضت ، فقال
ابن عباس دعنى والعبد فانه قد يهدر خالياً ولا يجد ملاحياً وقد أتيح له
ضيق شرس للأقران مفترس وللأرواح مختلس ، فقال ابن العاص دعنى
يأ أمير المؤمنين أنتصف منه فوالله ماترك شيئاً ، قال ابن عباس دعه فلا
يبقى المبقى الا على نفسه فوالله ان قلبى لشديد وان جوابى لعتيديوانى لكما
قال نابغة بنى ذبيان

وقدماً قد قرأت وقار عونى فما نزر الكلام ولا شجانى

يصد الشاعر العراف عنى صدود البكر عن قزم هجان

قال وبلغ عاتمة بنت عاتم (١) ثلب معاوية وعمر بن العاص لبنى هاشم فقالت
لأهل مكة أيها الناس ان بنى هاشم سادت فجادت وما كنت وملكنت
وفضلت وفضلت واصطفيت واصطفيت ليس فيها كدر عيب ولا افك ريب

(١) هكذا فى الأصل وفى نسخة عاتمة بنت عاتم وفى المسامرات عاتمة بنت غاتم

ولا خسروا طاعين ولا خازين ولا نادمين ولا هم من المغضوب عليهم ولا
الضالين ان بنى هاشم أطول الناس باعا وأمجّد الناس أصلا وأعظم الناس حلما
وأكثر الناس علما وعطاء منا عبد مناف المؤثر وفيه يقول الشاعر
كانت قُرَيْشٌ بِيضَةً فَتَفَلَّقَتْ فَاُلْحَجَّ خَالِصُهَا لِعَبْدِ مَنْفَافٍ

وولده هاشم الذي هشم الزيد لقومه وفيه يقول الشاعر
عَمَرُوا الْعِلَّاهُ هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْوُونَ عِجَافُ
ومنا عبد المطاب الذي نسقينا به الغيث . وفيه يقول أبو طالب
وَنَحْنُ سُنِّي الْمَحَلِّ قَامَ شَفِيعُنَا بِمَكَّةَ يَدْعُو وَالْمِيَاهُ تَفُورُ
وابه أبو طالب عظيم قریش . وفيه يقول الشاعر
آتَيْتُهُ مَلِكًا فَقَامَ بِحَاجَتِي وَتَرَى الْمُتَلَبِّجَ خَائِبًا مَذْمُومًا
ومنا العباس بن عبد المطاب أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه
ماله وفيه يقول الشاعر

رَدِيفُ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ نَرِ مِثْلَهُ وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُوَلَّدُ

ومنا حمزة سيد الشهداء وفيه يقول الشاعر
أَبَا يَعْلَى بِكَ الْأَرْزَ كَانَ هُدًى وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ
ومنا جعفر ذو الجناحين أحسن الناس حالا وأكملهم كمالا ليس بفدار ولا
جبان أبدله الله بكلتي يديه جناحين يطير بهما في الجنة وفيه يقول الشاعر
هَاتُوا كَجَعْفَرِنَا وَمِثْلَ عَلَيْنَا كَانَا أَعَزَّ النَّاسِ عِنْدَ الْخَالِقِ
ومنا أبو الحسن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أفرس بنى هاشم
وأكرم من احتجب وانتعل وفيه يقول الشاعر

على ألف الفرقان صُحُفًا ووالى المصطفى طفلاً صبيًا

ومنا الحسن بن علي عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيد شباب أهل الجنة وفيه يقول الشاعر

يا أجلّ الأنام يا ابن الوصي أنت سبط النبي وابن علي

ومنا الحسين بن علي حمله جبريل عليه السلام على عاتقه وكفاه بذلك
فراً وفيه يقول الشاعر

حُبُّ الحسين ذخيرةٌ مُحِبِّه ياربِّ فاحشُرني غداً في حزبه

يامعشر قريش والله مامعاوية كأمر المؤمنين علي ولا هو كما يزعم هو
الله شاني رسول الله صلى الله عليه وسلم واني آتية معاوية وقائلة له ما يعرق
نه جبينه ويكثر منه عويله وأبينه فكتب عامل معاوية اليه بذلك فلما
لغى أنها قربت منه امر بدار ضيافة فنظفت وألتي فيها فرش فلما قربت من
مدينة استقبلها يزيد في حشمه ومماليكه فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها
مرو بن عاثم فقال لها يزيد ان أبا عبد الرحمن يأمرُك أن تنتقلي الى دار
ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت من أنت كلاك الله قال أنا يزيد بن معاوية
لت فلا رعاك الله ياناقص است بزائد فتغير لون يزيد وأتى أباه فأخبر
نال هي أسن قريش وأعظمهم حِلماً . قال يزيد . كم تعد لها قال كانت تُعد
لى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمئة عام وهي من بقية الكرام
ما كان من الغد أنها معاوية فسلم عليها فقالت على المؤمنين السلام وعلى
كافرين الهوان والملام ثم قالت أفبكم عمرو بن العاص قال عمرو ها أنا ذا
لت أنت تسب قريشاً وبني هاشم وأنت أهل السب وفيك السب واليك

يعود السب يا عمرو انى والله عارفة بك وبعيوبك وعيوب أمك وانى أذكر ذلك . ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قيامها وتعلوها اللثام وإذا لامسها الفحل فكان نطفها أنفد من نطفته ركبها في يوم واحد أربعون رجل واما أنت فقد رأيتك غاويًا غير مرشد ومفسدًا غير مصلح والله لقد رأيت خل زوجتك على فراشك فما غرت ولا انكرت واما انت يا معاوية فما كنت في خير ولا ريت في نعمة فمالك وابني هاشم انساؤك كنسائهم ام أعطى أمة في الجاهلية والاسلام ما أعطى هاشم وكفى خفراً برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية أيتها الكبيرة أنا كاف عن بني هاشم قالت فاني أكتب عليك كتابا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه أن يستجيب لي خمس دعوات فأجعل تلك الدعوات كلها فيك تخاف معاوية تخاف أن لا يسب بني هاشم أبداً فهذا ما كان بين معاوية وبين بني هاشم من المفاخرة قال وكان علي بن عبد الله بن عباس عند عبد الملك بن مروان فأخذ عبد الملك يذكر أيام بني أمية فيينا هو على ذلك إذ نادى المنادى بالأذان فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقال علي هذي المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعادا بعد أبوالا فقال عبد الملك الحق في هذا أين من أن يكابر علي بن محمد النديم قال دخلت على المتوكل وعنده الرضي فقال يا علي من أشعر الناس في زماننا قلت البحتري قال وبعده قلت مروان بن أبي حفصة عبدك فالتفت الى الرضي فقال يا ابن عم من أشعر الناس قال علي بن محمد العلوي قال وما تحفظ من شعره قال قوله

لقد فاخرتنا من قریش عصابةً بمطّ خُدودٍ وامتدادِ أصابعٍ

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْقَضَاءَ قَضَىٰ لَنَا عَلَيْهِمْ بِمَا نَهَوَىٰ نِدَاءَ الصَّوَامِعِ
 فقال المتوكل مامعنى قوله - نداء الصوامع - قال الشهادة قال وأبيك
 ، أشعر الناس وبما قيل في هذا المعنى من الشعر قوله أيضاً
 بَلَّغْنَا السَّمَاءَ بِأَنْسَانَا وَلَوْلَا السَّمَاءُ لَجُرْنَا السَّمَاءَ
 فَحَسْبُكَ مِنْ سُودَدٍ أَنَا بِحُسْنِ الْبَلَاءِ كَشَفْنَا الْبَلَاءَ
 إِذَا ذُكِرَ النَّاسُ كُنَّا مُلُوكًا وَكَانُوا عَبِيدًا وَكَانُوا إِمَاءَ
 يُطِيبُ الثَّنَاءَ لَا بَأْسًا وَذِكْرُكَ عَلَىٰ يُطِيبُ الثَّنَاءَ
 هَجَانِي رِجَالٌ وَلَمْ أَهْجِهِمْ أَبِي اللَّهِ لِي أَنْ أَقُولَ الْهَجَاءَ

ال آخر

وَلَمَّا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
 أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجِرْعَ ثَاقِبُهُ
 نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا انْقَضَ كَوْكَبٌ بَدَأَ كَوْكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ

ال آخر

خَطَبَاءَ حِينَ يَقُولُ قَاتِلُهُمْ بَيضُ الْوُجُوهِ مَقَاوِلُ لُسُنُ
 لَا يَفْطَنُونَ لَعِيبِ جَارِهِمْ وَهُمْ لِحِفْظِ جَوَارِهِمْ فُطُنُ

❖ ضده ❖

عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 تفتخروا بأبائكم في الجاهلية فوالذي نفسى بيده لما يدرج الجمل برجله
 ر من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية . قال وكان الحسن البصري يقول

يا ابن آدم لم تفتخر وإنما خرجت من سبيل بولين نطفة مشجت بأقدار
وقال بعضهم لرجل أفتخر ويحك وأولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة
وأنت فيما بينهما وعاء عذرة فما هذا الافتخار . وروى عن ابن عباس أنه قال
الناس يتفاضلون في الدنيا بالشرف والبيوتات والامارات والغنى والجمد
والهيئة والمنطق ويتفاضلون في الآخرة بالتقوى واليقين واتقاهم أحسنهم
يقيناً وأزكاهم عملاً وارفعهم درجة وقيل في ذلك

يَزِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ مَحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَايِبُهُ
وَشَيْنُ الْفَتَى فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَرُمَتْ آبَاؤُهُ وَمَنَاسِبُهُ

وقيل لعامر بن قيس ما تقول في الانسان قال وما أقول فيمن ان جاع
ضرع وان شبع بغي وطفى . وقال بعض الحكماء : لا يكون الشرف بالنسب
ألا ترى أن أخوين لأب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر ولو كان
ذلك من قبل النسب لما كان لاحد منهم على الآخر فضل لان نسبهما
واحد ولكن ذلك من قبل الافعال لان الشرف انما هو بالفضل لا بالنسب
قال الشاعر

أَبُوكَ أَبِي وَالْجَدُّ لَا شَكَّ وَاحِدٌ وَلَكِنَّا عُودَانِ آسٍ وَخِرْوَعُ

وبلغنا عن المدائني انه قال ليس السؤدد بالشرف وقد ساد الأحنف
ابن قيس بحلمه وحصين بن المنذر برأيه ومالك بن مسمع بمحبته في العامة وسويد
ابن منجوف بمطغفه على أرامل قومه وساد المهلب بن أبي صفرة بجميع هذه
الخصال . وأما الشرف بالدين فالحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه أنه اعرابي فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله من أكرم الناس حسبا

قال أحسنهم خلقاً وأفضلهم تقوى فانصرف الاعرابي فقال ردوه ثم قال يا أعرابي لعلك أردت أكرم الناس نسباً قال نعم يا رسول الله قال يوسف الصديق صدق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فأين مثل هؤلاء الآباء في جميع الدنيا ما كان مثلهم ولا يكون منهم أحد أبداً . وقال الشاعر في ذلك

ولم أرَ كالأسياطِ أبناءَ والدٍ ولا كأبيهم والدِّاحين يُنسَبُ

قال ودخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب له فقال أنا ابن الأشياخ الأكارم فقال صلى الله عليه وسلم أنت إذا يوسف صدق الرحمن عليه السلام بن يعقوب اسرائيل الله أو اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وقال صلى الله عليه وسلم خير البشر آدم وخير العرب محمد وخير الفرس سلمان الفارسي وخير الروم صهيب وخير الحبشة بلال . قال وسمع عمر بن الخطاب وهو خليفة صوتاً ولفظاً بالباب فقال لبعض من عنده اخرج فانظر من كان من المهاجرين الأولين فادخله فخرج الرسول فوجد بلالاً وصهيباً وسلمان فادخلهم وكان أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو في عصابة من قريش جلوساً على الباب فقال يامعشر قريش أنتم صناديد العرب واشرافها وفرسانها بالباب ويدخل حبشي وفارسي ورومي فقال سهيل ياأبا سفيان أنفسكم فلو موأ ولا تدموا أمير المؤمنين دُعي القوم فأجابوا ودعيتهم فأبيتهم وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلاً فقال أبو سفيان لاخير في مكان يكون فيه بلال شريفاً ﴿ فأمأ صناعات الاشراف ﴾ فانه روى ان أبا طالب كان يعالج العطر والبز وأما ابو بكر وعمر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فكانوا يزازين وكان سعد بن أبي

وقاص يَعْدُق النخل . وكان أخوه عتبة نجارا وكان العاص بن هشام أخ
أبي جهل بن هشام جزاراً . وكان الوليد بن المغيرة حدادا . وكان عقب
ابن أبي معيط خمراً . وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت خياطاً
وكان أبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والادم . وكان أمية بن خلف يبيع
البرم . وكان عبد الله بن جعدان نخاسا وكان العاص بن وائل يعالج الخيل
والابل . وكان جرير بن عمرو وقيس أبو الضحاك بن قيس ومعمر بن عثمان
وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدادين . وكان المسيب أبو سعيد زياً
وكان ميمون بن مهران بزازا وكان مالك بن دينار وراقاً . وكان أبو حنيفة
صاحب الرأي خزازا وكان مجمع الزاهد حائكاً * قيل اتخذ يزيد بن المهلب
بستاناً في داره بخراسان فلما ولي قتيبة بن مسلم جعله لابله فقال مرزبان
مرو : هذا كان بستاناً وقد اتخذته لابلك فقال قتيبة أبي كان اشتربان وكان
أبو يزيد بستانبان فمنها صار ذلك كذلك قال وذكروا ان المأمون ذكر
أصحاب الصناعات فقال السوق سفل والصناع انذال والتجار بخلاء والكتاب
ملوك على الناس والناس أربعة أصحاب الحرف وهي امارة وتجارة وصناعة
وزراعة فمن لم يكن منهم صار عبلاً عليهم

﴿ محاسن الثقة بالله سبحانه وتعالى ﴾

قيل خطب سليمان بن عبد الملك فقال الحمد لله الذي أنقذني من ناره
بخلافته . وقال الوليد بن عبد الملك لأشفعن للحجاج بن يوسف وقرة بن
شريك عند ربي . وقال الحجاج يقولون مات الحجاج مه ما أرجو الخير كله
الا بعد الموت والله ما رضي الله البقاء الا لاهون خلقه عليه أليس إبليس

إذ قال (رب أنظرني إلى يوم يُبعثون قال فانك من المنتظرين إلى يوم الوقت المعلوم) . وقال أبو جعفر المنصور الحمد لله الذي أجازني بخلافته وأنقذني من النار بها . وحدثني إبراهيم بن عبد الله عن أنس بن مالك قال دخلنا على قوم من الانصار وفيهم فتى عليل فلم نخرج من عنده حتى قضى نحبه فاذا عجوز عند رأسه فالتفت اليها بعض القوم فقال استسلمي لأمر الله واحتسبي . قالت أمات ابني قال نعم . قالت أحق ماتقولون . قلنا نعم فمدت يدها الى السماء وقالت اللهم انك تعلم اني أسلمت لك وهاجرت الى نبيك محمد صلوات الله عليه رجاء أن تغني عنك كل شدة فلا تحملني هذه المصيبة اليوم فكشف ابنها الذي سجيناه وجهه وما برحنا حتى طعم وشرب وطعمنا معه

(ضده)

قال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى عليه . يامعشر الحواريين ان ابن آدم مخلوق في الدنيا في أربع منازل هو في ثلاث منها واثق وهو في الرابعة سيئ الظن يخاف خذلان الله إياه فأما المنزلة الأولى فانه خلق في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة فوفاه الله رزقه في جوف ظلمة البطن فاذا أخرج من ظلمة البطن وقع في اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناول به يده ولا ينهض اليه بقوة بل يكره اليه إكراهاً ويؤجر إيجاراً حتى ينبت عليه لحمه ودمه فاذا ارتفع عن اللبن وقع في المنزلة الثالثة من الطعام من أبويه يكسبان عليه من حلال وحرام فان ماتا عطف عليه الناس هذا يطعمه وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه فاذا وقع في

المنزلة الرابعة واشتد واستوى. وكان رجلاً خشي أن لا يرزق فينب على الناس
فيخون أماناتهم ويسرق أمتعتهم وينقصهم أموالهم مخافة خذلان الله تعالى إياه

محاسن طلب الرزق

قال عمرو بن عتبة من لم يقدمه الحزم أخره العجز . وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم أحدث لي سفراً
أحدث لك رزقاً . وفي بعض الحديث سافروا تغنموا . وقال الكميت
ابن زيد الأسدي

ولن يُزجَّ هموم النفس إن حَضَرَتْ حاجاتُ مِثْلِكَ إلا الرَّحْلُ والجَمَلُ
وقال أبو تمام الطائي

وطولُ مقامِ المرءِ في الحَيِّ مُخْلِقٌ للديابِجَتِيهِ فاغترِبْ تَتَجَدَّدُ
فإني رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ حُبَّةً إلى الناسِ أنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ

وقال بعض الحكماء لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فإن الكريم
محتال والدنيء عيال . وأنشد

فَسِرْ في بلادِ اللهِ والشمسِ الغنى تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتْ قَتَعْدَارَا
وَلَا تَرْضَ من عيشِ بَدُونٍ وَلَا تَتَمَنَّ وكيف يَنَامُ اللَّيْلُ من كان مُعْصِيراً

وتقول العامة كلب جوال خير من أسد رابض . وتقول من غلب دماغه
صائفاً غلب قدره شائفاً . ووقع عبد الله بن طاهر من سمي رعي ومن لزم
المنام رأي الأحلام . هذا المعنى سرقة من توقيعات أنو شروان فإنه يقول
هراك روز جرد هراك خسبد خواب بيند . وأنشد

كفى حزنًا أن التوى قذفت بنا بعيدًا وأن الرزق أعيت مذهبه
ولو أننا إذ فرَّق الدهر بيننا غني واحد منّا تمول صاحبه
ولكننا من دهرنا في مؤونة يكال لنا طورًا وطورًا نكاله

وقال آخر

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ غدرًا أو ينال غنمة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وقال آخر

وليس الرزق عن طلب حيث ولكن أدل دلوك في الدلاء
تجشك يملها حينًا وطورًا تجيء بحمأة وقليل ماء

✽ ضده ✽

قبل وجد في بعض خزائن ملوك العجم لوح من حجارة مكتوب عليه
كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فان موسى عليه السلام خرج ليقبس
ناراً فنودي بالنبوة * وبلغنا عن ابن السماك انه قال لا تشتغل بالرزق
المضمون عن العمل المفروض وكن اليوم مشغولاً بما أنت مسؤول عنه
غداً وإياك والفضول فان حسابها يطول . قال الشاعر

إني أعلمت وعلم المرء ينفعه أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسمى له فيسني تطلبه ولو قعدت أنا لا يعنيني

وقال آخر

لعمرك ما كل التعطل ضائر ولا كل شغل فيه للمرء منفعة

إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى
عليك سواء فاعتنم لذة الداء
وقال آخر

سهل عليك فإن الرزق مقدور
أنى القضاء بما فيه لمدته
لا تكذب بن فخير القول أصدقه
وكل مستأنف في اللوح مسطور
وكل ما لم يكن فيه محذور
إن الحريص على الدنيا لمغرور

وقال آخر

لا تعتن على العباد فاعنا
يأتك رزقك حين يؤذن فيه

وقال آخر

هي المقادير تجري في أعينها
يوما تريح خسيس القوم ترفعه
قاصبر فليس لها صبر على حال
دون السماء ويوما تخفض العلى

وقال آخر

إصبر على زمن جمر نوائبه
تلقاه بالأمن في عمية مظلمة
فليس من شدة إلا لها فرج
ويصبح اليوم قد لاحت له الشرج

وقال آخر

الأرب راج حاجة لا ينهاها
يجول أها هذا وتضى اغيره
وآخر قد تقضى له وهو آئس
فتأتى الذى تقضى له وهو جالس

وقال آخر

فلما أن عنت بما ألقى
دعوت الله لا أرجو سواه
وأعيتني المسائل بالقر وض
ورب العرش ذو فرج عريض

وقال آخر

يا صاحب الهم إن الهم منفرج
أبشر بخير كأن قد فرج الله
اليأس يقطع لحياناً بصاحبه
لا تياسن فإن الصانع الله
إذا ابتليت فتق بالله وأرض به
إن الذي يكشف البلوى هو الله

وقال آخر

وإذا نصبتك من الحوادث نكبة
فاصبر فكل بليّة تتكشف

(محاسن المواعظ)

قال الأصمعي حجبت فنزلت ضرية فاذا اعرابي قد كور عمامته على رأسه وقد تنكب قوساً فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنما الدنيا دار عمر والآخرة دار مقر نخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم. أما بعد فإنه لن يستقبل أحد يوماً من عمره إلا بفراق آخر من أجله فاستعجلوا لأنفسكم لما تقدمون عليه لا لما تظعنون عنه وراقبوا من ترجعون إليه فإنه لا قوى أقوى من خالق ولا ضعيف أضعف من مخلوق ولا مهرب من الله إلا إليه وكيف يهرب من يتقلب بين يدي طالبه وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور * وقال بعض الأعراب إن الموت ليقتمح على بعي آدم كاقتمح الشيب على الشباب ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها على بلوى ولا طالب أغشم من الموت ومن غطف عليه الليل والنهار أرياه ومن وكل به الموت أفناه * وقال اعرابي

كيف يفرح بعمر تنقسه الساعات وبسلامة بدن معرض للآفات لقد عجبت
 من المرء بفرّ من الموت وهو سبيله ولا أرى أحداً الا استدركه الموت *
 وقيل وجد في كتاب من كتب بزرجمهر صحيفة مكتوب فيها ان حاجة الله
 الى عباده أن يعرفوه فمن عرفه لم يعصه طرفة عين كيف البقاء مع الفناء
 وكيف يأسى المرء على مفاته والموت يطلبه * وقال كسرى لم يكن من حق
 علمه أن يقتل وانى لنادم على ذلك (١) قال وحضرت الوفاة رجلا من
 حكماء فارس فقيل له كيف يكون حال من يريد سفرا بعيدا بغير زاد
 ويقدم على ملك عادل بغير حجة ويسكن قبرا موحشا بغير أنيس

(ضده)

قيل : لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع أبوه عليه جزعا
 شديداً فقال ذات يوم لمن حضره هل من منشد شعراً يعزيني به أو واعظ
 يخفف عني فأتسلى به . فقال رجل من أهل الشام يأمر المؤمنين كل خليل
 مفارق خليله بأن يموت أو بأن يذهب الى مكان . فتبسم عمر بن عبد العزيز
 وقال : مصيبتى فيك زادتني الى مصيبتى مصيبة * وأصيب الحجاج بن يوسف
 بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال : ليتاني وجدت انساناً
 يخفف عني مصيبتى . فقال له الرسول : أقول . قال : قل . قال : كل انسان
 مفارق صاحبه بموت أو بهاب أو بنار تقع عليه من فوق البيت أو يقع
 عليه البيت أو يسقط في بئر أو يغشى عليه أو يكون شيء لا يعرفه . فضحك
 الحجاج وقال مصيبتى في أمير المؤمنين أعظم حين وجه مثلك رسولا

(محاسن فضل الدنيا)

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها مسجد أنبياء الله ومهيبط وحيه ومصلى ملائكته ومنجر أوليائه يكسبون فيها الرحمة ويربحون فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت بينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وشوقت يسرورها الى السرور وببلائها الى البلاء تخويفاً وتحذيراً وترغيباً وترهيباً فيا أيها الزام للدنيا والمفتن بفرورها متى غرَّتكَ أبصارُ آباءك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى كم عللت بكيفيك وكم مرضت ببيديك تبتغى لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء وتلتمس لهم الدواء لم تنفعهم بطلبتك ولم تنفعهم بشفاعتك ولم تستشفهم باستشفائك بطبك مثلت بهم الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكأوك ولا يغني عنك أحباؤك ثم التفت الى قبور هناك فقال : يا أهل الثراء والعز الأزواج قد نُكحت والأموال قد قسمت والدور قد سكنت هذا خبر ما عندنا فا خبر ما عندكم ثم قال لمن حضر : والله لو أذن لهم لأجابوا بأن خير الزاد التقوى . وأنشد

ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاع الله من نالها

من لم يؤاس الناس من فضلها عرّض للإذبار إقبالها

قال أبو حازم الدنيا طالبة ومطلوبة طالب الدنيا يطلبه الموت حتى يخرج منه منها وطالب الآخرة يطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه * وقال الحسن البصري بينا أنا أطوف بالبيت اذا أنا بعجوز متعبدة فقلت : من أنت . فقالت من بنات ملوك غسان . قلت فمن أين طعامك . قالت اذا كان آخر النهار جاءتنى

امراة متزينة فتضع بين يدي كوزا من ماء ورغيفين . قالت لها أتعرفينها . قالت
اللهم لا . قلت هي الدنيا خدمت ربك جلّ ذكره فبعث اليك الدنيا خدمتك

(ضده)

زعموا أن زياد بن أبيه مرّ بالحيرة فنظر الى دير هناك فقال لخدمته
لمن هذا قيل له هذا دير حرقه بنت النعمان بن المنذر فقال ميلوا بنا اليه
لنسمع كلامهم . فجاءت الى وراء الباب فسلمها الخادم فقال لها كلمي الأمير .
فقالت أأوجز أم أطيل . قل بل أوجزي . قالت كئنا أهل بيت طلعت
الشمس علينا وما على الأرض أحد اعز منا وما غابت تلك الشمس حتي
رحمنا عدونا قال فأمر لها بأوساق من شعير . فقالت أطعمتك يد شبعاء جاءت
ولا أطعمتك يد جوعاء شبع . فسر زياد بكلامها فقال لشاعر معه قيد
هذا الكلام ليدرس . فقال

سَلِّ الخَيْرَ أَهْلَ الخَيْرِ قَدْماً وَلَا تَسْلُ فَنِي ذَاقَ طَعْمَ الخَيْرِ مِنْذُ قَرِيبٍ
ويقال ان فروة بن إلياس بن قبيصة انتهى الى دير حرقه بنت النعمان فالتفتاها
وهي تبكي فقال لها . ما يبكيك . قالت ما من دار امتلأت سروراً إلا امتلأت
بعد ذلك ثبوراً . ثم قالت

فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسِ وَالْأُمُورُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سَوْقَةٌ نَتَصَفُّ
فَافِرٍ لَدُنْيَا لَا يَذُومُ نَعِيمَهَا تَقْلَبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتَصَرَّفُ

قال وقالت حرقه بنت النعمان لسعد بن أبي وقاص : لا تجعل الله لك الى لثيم
حاجة ولا زالت لكريم البك حاجة وعقد لك المن في أعناق الكرام ولا
أزال بك عن كريم نعمة ولا أزالها بغيرك إلا جعلك سبباً لردّها عليه

قال وقال عبد الملك بن مروان لسلم بن يزيد الفهمي أي الزمان أدركت
أفضل وأى ملوكه أكمل . قال أما الملوك فلم أر إلا ذاماً وحامداً وأما الزمان
فرفع أقوايماً ووضع آخرين وكلهم يذم زمانه لانه يبلى جديدهم ويهرم
صغيرهم وكل ما فيه منقطع إلا الأمل . قال فأخبرني عن فهم . قال هم كما قال الشاعر

دَرَجَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عَلَى فَهْمِ بْنِ عَمْرٍو فَأَصْبَحُوا كَالرَّمِيمِ
وَحَلَّتْ دَارُهُمْ فَأُضْحَتِ قِفَارًا بَعْدَ عِزٍّ وَثَرْوَةٍ وَنَعِيمِ
وَكَذَلِكَ الزَّمَانُ يَذْهَبُ بِالنَّاسِ سِوَتَبَقَى دِيَارُهُمْ كَالرَّسُومِ

قال فمن يقول منكم

رَأَيْتُ النَّاسَ مُذْخَلِقُوا وَكَانُوا يُحِبُّونَ الْغَنَى مِنَ الرِّجَالِ
وَلِنْ كَانَ الْغَنَى أَقْلَ خَيْرًا بَخِيلًا بِالْقَلِيلِ مِنَ النَّوَالِ
فَلَا أَذْرِي عَلَامَ وَفِيمَ هَذَا وَمَاذَا يَرْتَجُونَ مِنَ الْمُحَالِ
أَلَدُنْيَا فَلَيْسَ هُنَاكَ دُنْيَا وَلَا يُرْجَى لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي

قال أنا وقد كتبتها . قال ولما دخل علي صلوات الله عليه المدائن فنظر الى
أيوان كسرى أنشد بعض من حضره قول الأسود بن يعفر

مَاذَا أُمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
أَهْلِ الْخَوَرَنْقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقِ وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
نَزَلُوا بِأَنْفَرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ
أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لَطِيبٌ نَسِيمُهَا كَتَبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ أُمِّ دُوَادِ
جَرَّتِ الرِّيَّاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ

فَإِذَا النِّعَمُ وَكُلُّ مَا يُلْهَى بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَفَإِذَا

وَقَالَ عَلِيٌّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى (كَمْ تَرَكُوا مِنْ
جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ
وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ)
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِ أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكِبَ يَسَارِبَهُمْ وَهُمْ نِيَامٌ وَقَالَ غَيْرُهُ
طَلَّاقُ الدُّنْيَا مَهْرُ الْجَنَّةِ * وَذَكَرُوا أَنَّ أَعْرَابِيًّا ذَكَرَ الدُّنْيَا فَقَالَ هِيَ جَمْعُ الْمَصَائِبِ
وَرِنَقَةُ الْمَشَارِبِ * وَقَالَ آخَرُ الدُّنْيَا لَا تَمْتَعُكَ بِصَاحِبٍ * قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ مَنْ هُوَ إِنْ
الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَعْصِي إِلَّا فِيهَا وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا . وَقَالَ
إِذَا أَقْبَلْتَ الدُّنْيَا عَلَى أَمْرٍ أَعَارَتْهُ مُحَاسِنٌ غَيْرُهُ وَإِذَا أَدْبَرْتَ عَنْهُ سَلَبَتْهُ
مُحَاسِنُ نَفْسِهِ وَقَالَ الشَّاعِرُ

أَيَا دُنْيَا حَسَرْتَ لَنَا قِنَاعًا وَكَانَ جَمَالُ وَجْهِكَ فِي النَّقَابِ
دِيَارًا طَالَمَا حُجِبَتْ وَعُزَّتْ فَأَصْبَحَ أَذُنُهَا سَهْلَ الْحِجَابِ
وَقَدْ كَانَتْ لَنَا الْآيَاتُ ذَلَّتْ فَقَدْ قُرِنَتْ بِأَيَّامِ صِعَابِ
كَأَنَّ الْعَيْشَ فِيهَا كَانَ ظِلًّا يُقْلَبُهُ الزَّمَانُ إِلَى ذَهَابِ
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَجَدَ فِي دَارِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قُبَّةٍ مَكْتُوبًا
وَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا لَيْشَى يَسْرُهُ فَسَوْفَ لَعَمْرِي عَنْ قَرِيبٍ يَلُومُهَا
إِذَا أَدْبَرْتَ كَانَتْ عَلَى الْمَرْءِ حَسْرَةً وَإِنْ أَقْبَلْتَ كَانَتْ كَثِيرًا مَوْمَهَا

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ آدَمَ يَنْشُدُ

نُرْقِعْ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرْقِعُ

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِبَةِ

نَنْ تَرْفَعُ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا
أَرَدْتَ شَرِيفَ الْقَوْمِ كُلِّهِمْ
كَ الَّذِي عَظُمَتْ فِي النَّاسِ هِمَّتُهُ
آخر

بِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا
محمود الوراق

هِيَ الدُّنْيَا فَلَا يَفْرُزُكَ مِنْهَا
أَقْلُ قَلِيلُوا يَكْفِيكَ مِنْهَا
تَشِيدُ وَتَبْنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ
وَمَنْ هَذَا عَلَى الْآيَّامِ تَبْقَى
آخر

دُنْيَا تَدَاوَلَهَا الْعِبَادُ ذَمِيمَةً
وُثْبَاتُ دُنْيَا مَا تَزَالُ مُلِحَةً
آخر

حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ مُشْتَغَلٌ
أبو نواس الحسن بن هاني

دَعِ الْحَرِصَ عَلَى الدُّنْيَا
وَلَا تَجْمَعْ لَكَ الْمَالَ
وَلَا تَذَرِ أَمِي أَرْضَكَ
وَلَا تَذَرِ أَمِي أَرْضَكَ
وَلَا تَذَرِ أَمِي أَرْضَكَ
وَلَا تَذَرِ أَمِي أَرْضَكَ

قال الاصمعي سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول بينما أنا أدور في بعض البراري
إذا أنا بصوت

وإن امرأ الدنيا أكثرهم
فقلت أليس أم جنى فلم يجيني أحد فنقشته على ختمي قال وسمع يحيى بن
خالد بيت العدوي في صفة الدنيا

حقوقاً رصداً وعيشها نكداً
فقال : لقد نظم في هذا البيت صفة الدنيا قال وسمع المأمون بيت أبي نواس
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

فقال : لو سئلت الدنيا عن نفسها ما وصفت نفسها كصفة أبي نواس . وقيل
للحسن البصري ما تقول في الدنيا . قال ما أقول في دار حلالها حساب وحرامها
عقاب فقل ما سمعنا كلاماً أوجز من هذا قال بلى كلام عمر بن عبد العزيز
كتب إليه عدي بن أرطاة وهو على حمص أن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت
إلى صلاح حيطانها فكتب إليه حصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم والسلام

(محاسن الزهد)

محمد بن الحسن عن أبي همام وكان قد عرف ضيفاً قال كنت معه في
طريق مكة فلما بعدنا في الرمل نظر إلى ما تاتي الأبل من شدة الحر فبكي
ضيقاً فقلت لو دعوت الله أن يمطر علينا كان أخف على هذه الأبل قال
فنظر إلى السماء وقال إن شاء الله فعل قال فوالله ما كان إلا أن تكلم حتى
نشأت سحابة فهطلت * وعن عطاء بن يسار أن أبا مسلم الخولاني خرج إلى

ق بدرهم يشتري لاهله دقيقاَ فعرض له سائل فأعطاه بعضه ثم عرض
 ثل آخر فأعطاه الباقي فأتي التجارين فلأ مزوده من نشارة الخشب
 منزله فألقاه وخرج هارباً من أهله فاتخذت المرأة المزود فاذا دقيق
 رى لم تر مثله فعمجنته وخبزته فلما جاء قال من أين لك هذا قالت الدقيق
 جئت به وعن أبى عبد الله القرشي عن صديق له قال دخلت بئر زمزم
 بشخص ينزع الدلو مما يلي الركن فلما شرب أرسل الدلو فأخذته فشربت
 ه فاذا هو سويق لوز لم أر أطيب منه فلما كانت القابلة في ذلك الوقت
 لرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه ونزع الدلو فشرب ثم أرسله فأخذته
 مت فضالته فاذا هو ماء مضروب بالعدل لم أر شيئاً قط أطيب منه فأردت
 أخذ طرف ثوبه فأنظر من هو ففأنتى فلما كان في الليلة الثالثة قعدت
 زمزم في ذلك الوقت فجاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه فنزع
 فشرب وأرسله وأخذته وشربت فضالته فاذا هو أطيب من الاول
 يا هذا أسألك رب هذه البنية من أنت قال تكتم على حتى أموت
 نعم . قال لي أنا سفيان الثوري وكانت تلك الشربة تكفيني اذا شربتها
 نأها لأجد جوعاً ولا عطشاً وقال الاصمعي رأيت اعرابياً يكدح جبهته
 ض يريد أن يجعل سجادة فقلت ما تصنع قال اني وجدت الاثر في وجه
 الصالح وقال الشاعر

تَبَّيْكَ لِمَحْبَسٍ فِي طُلُولٍ مَنْ سَيَقْضَى لِيَوْمٍ حَبْسٍ طَوِيلٍ
 فِي الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ لَشُغْلًا عَنْ وَقُوفٍ بِرَسْمِ رَبْعٍ مُحِيلٍ
 آخر
 الشَّقَى الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ وَالْقَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ

يَا رَبِّ اسْرِفْتُ فِي ذَنْبِي وَمَعْصِيَتِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا سَوْءَ آثَارِي
فَاغْفِرْ ذُنُوبًا إِلَهِي تَدَا أَحْطَتْ بِهَا رَبَّ الْعِبَادِ وَرَحْزَنِي عَنِ النَّارِ

وقال ذو الرمة

تَعْصِي الْإِلَهِ وَأَنْتَ تَظْهَرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَا طَمَعُهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

وقال أبو نواس

أَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصِي الْإِلَهِ أَمْ كَيْفَ يَجْعَدُهُ الْجَاهِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ فَاعْلَمَنْ شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

وقال أيضاً

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ ضَعِيفٍ مَهِينٍ
يَسُوقُهُمْ مِنْ قَرَارٍ إِلَى قَرَارٍ مَكِينٍ
يَجُوزُ خَلْقًا فَخَلْقًا فِي الْحُجُبِ دُونَ الْعُيُونِ
حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتُ مَخْلُوقَةٍ مِنْ سُكُونِ

وقال آخر

أَخِي مَا بَالُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَنْقَى كَأَنَّكَ مَا تَغْزِي الْمَوْتَ حَقًّا
الْأَيَّامُ الَّذِينَ مَضَوْا وَبَادُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لَتَبْقَى
وَمَا لَكَ غَيْرَ تَقْوَى اللَّهِ زَادُ إِذَا جَعَلْتَ إِلَى اللَّهِوَاتِ تَرْفَى

وقال آخر

يَا قَلْبُ مَهْلًا وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ فَقَدْ لَعَمْرِي أُمِرْتَ بِالْحَذَرِ

مَالِكٌ بِالرَّهَاتِ مُشْتَغِلًا أَمَّا يَدُكَ الْأَمَانُ مِنْ سَقَرٍ
وقال آخر

إِنْ كُنْتُ تَوْمِنُ بِالْقِيَامَةِ وَاجْتَرَأْتَ عَلَى الْخَطِيئَةِ
فَلَقَدْ هَلَكْتَ وَإِنْ جَحَدْتَ فَذَلِكَ أَعْظَمُ لِلْبَلِيَّةِ

وقال آخر

وَأَفْنِيَةُ الْمُلُوكِ مُحَجَّبَاتٌ وَبَابُ اللَّهِ مَبْذُولُ الْفَنَاءِ
فَأَرْجُو سِوَاهُ لِكَشْفِ ضُرِّي وَلَا أَفْزَعُ إِلَى غَيْرِ الدُّعَاءِ
وَلَا أَدْعُو إِلَى الْأَوَاءِ كَهَفًا سِوَى مَنْ لَا يَصَمُّ عَنِ الدُّعَاءِ

(ضده)

قيل كان جندي بقزوين يصلي في بعض المساجد فافتقده المؤذن أياماً
فصار اليه وقرع بابه عليه فخرج اليه فقال له المؤذن أبو من . فقال أبو
الجهيم قال بنس ياهذا رد الباب . قال وقيل للقينى ما أيسر ذنبك قال ليلة
الدير قيل له وما ليلة الدير قال نزلت بدير نصرانية فأكلت عندها طفشيلاً
بلحم خنزير وشربت خمرها وفجرت بها وسرقت كساءها وخرجت (١) .
قيل أتى خمسة من الفتيان الى قرية فنزلوا على باب خان فقام أحدهم يصلي
والباقيون جلوس فمرو بهم نبطية فقالوا دُلِّنا على قبة قالت نعم كم أنتم
قالوا نحن أربعة فأوماً الذي يصلي بيده سبحان الله أنا الخامس وقال الشاعر

(١) ذكر ابن قتيبة في كتابه اخبار الشعراء هذه القصة لابن الطمجان القيني وقد
نسبت هذه الحزبة أيضاً للفرزدق وفيها يقول له جرير
وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخزيرة وتركت عاراً

وإتني في الصلاة احضرها ضحكة أهل الصلاة إن شهدوا
أقعدني سجدة إذا ركعوا وأرفع الرأس إن هم سجدوا
أسجد والقوم راكعون معاً واسرع الوثب إن هم قعدوا
فلست أدري إذا هم فرغوا كم كان تلك الصلاة والعدد

وقال آخر

وأصلى فأغلط الدهر فيما بين سبع وأربع وثمان
وموقيت حينها لست أدري ما أذان موقت من أذان

وقال آخر

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ويقيم وقت صلاته حمداً
عدلت مشافرة الدنان فأنه مثل القدوم بسنة الحداد
فابيض من شرب المدامة وجهه فيياضه يوم الحساب سواداً

وقال آخر

إن قرأ العاديات في رجب لم يعد منها إلا إلى رجب
بل نحن لا نستطيع في سنة نخم تبت يدا أبي لهب

(محاسن النساء الناديات)

قبل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسن قول النساء في صخر أخيهما
لا بد من مينة في صر فوا غير والدهر من شأنه حرل ولا ضرار
وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وقيل للخنساء صني لنا صخرأ فقالت كان مطر السنة الغبراء وذفاف
الكتيبة الحمراء!! قيل فعاوية قالت حياء الجذبة اذا نزل وقرى الضيف
اذا حل قيله فأيهما كان عليك أحنى قالت أما صخر فسقام الجسد وأما
معاوية فجمرة الكبد وأنشدت

أَسْدَانِ مُحْمَرًّا مُحَالِبِ نَجْدَةٍ غِيثَانِ فِي الزَّمَنِ الْغَضُوبِ الْأَعْسِرِ
قَمَرَانِ فِي النَّادَى رَفِيعًا مُحْتَدٍ فِي الْمَجْدِ فِرْعَا سَوْدَرٍ مُتَخَيَّرِ

وروي انها دخلت على عائشة أم المؤمنين وعليها صدر من شعر فقالت
لها عائشة أتتخذين الصدر وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا أم المؤمنين ان زوجي كان رجلاً متلاًفاً منفقاً فقال لي لو أتيت
معاوية فاستعنتيه فخرجت وقد لقيتني صخر فأخبرته فشاطرني ماله ثلاث
مرات فقالت له امرأته لو أعطيتها من شرارها - تعنى الابل - فقال

لِللّهِ لَا أُمْنَحُهَا شَرَارَهَا وَهِيَ حَصَانٌ قَدْ كَتَنِي عَارَهَا
وَإِنْ هَلَكْتُ مَرَقْتُ خِمَارَهَا وَاتَّخَذْتُ مِنْ شَعَرِ صِدَارَهَا

فلما هلك صخر اتخذت هذا الصدر ونذرت أن لا أنزعه حتى أموت
قال ثور بن معن السلمي حدثني أبي قال دخلت علي الخنساء في الجاهلية
وعليها صدر من شعر وهي تجهز ابنتها فكلماتها في طرح الصدر فقالت
يا حمقاء والله لأننا أحسن منك عرساً وأطيب منك درساً وأرق منك نعللاً
وأكرم منك بعلاً قال عبد الرحمن بن مرة عن بعض أشياخه ان عمر بن
الخطاب قال للخنساء ما أقرح ما قى عينيك قالت بكأني على السادات من مضر
قال يا خنساء انهم في النار. قالت ذلك أطول لعويلي ومما اخترنا من أشعارها قولها

تَمَرَّقَنِي الدَّهْرُ قَرَعًا وَغَمَزَا وَأَوْجَعَنِي الدَّهْرُ نَهْشًا وَوَحَزَا
 وَأَفْنَى رِجَالِي فَبَادُوا مَعًا فَأَصْبَحَ قَلْبِي لَهُمْ مُسْتَفْزَا
 كَأَن لَّمْ يَكُونُوا حِمًى يُتَّقَى إِذِ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مِنْ عَزَبَا
 وَكَانُوا سَرَاةَ بَنِي مَالِكٍ وَزَيْنَ الْعَشِيرَةِ بَجْدًا وَاعِزَا
 وَهُمْ فِي الْقَدِيمِ صِحَاحُ الْأَدِيمِ وَالْكَائِنُونَ مِنَ النَّاسِ حِرْزَا
 بِسُورِ الرَّمَاكِ وَيِضِّ الصَّفَاحِ بِفَالْبَيْضِ ضَرْبًا وَبِالسُّمْرِ وَخَزَا
 حَزْرَنَا نَوَاصِي فُرْسَانِكُمْ وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ لَا تُحْزَا
 وَمَنْ ظَنَّ مَن يُلَاقِي الْحُرُوبَ بِأَن لَا يُصَابَ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزَا
 نَعِفٌ وَنَعَرَفُ حَقَّ الْقَرَى وَتَتَحَدُّ الْحَمْدُ ذَخْرًا وَكَنْزَا
 وَنَلْبَسُ فِي الْحَرْبِ نَسِجَ الْحَدِيدِ وَفِي السَّلَامِ نَلْبَسُ خَزَا وَقَزَا

وروى خبر الخنساء من جهة أخرى ذكروا أنها أقبلت حاجة فمرت
 بالمدينة ومعها أناس من قومها فأتوا عمر بن الخطاب فقالوا هذه خنساء فلو
 وعظمتها فقد طال بكاؤها في الجاهلية والاسلام فقام عمر وأتاها وقال يا
 خنساء قال فرفعت رأسها فقالت ما تشاء وما الذي تريد فقال ما الذي أقرح
 ما في عينيك قالت البكاء على سادات مضر قال انهم هلكوا في الجاهلية وهم
 أعضاد اللهب وحشو جهنم قالت فذاك أبي وأمي فذلك الذي زادني وجعاً
 قال فأنشدني ما قلت قالت أما اني لا أنشدك ما قلت قبيل اليوم ولكني
 أنشدك ما قلته الساعة فقالت

سَقَى جَدْنًا أَعْرَاقُ غَمْرَةٍ دُونَهُ وَبَيْشَةُ دِيَمَاتُ الرَّيِّعِ وَوَابِلُهُ

وكنْتُ أعيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكَى فانتَ على مَنْ ماتَ قَبْلَكَ شاغِلُهُ
وأُرْعِيهِمْ مُسَمًى إِذَا ذَكَرُوا الْأَسَى وفي الصَّدْرِ مِنِّي زَفْرَةٌ لَا تُزِيلُهُ
فقال عمر دعوها فإنها لا تزال حزينَةً أَبَدًا * ليلي الأَخيلية هجأها رجل من قومها . فقال

ألا حَيًّا ليلي وقولا لها هَلَا فقد ركبْتَ أيرًا أغرَّ مُحَجَّلًا
فأجابته

تُعَيِّرُنِي دَاءُ بِأَمْكٍ مِثْلَهُ وأَيُّ جَوَادٍ لَا يُقالُ لَهُ هَلَا
وذَكَرُوا أَنها دخلت على عبد الملك بن مروان فقال لها ياليلي هل بقي في قلبك من حب توبة فتَيَّ الفتيان شَيْءٌ . قالت وكيف أنساه وهو الذي يقول يا أَمير المؤمنين

ولو أَن ليلي في ذُرَى مَتَمَنَعٍ بَنَجْرانَ لالْتَفَتَتْ على قُصُورِها
سَحامةً بَطْنِ الوادِيينَ تَرْتَمِي سَقاكِ مِنَ الغُرِّ الغَوادِي مَطِيرِها
أَيُّنِي لَنَا لَا زَالَ رِيْشُكَ ناعِمًا ^(١) وَيِيْضُكَ في خُضراءِ غُصْنٍ نَضِيرِها
تَقولُ رِجالُ لَا يَضِيرُكَ نايُها بلي كُلُّ ما شَفَّ النَّفُوسَ يَضِيرُها
أَيْذَهَبُ رِيْعانُ الشَّبابِ وَلَمْ أَرْزُ كَواعِبَ في هَمدانَ يِيْضًا نُحُورِها
قال عَمْرُوكَ اللهُ أَن تَذْكَرِيهِ . وَلِتُوبَةٍ في ليلي الأَخيلية

ولو أَن ليلي الأَخيلية سَلِمَتْ على ودوني جندَلُ وصَفائحُ
لَسَلِمْتُ تَسليمَ البَشاشَةِ أوزي إِلَيها صَدًا من جِانبِ القَبْرِ صائِحُ
ولو أَن ليلي في السَّماءِ لَأَضَعَدَتْ بَطْرَفِي إلى ليلي العُيُونِ اللَّوامِحُ

(١) - رواية أبي علي القالي في أماليه * ولا زات في خضراء غصن نضيرها

فلما مات توبة مرَّ زوج ليلى بليلى على قبره فقال : لها سلمى على توبة
فانه زعم في شعره انه يسلم عليك تسليم البشاشة . فقالت ما تريد الى من
بليت عظامه . فقال والله لتفعان . فقالت وهي على البعير . سلام عليك يا توبة
فتى الفتيان . وكانت قطاة مستظلة في ثقب من ثقب القبر فاستمعت الصوت
طارت وصاحت فففر البعير ورمى بليلى فماتت فدفت الى جنب قبر توبة
قال وسأل الحجاج ليلى هل كان بينك وبين توبة ريبة قط . قالت لا والذي
أسأله صلاحك الا انه مرَّة قال لي قولا ظننت انه خنع لبعض الأمر فقلت له
وذي حاجة قلنا له لا تبج بها فليس إليها ما حيت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لا خرى فارغ و خليل
فما كمنى بعد ذلك بشي حتى فرق بيني وبينه الموت . قال الحجاج فما كان
بعد ذلك . قالت لم يلبث أن قال لصاحب له اذا أتيت الحاضر من بنى عباد
فقل بأعلى صوتك

عفا الله عنها هل أبيت ليلة
فلما سمعت الصوت خرجت فقلت
وعنه عفا ربى وأحسن حاله
تعز علينا حاجة لا ينالها

قال ودخلت ليلى على الحجاج فأنشدته . قولها فيه
إذا نزل الحجاج أرضاً سقيمة
شفاها من الداء العضال الذى بها
أحجاج لا تعطى العصاة مناهم
فوصلها الحجاج بألف دينار وقال لو قلت بدل غلام همام لكان أحسن

* هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان قيل لما قتل شيعة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة رثهم هند . فقالت

إني رأيتُ فساداً بعد إصلاح
هاجتُ لهم أذْ مُعٍ تترى ومنبعها
لما تنادتُ بنو فِزْرِ على حَقِّ
كأنما النَّسِجُ في قَتلى مُصرَّعة
يا آلَ هاشمِ أنا لا نصالحكم
إن يُمكنَ الله يوماً من هزيمتكم
في عبد شمسٍ فقلبي غيرُ مُرتاح
من رأسٍ محروبةٍ ما إن لها لاحي
والموتُ بينهم ساعٍ لأرواح
سُرجُ أضاءت على جُذرو ألواح
حتى نرى الخيل تُردى كلَّ كفاح
يورثُ نساءكم داءً بتقراح

فأجابتها عمرة بنت عبد الله بن رواحة الانصاري

يا هند مهلاً لقد لا قيتُ مَهْلاً
أسدُ غطارقةٍ غرَّ ججاجحةً
هناك الفوزُ والرضوان إن صبروا
اللهُ أهلكهم والأوسُ شاهدةٌ
لا تبعدنْ فإني غيرُ صارخةٍ
يومَ الأعنة والأرواحُ في الرَّاح
أبناءُ مُحصنةٍ بيضُ لججاج
مع الرسولِ فما أبوا بتقباح
والخزرجُ الغرُّ فيهم كلُّ محتاح
وكيف تُضرخُ ذاتِ البعلِ يصاح

(النساء الماجنات)

قل سليمان بن عبد الملك أنشدوني أحسن ما سمعتم من شعر النساء فقال بعضهم يا أمير المؤمنين سار رجل من الظرفاء في بعض طرقاته إذا خذته السماء فوقف تحت مظلة ليستكن من المطر وجارية مشرفة عليه فلما رآته قذفته بحجر فرفع رأسه . وقال

لَوْ بِتَفَاحَةٍ رَمَيْتِ رَجُونًا وَمِنْ الرَّمْيِ بِالْخِصَاةِ جَفَاءَ
فَأَجَابَتْهُ

مَاجِهِنَا الَّذِي ذَكَرْتَ مِنَ الشَّكْلِ وَلَا بِالَّذِي نَرَاهُ خَفَاءَ
وَدَايَةً مَعَهَا فَقَالَتْ

قَدْ بَدَأْتُ بِهِ مَا ذَكَرْتَ وَجَدْتِي لَيْتَ شِعْرِي فَهَلْ لِهَذَا وَفَاءَ
وَسَائِلَةٌ فِي الْبَابِ فَقَالَتْ

قَدْ لَعَمْرِي دَعَوْتَهَا فَأَجَابَتْ هِيَ دَاءٌ وَأَنْتَ مِنْهُ شِفَاءُ
قَالَ سَلِيمَانُ قَاتِلَاهَا اللَّهُ هِيَ وَاللَّهُ أَشْعَرُهُم

(عنان جارية النماطية) قَالَ السَّلُولِيُّ دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى عَنَانَ وَعِنْدَهَا
رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَتْ يَا عَمِّ لَقَدْ أَتَى اللَّهَ بِكَ . قُلْتُ وَمَا ذَاكَ . قَالَتْ هَذَا
الْأَعْرَابِيُّ دَخَلَ عَلَيَّ فَقَالَ يَا غَنِيَّ إِنَّكَ تَقُولِينَ الشَّعْرَ فَقَوْلِي بَيْتًا فَقُلْتُ لَهَا قَوْلِي
فَقَالَتْ قَدْ أَرْتَحُ عَلَيَّ فَقُلْتُ أَنْتَ فَقُلْتُ

لَقَدْ جَدَّ الْفِرَاقُ وَعَيْلٌ صَبْرِي عَشِيَّةَ عَيْرُهُمْ لِلْبَيْنِ رُمْتُ
فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ

نَظَرْتُ إِلَى أَوَاخِرِهَا ضَحِيًّا وَقَدْ بَانَتِ وَأَرْضُ الشَّامِ أُمْتُ
فَقَالَتْ عَنَانَ

كَتَمْتُ هَوَاكُمُ فِي الصَّدْرِ مِنِّي عَلَى أَنْ الدَّمُوعَ عَلَى نَمَتْ
فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ أَنْتَ وَاللَّهُ أَشْعَرُنَا وَلَوْلَا أَنَّكَ بِحَرَمَةٍ رَجُلٌ لَقَبَلْتُكَ وَلَكِنِّي
أَقْبَلُ الْبَسَاطَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ دَخَلْتُ عَلَى عَنَانَ فَإِذَا عَلَيْهَا قَيْمٌ يَكَادِي بِقَطْرِ صَبْغِهِ
وَقَدْ تَنَاوَلَهَا سَيْدَهَا بِضَرْبٍ شَدِيدٍ وَهِيَ تَبْكِي . فَقُلْتُ

إِنَّ عِنَانًا أَرْسَلَتْ دَمْعَهَا كَالدُّرِّ إِذْ يَنْسَلُّ مِنْ سِمَظِهِ

فَقَالَتْ وَأَشَارَتْ إِلَى مَوْلَاهَا

فَلَيْتَ مَنْ يَضْرِبُهَا طَالَمَا تَجِفُّ يَمْنَاهُ عَلَى سَوْطِهِ

فَقَالَ مَوْلَاهَا هِيَ حُرَّةٌ لَوْ جِهَ اللَّهُ أَنْ ضَرَبَتْهَا ظَالِمًا أَوْ غَيْرَ ظَالِمٍ . قَالَ وَاجْتَمَعَ أَبُو نَوَاسٍ وَالْفَضْلُ الرِّقَاشِيُّ وَالْحُسَيْنُ الْخَلِيعُ وَعَمْرُو الْوَرَّاقُ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَزِينَ وَالْحُسَيْنُ الْخَلِيطُ فِي مَنْزِلِ عِنَانٍ فَتَنَاشَدُوا إِلَى وَقْتِ الْعَصْرِ فَلَمَّا أَرَادُوا الْإِنْصِرَافَ قَالُوا أَيْنَ نَحْنُ اللَّيْلَةُ فَكُلُّ قَالٍ عِنْدِي . فَقَالَتْ عِنَانٌ بِاللَّهِ قُولُوا شِعْرًا وَارْضُوا بِحُكْمِي . فَقَالَ الرِّقَاشِيُّ

عَذْرَاهُ ذَاتُ اخِرَارٍ لِي بِهَا لَا أُحَاشِي

قَوْمُوا نَدَامَايَ رَوَّوْا مُشَاشِكُمْ مِنْ مُشَاشِي

وَنَاطِحُونِي كُؤُوسًا نِطَاحَ صُلْبِ الْكِبَاشِ

وَلَا نَكَلْتُ لِحِلِّي لَكُمْ دَمِي وَرِيَاشِي

فَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ

لَا بِلِي إِلَى ثِقَاتِي قَوْمُوا بِنَا بِحَبَاتِي

قَوْمُوا نَلِّدْ جَمِيعًا بِقَوْلِ هَاكِ وَهَاتِ

فَإِنْ أَرَدْتُمْ فَنَاءَ أَتَيْتُكُمْ بِفَنَاتِي

وَإِنْ أَرَدْتُمْ غَلَامًا صَادَقْتُمُونِي مُؤَاتِي

فَبَادِرُوهُ مُجُونًا فِي وَقْتِ كُلِّ صَلَاةٍ

وَقَالَ الْحُسَيْنُ الْخَلِيعُ

أَنَا الْخَلِيعُ قَقُومُوا إِلَى شَرَابِ الْخَلِيعِ

إِلَى شَرَابٍ لَذِيذٍ وَأَكْلِ جَذَى رَضِيعٍ
وَنِيكَ أَخَوَى رَخِيمٍ بِالْخَنْدَرِيسِ صَرِيعٍ
قَوْمُوا تَنَالُوا وَشَيْكَا مِثَالَ مُلْكٍ رَفِيعٍ

وقال الوراق

قَوْمُوا إِلَى بَيْتِ عَمْرِو إِلَى سِمَاعٍ وَخَمْرِ
وَسَاقِيَاتِ عَلَيْنَا تُطَاعُ فِي كُلِّ أَمْرٍ
وَيَنْسَرِي رَخِيمٍ يَزْهُو بِجِيدٍ وَنَحْرِ
فَذَاكَ بَرٌّ وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْيُنَا يَبْجُرُ
هَذَا وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ أُولَى وَلَا وَقْتُ عُصْرِ

وقال محكم بن رزين

قَوْمُوا إِلَى دَارِ لَهْوٍ وَظِلِّ بَيْتِ دَفِينٍ
فِيهِ مِنَ الْوَرْدِ وَالْمَرْ زَنْجُوشِ وَالْبَاسْمِينِ
وَرِيحِ مَسْكٍ ذِي وَجِيدِ الزَّرْجُونِ
قَوْمُوا فَصِيرُوا جَمِيعًا إِلَى الْفَتَى ابْنِ رَزِينِ

وقال الحسين الخطيب

قَضَتْ عَنَانُ عَلَيْنَا بَأْنَ نَزُورَ حُسَيْنَا
وَأَنْ نَقْرُوا لَدَيْهِ بِالْقَصْفِ وَاللَّهِ عُيْنَا
فَمَا رَأَيْنَا كَطَرْفِ الْحُسَيْنِ فَمَا رَأَيْنَا
قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ مِنْهُ زَيْنَا وَبَاعَدَ شَيْنَا

قوموا وقولوا أجزنا ما قد قضيت علينا

وقالت عنان

مَهْلًا فِدَيْتِكَ مَهْلًا عَنانُ أَحْرَى وَأَوَّلَى
بَأَنْ تَنَالُوا لَدَيْهَا أَسْنَى النَّعِيمِ وَأَحْلَى
فَإِنْ عِنْدِي حَرَامًا مِنْ الشَّرَابِ وَحَلَا
لَا نَظْمَعُوا فِي سِوَايَ مِنْ الْبَرِيَّةِ كَلَا
يَا سَادَنِي خَبِرُونِي أَجَازُ حُكْمِي أَمْ لَا

فقالوا جميعاً . قد أجزنا حكمك وأقاموا عندها . قال وكتبت عنان الى
الفضل ابن الربيع

كُنْ لِي هُدًى إِلَى الْخَلِيفَةِ سُلَمًا بُرِكَتَ يَا ابْنَ وَزِيرِهِ مِنْ سُلَمٍ
حُثِّ الْإِمَامَ عَلَى شِرَايَ وَقُلْ لَهُ رِيحَانَةٌ ذُخِرَتْ لِأَنْفِكَ فَاشْمُمْ

وكانت عنان تنوحي أبا نواس وتخاف مجونه وسفهه . وفيها يقول

عَنانُ يَا مَنْ تُشَبِّهُ الْعَيْنَا أَنْتُمْ عَلَى الْحُبِّ تَلُومُونَا
حُسْنُكَ حُسْنٌ لَا يُرَى مِثْلُهُ قَدْ تَرَكَ النَّاسَ مَعْجَانِينَا

فهيأت لأبي نواس وتصنعت له الى أن صار اليها فرأى عندها بعض وجوه
أهل بغداد فأحب أن ينجلها . فقال لها

مَا تَأْمُرِينَ لَصَبِّ يَكْفِيهِ مِنْكَ قُطِيرَهُ

فَقَالَتْ إِيَّايَ تَعْنِي بِهَذَا عَلَيْكَ فَاجِدْ عُمِيرَهُ

فَقَالَ أَنِّي أَخَافُ وَرَبِّي عَلَى يَدَيَّ مِنْ عُبَيْرِهِ

فَقَالَتْ عَلَيْكَ أُمُّكَ نِكَاحًا فَإِنَّهَا كَعْدَبِيرِهِ

فأخجلته وشاع الخبر حتى بلغ الرشيد فاستظرفها وطلبها من الناطقي فحملت
إليه . فقال لها يا عنان . قالت لبيك ياسيدي فقال * ماتا مريين لصب *
قالت قد مضى الجواب في هذا يا أمير المؤمنين . قال بحياتي كيف قلت . قالت قلت
لأَيَّ تَعْنَى بهذا عليك فأجابه عُمَيْرَه

فضحك الرشيد وطلبها من مولاهما فاستام فيها مالا جزيلا فردها
(عريب جارية المأمون)

وَأَنْتُمْ أَنْاسٌ فِيكُمْ الْقَدَرُ شِيمَةٌ لَكُمْ أَوْجُهُ شَيْءٌ وَالسَّيِّئَةُ عَشْرُ
عَجِبتُ لِقَلْبِي كَيْفَ يَصْبُو إِلَيْكُمْ عَلَى عَظَمِ مَا يَلْقَى وَلَيْسَ لَهُ صَبْرُ

(فضل الشاعرة) حدثنا القاسم بن عبد الله الحرازي قال كنت عند
سعيد بن حميد الكاتب ذات يوم وقد اقتصد فأنته هدايا فضل الشاعرة
ألف جدي وألف دجاجة وألف طبق رياحين وطيب وغبير وغير ذلك
فلما وصل ذلك كتب إليها أن هذا يوم لا يتم سروره إلا بك وبحضورك
وكانت من أحسن الناس ضرباً بالعود وأملحهم صوتاً وأجودهم شعراً فأنته
فضرب بينه وبينها حجاب وأحضر قوماً ندماء ووضع المائدة وجيء
بالشراب فلما شربنا أقداحاً أخذت عودها فغنت بهذا الشعر والصوت لها
والشعر والأبيات هذه

يَا مَنْ أَطْلَتُ تَفْرَسِي	فِي وَجْهِهِ وَتَنْفَسِي
أَفْدِيكَ مِنْ مُتَدَلِّلٍ	يَزْهُو بِقَتْلِ الْإِنْفَسِ
هَبْنِي أَسَأْتُ وَمَا سَأُ	تُبَلِّى أَقُولُ أَنَا الْمَسِي
أَخْلَقْتَنِي أَنْ لَا أَسَا	رَقِ نُظْرَةٌ فِي مَجْلِسِي

فَنَظَرْتُ نَظْرَةَ عَاشِقٍ أَتَبَعْتُهَا بِنَفْسِي
وَنَسِيتُ أَنِّي قَدْ حَلَفْتُ فَمَا يُقَالُ لِمَنْ نَسِيَ

وَضَرَبْتُ أَيْضاً وَغَنَتُ

عَادَ الْحَبِيبُ إِلَى الرِّضَا فَصَفَحْتُ عَمَّا قَدْ مَغَى
مِنْ بَعْدِ مَا لَصَدُّودُهُ شَمِتَ الْحَسُودُ فَعَرَّضَا
نَعَسَ الْبَغِيضُ فَلَمْ يَزَلْ لَصَدُّودِنَا مُتَعَرِّضَا
هَبْنِي أَسَأْتُ وَمَا أَسَا ت فَإِنْ أَسَأْتُ لَكَ الرِّضَا

قَالَ فَمَا أَنِي عَلَى يَوْمِ أَسْرَمَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ

﴿صاحبة الفرزدق﴾ ذكروا أن الفرزدق كان مع أصحاب له فاذا هو
بجارية مع مولاها فقال لأصحابه هل أخجل لكم هذه . قالوا : نعم . فقال

إِنَّ لِي أَمْرًا خَبِيثًا لَوْ نُهُ يَحْكِي الْكُمَيْتَا
لَوْ بَرَى فِي السَّقْفِ صَدْعًا لَتَحَوَّلَ عَنْكَ بَوَا
أَوْ بَرَى فِي الْأَرْضِ شَقًّا لَنَزَا حَتَّى يَمُوتَا

فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ

زَوَّجُوا هَذَا بِالْفِرِّ وَأَرَى ذَلِكَ قُوْنَا
قَبْلَ أَنْ يَنْقَلِبَ الدَّاءُ فَلَا يَأْتِي وَيُوتِي

فَخَجَلَ الْفَرَزْدَقُ وَانصَرَفَ (١)

﴿صاحبة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي﴾ قَالَتْ

(١) فِي هَامِشِ الْأَصْلِ .. قِيلَ أَنَّ هَذِهِ الرَّدَاةَ جَرَتْ بَيْنَ أَبِي نَوَاسٍ وَهَذَا جَارِيَةُ النَّاطِلِيِّ
وَالْأَبْيَاتُ تَرَوِي عَلَى غَيْرِ هَذَا

عَزَمْتُ عَلَى قَلْبِي بَأَنَّا كُنْهُمُ الْهَوَىٰ فَضَجَّ وَنَادَىٰ لِأَنِّي غَيْرُ عَاقِلٍ
فَإِنْ حَانَ مَوْتِي لَمْ أَدْعَكَ بَغْضَتِي وَأَقَرَّرْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ أَنَّكَ قَاتِلِي
﴿جارية الباري﴾ ذَكَرُوا أَنَّهَا أُنْشَدَتْ فِي مَجْلِسِ عَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ
يَا أَحْسَنَ الْعَالَمِ حَقِّي مَقِي بَرْتَفَعُ الْحُبُّ وَانْحَطَّ
وَكَيْفَ مَنجَايَ وَبَحْرُ الْهَوَىٰ مُذْ حَفَّ بِي لَيْسَ لَهُ شَطُّ

فَأَجِيبَتْ

يَذُرُكَ الْوَصْلُ فَتَنْجُو بِهِ أَوْ يَقَعُ الْبَحْرُ فَتَنْحَطُّ
﴿الغنية المليحة﴾ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ : كُنْتُ فِي مَجْلِسِ مُحَمَّدِ بْنِ
مَسْعَدَةَ فَأَقْبَلَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا الْبَدْرُ لَيْلَةُ التَّمَامِ بِلَوْنِ كَأَنَّهَ الدُّرُّ فِي الْبَيَاضِ مَعَ
أَحْمَرَارِ خَدَيْهِ كَشَقَائِقِ النِّعَمَانِ فَسَأَلَتْ فَقَالَ لِي مُحَمَّدٌ يَا أَبَا الْحَسَنِ هَذِهِ الْجَنَّةُ
الَّتِي كُنْتُمْ تَوَعْدُونَ . فَقَالَتْ

وَمَا الْوَعْدُ يَا سُوْلِي وَغَايَةُ مُمْنِي فَإِنْ فَوَّادِي مِنْ مَقَالِكَ طَائِرٌ
فَقَالَ لَهَا مُحَمَّدٌ

أَمَا وَإِلَهُ الْعَرْشِ مَا قُلْتَ سَيِّئًا وَمَا كَانَ إِلَّا أَنِّي لَكَ شَاكِرٌ

فَقَالَ ابْنُ الْجَهْمِ

أَمْسِكْ فَدَيْتُكَ عَنْ عِتَابِ مُحَمَّدٍ فَهُوَ الْمَصُونُ لَوَدَّهَ الْمُتَحَادِرُ
فَأَقْبَلَتْ تَحْدِثُنَا فَذَا عَقْلٌ كَامِلٌ وَجَاهٌ فَاضِلٌ وَحَسَنٌ قَاتِلٌ وَرَدْفٌ مَائِلٌ فَقَالَتْ
لَقَدْ أَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنًا تَرَاكَ . فَقَالَتْ : أَقْرَأَ اللَّهُ أَعْيُنَكُمْ وَزَادَكُمْ سُرُورًا وَغَبْطَةً
ثُمَّ انْدَفَعَتْ تَغْنَى بِنِعْمَةٍ لَمْ أَسْمَعْ أَحْسَنَ مِنْهَا
أَرْوَحُ بِهِمْ مِنْ هَوَاكَ مُبْرَحٍ أُنَاجِي بِهِ قَلْبًا كَثِيرَ التَّفَكُّرِ

عليك سلام لازيارة بيننا ولا وصل إلا أن يشاء ابن مَعْمَرٍ
فما زلنا يومنا ذلك معها في الفردوس الأعلى وما ذكرتها بعد ذلك الا اشتقت
لها وأسفت عليها * محمد بن حماد قال : كنا يوما عند اسحاق بن نجيح وعند
جارية يقال لها شادن موصوفة بمجودة ضرب العود وشجو صوت وحسن
خلق وظرف مجلس وحلاوة وجه وأخذت العود وغنت

ظبيٌ تكامل في نهاية حسنه فرها بهجته وتاه بصدّه
فالشمس تطلع من فرندجينه والبدن يفرق في شقائق خده
ملك الجلال بأسره فكأنما حسن البرية كلها من عنده
يارب هب لي وصله وبقاءه أبداً فلست بعائش من بعده

فطارت عقولنا وذهلت ألبابنا من حسن غنائها وظرفها فقلت : يا سيدي
من هذا الذي تكامل في الحسن والبهاء سواك . فقالت :

فإن بخت نالني عيون كثيرة وأضعف عن كتمانها حين أكنم

(الأعرابيات)

حدثنا ثعلب عن الفتح بن خاقان قال : لما خرج المتوكل الى دمشق
كنت عديله فلما صرنا بقتسر بن قطعت بنو سليم علي التجار فأهوى ذلك
اليه فوجه قائدا من وجوه قواده اليهم فخاصروهم فلما قربنا من القوم اذا
نحن بجارية ذات جمال وهبته وهي تقول

أمير المؤمنين سما لنا سمو البذر مال به الغريف
فإن نسلم فغفر الله نرجو وإن تقتل فقاتلنا شريف

فقال لها المتوكل : أحسنت ، ما جزاؤها يا فتحة ؟ قلت : العفو والصلة ، فأمر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها : مرى الى قومك وقولى لهم لا تردوا المال على التجار فاني أعوضهم عنه * الأصمعي قال : خرجت الى بادية فاذا أنا بنجباء فيه امرأة فدنوت فسلمت فاذا هي أحسن الناس وجهاً وأعد لهم قامة وأفصحهم لساناً فخار فيها بصري واعتزنى خجلة ، فقالت : ما وقوفك ؟ فقلت

هل عندكم من مخيض اليوم تشربهُ أم هل سبيلٌ الى تقبيل عينيكَ
فلستُ أبغى سوى عينيكَ منزلةً أم هل نجودى لنا عطاءً بنجديكَ
أو تأذنين بريقٍ منك أرشفهُ أو لمنس بطنك أو تعمير ثدييك
رُدّي الجواب على من زاده كلفهُ تكريرة الطرف في أجذال ساقيك

فرفعت رأسها الى وقالت : يا شيخ ألا تستحي ارجع الى أهلك وارغب في مثلك * وقال بعضهم : رأيت أعرابية بلباح فقلت لها : أنشدني . قلت :

نعم في مثلك ورب الكعبة . قلت : فأنشدني . فأنشأت تقول

لا بَارِكَ اللهُ فِيمَنْ كَانَ يُخْبِرُنِي أنْ المُحِبَّ إِذَا مَا شَاءَ يَنْصَرِفُ
وَجَدُّ المُحِبِّ إِذَا مَا بَانَ صَاحِبُهُ وَجَدُّ النِّصْبِيِّ يَنْذِي أُمَّهُ كَافُ

قال قات لها : أنشدني من قولك . فقالت

بِنَفْسِي مِنْ هَوَاهُ عَلَى التَّنَائِي وَطَوَّلِ الدَّهْرَ مَوْتُنِي جَدِيدُ

وَمَنْ هُوَ فِي الصَّلَاةِ حَدِيثُ نَفْسِي وَعَذَلِ الرُّوحَ عِنْدِي بَلْ يَزِيدُ

فقلت لها : ان هذا كلام من قد عشق . فقالت : وهل يعرى من ذلك من له

سمع وقلب . ثم أنشدني

أَلَا بِأَبِي وَاللَّهِ مَنْ لَيْسَ نَافِعِي بِشَيْءٍ وَلَا قَلْبِي عَلَى الْوَجْدِ شَاكِرُهُ

وَمَنْ كَبِدِي تَهْفُو إِذَا ذَكَرَ اسْمُهُ بَشَىءٌ وَمَنْ قَلْبِي عَلَى النَّاسِ ذَا كُرْهُ
لَهُ خَفَقَانٌ يَرْفَعُ الْجَنْبَ الشَّجْوَى وَيَقْطَعُ أَرْزَارَ الْجُرْبَانِ نَائِرُهُ
إِلَى وَكُتِبَ عَمْرُو بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ إِلَى امْرَأَةٍ بِالْمَدِينَةِ

بَرَزَ الْبَذْرُ فِي جَوَارِ تَهَادَى مَخْطَفَاتِ الْخُصُورِ مُعْتَجِرَاتِ
فَتَنَنْتُ نَمَّ قُلْتُ لِبُكَرٍ عَجَلْتُ فِي الْحَيَاةِ لِي حَيَاتِ
هَلْ سَبِيلٌ إِلَى الَّتِي لَا أُبَالَى بَعْدَهَا أَنْ أَمُوتَ قَبْلَ وَفَاتِ

فَأَجَابَتْهُ

قَدْ أَتَانَا الرَّسُولُ بِالْأَيَّاتِ فِي كِتَابٍ قَدْ خُطَّ بِالتَّرَاهَاتِ
حَازِرُ الطَّرَفِ إِنِ انْظُرْتَ وَمَاطِرُ فُكِّ عِنْدِي بِصَادِقِ النَّظَرَاتِ
غَرَّغِيرِي فَقَدْ عَرَفْتُ لَغِيرِي عِنْدَكَ الْخَائِنَ الْقَلِيلَ الثَّبَاتِ

*(المتكلمات) *

حدث عمر بن يزيد الأسدي قال : مررت بحرقاء صاحبة ذي الرمة
فقلت لها : هل حججت قط ؟ قالت : أما علمت أنني منسك من مناسك
الحج ما منعك أن تسلم علي ؟ أما سمعت قول عمك ذي الرمة
تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خَرْقَاءٍ وَاضِعَةَ الْأَنَامِ
فقلت لها لقد أثر فيك الدهر قالت : أما سمعت قول العجيف العقيل
حيث يقول

وخرقاء لا تزدد إلا ملاحاةً ولو عمرت تغمر نوح وجلت

قال ورأيتهما وإن فيها لمباشرة وإن ديباجة وجهها الطرية كأنها فتاة وإنها

لتزيد يومئذ على المائة ولقد حدثت أنه شبب بها ذو الرمة وهي ابنة ثمانين سنة . وحدث رجل من بني أسد قال : أدركت ميا صاحبة ذي الرمة وكان الرجل أعور قال ورأيتها في نسوة من قومها فقلت : أهذه مى . وأومأت إليها . فقلن : نعم . فقلت : ما أدري ما كان يعجب ذا الرمة منك وما أراك على ما كان يصف . فتفتست الصعداء وقالت : أنه كان ينظر الى بعينين وأنت تنظر الى بعين واحدة * وروى الأصمعي عن رجل من أهل الشام قال : قدمت المدينة فقصدت منزل ابن هرمة فاذا بنية له تلعب فقلت لها ما فعل أبوك . قالت : وفد الى بعض الاخوان ، قلت : فأنحري لنا ناقة فانا أضيفك . قالت : يا عماء والذي خلقك ما عندنا شيء . قالت : فباطل ما قال أبوك . قالت : فما قال ؟ قلت : قال

كَمْ نَاقَةٍ قَدْ وَجَّأتُ مَنَحَرَهَا لِمُسْتَهْلٍ الشُّبُوبِ أَوْ جَلٍ

قالت : يا عماء فذلك القول من أبي أصارنا الى أن ليس عندنا شيء * قال وأني زياد الأقطع باب الفردزق وكان له صديقا فخرجت اليه ابنة الفردزق وكانت تسمى مكبة وأما حبشية فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : مكبة . قال : ابنة من . قالت : ابنة الفردزق . قال : فأملك . قالت : حبشية . فأمسك عنها . فقالت ما بال يدك مقطوعة . قال قطعها الحرورية ، قالت بل قطعت في اللصوصية قال عليك وعلى أبيك لعنة الله . وجاء الفردزق فأخبر بالخبر فقال أشهد أنها ابنتي وأنشأ يقول

حَامٍ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا حِمِيَةٍ بِدَارِ مِيٍّ بَنَتْهُ صَبِيَّةٌ

صَخْمَحٍ مِثْلَ أَبِي مَكِيَّةِ

ث سليمان بن عباس السعدي قال كان كثير يلقي حاج أهل المدينة على ست مراحل ففعل عاما من الأعوام غير يومهم الذي نزلوا فيه ، حتى ارتفع النهار فركب جملا في يوم صائف ووافي قديدا وقد كلَّ وتعب فوجدهم قد ارتحلوا وقد بقي فتي من قریش فقال الفتى لكثير ، قال جلس كثير الى جنبي ولم يسلم عليَّ فجاءت امرأة وسيمة جميلة ، الى خيمة من خيام قديد واستقبلت كثيرا فقالت أنت كثير قال لت أنت ابن أبي جعدة قال نعم قالت أنت الذي تقول

اِذَا مَا جِئْتُ أَجْلَلُنْ بِمَجْلِسِي وَأَضْمُرْنَ مِنِّي هَيْبَةً لَا تَجْهَرُ

م قالت فعلى هذا الوجه هيبة ان كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة ، أجمعين . قال فضجر كثير وقال ومن أنت فبكنت ولم تحبه بشيء فسأل التي في الخيام عنها فلم يجبرنه فضجر واختلط عقله فلما سكن قالت لذي تقول

مَتَى تَنْشُرَا عَنِّي الْعِمَامَةَ تُبْصِرَا جَمِيلَ الْمُحَيَّا أَغْفَلْتُهُ الدَّوَاهِنُ

الوجه جليل ان كان كاذبا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا وقال لو عرفتك لفعلت وفعلت فلما سكن قالت له أنت الذي تقول

رِقُّ الْعَيْنِ النَّاطِرَاتِ كَأَنَّهُ هِرَقْلِيُّ وَزَنِ أَحْمَرُ التَّبْرِ رَاجِحُ

لوجه الذي يروق الناظرات ان كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة ، أجمعين قال فازداد ضجرا واختلط وقال لو عرفتك والله لقطعتك ، هجاء ثم قام فأتبعته طرفي حتى تواري عني ثم نظرت الى المرأة فاذا غابت عني فقلت لمولاة من بنات قديد لك الله عليَّ ان أخبريني من

هذه المرأة أن أطولك ثوبي هذين إذا قضيت حجي ثم أعطيكهما فقالت
والله لو أعطيتني زنتهما ذهبا ما أخبرتك من هي هذا كثير مولاي لم أخبره
قال القرشي فرحت وبني أشد مما بكثير قيل وقدم كثير الكوفة وكان شيعيا
من أصحاب محمد بن الحنفية فقال دلوني علي منزل قطام . قيل له : وما تريد
منها . قال : أريد أن أوبخها في قتل علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فتقبل
له : عد عن رأيك فإن عقلها ليس كعقول النساء . قال : لا والله لا أنتهي حتي
أنظر إليها وأكلها نخرج يسأل عن منزلها حتي دفع إليها فاستأذن فأذنت له
فراى امرأة برزة قد تحدت وقد حنا الدهر من قناتها فقالت : من
الرجل . قال : كثير بن عبد الرحمن . قالت التيمي الخزاعي . قال التيمي
الخزاعي : ثم قال لها : أنت قطام قالت . نعم قال أنت صاحبة علي بن أبي طالب
صلوات الله عليه . قالت . بل صاحبة عبد الرحمن بن ملجم . قال أليس
هو قتل عاليا . قالت . بل مات بأجله . قال والله إني كنت أحب أن أراك
فلما رأيته نبت عيني عنك وما ومفك قاي ولا احلوليت في صدرى قالت .
أنت والله قصير القامة صغير الهامة ضعيف الدعامة كما قيل . لأن تسمع
بالمعبدى خير من أن تراه . فأنشأ كثير يقول

رأت رجلاً أودى السفار بمجسمه فلم يبق إلا منطق وجناحين

قالت لله درك ما عرفت لا بعزة تقصيراً بك . قال . والله لقد سار لها شعري
وطار بها ذكرى وقرب من الخلفاء مجلسي وإنما لكما قلت فيها

وإن خفيت كانت لعينيك قرّة وإن تبدّ يوماً لم يعمك عارها
من الخفّرات البيض لم ترشقوة وفي الحسب المحض الرّفع نجارها

فَارَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى يَمُجُّ النَّدى جُثْجُثُهَا وَعَرَارُهَا
بَاطِيبَ مَنْ فِيهَا إِذَا جِثَّتْ طَارِقًا وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبُ نَارُهَا

قالت والله ماسمعت شعراً أضعف من شعرك هذا والله لو فعل هذا بزنجية
طاب ريحها ألا قلت كما قال امرؤ القيس

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِثَّتْ طَارِقًا وَجِدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطِيبِ

قال : فنته درّ بلادك وخرج وهو يقول

الْحَقُّ أَبْلَجُ لَا تَزِيغُ سَايِلُهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ

قال . وقال المسيب راوية كثير : انطلق كثير مرة فقال لى : هل لك فى
عكرمة ابن عبد الرحمن بن هشام وهو يومئذ على حنظلة بن عمرو بن تميم .
فقلت نعم . قال نخرجنا نريده حتى اذا صدرنا عن المدينة اذا نحن بامرأة
على راحلة تسير فسرت حذاءها . فقالت أتروى لكثير شيئاً . قلت نعم
قالت أنشدنى . فأنشدتها من شعره . فقالت ابن هو . قلت هو ذاك الذى
ترين على غير الطريق . فقالت بعد أن دلت منه قاتل الله زوج عزة حيث يقول

لَعَمْرُكَ مَا رَبُّ الرَّبَابِ كَثِيرٌ بِفَحْلٍ وَلَا آبَاؤُهُ بِفُحُولٍ

فغضب كثير وسار وتركها ثم نزل منزلاً فجاءت جارية لها تدعوه فأبى كثير
أن يأتيها فقلت ما رأيت مثلك قط امرأة مثل هذه ترسل اليك فتأبى عليها
فلم أزل به حتى أتاناها قال فسفرت عن وجهها فاذا هى أجل الناس وأكملهم
ظرفاً وعقلاً واذا هى غاضرة أم ولد بشر بن مروان فصحبناها حتى كنا
بزباله فالت بنا الطريق فقالت له هل لك أن تأتني الكوفة فأضمن لك
على بشر الصلة والجائزة فأبى وأمرت له بخمسة آلاف درهم ولى بالفين فلما

أَخَذْنَا الْحَمْسَةَ آلَافٍ قَالَ مَا أَصْنَعُ بِعُكْرَمَةٍ وَقَدْ أَصَبْتَ مَا تَرَى فَذَلِكَ
حَيْثُ يَقُولُ

شَجَا أَظْمَانُ غَاضِرَةُ الْفَوَادِي بِغَيْرِ مَشُورَةٍ عِوَضًا فُؤَادِي
أَغَاضِرَ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ بِنْتِمْ حَنُوءَ الْعَائِدَاتِ عَلَى وَسَادِي
رَأَيْتِ لِعَاشِقٍ لَمْ تَشْكُمِيهِ جَوَانِحُهُ تَلَذَّعُ بِالزِّنَادِ

- الشكيمة العطية - والزناد جمع زناد وهو عود يقصد منه
قال الحكم بن صخر الثقفي حججت فرأيت بأقرة امرأتين لم أرك
وظرفهما وثياهما فلما حججت وصرنا بأقرة إذا أنا بأحدى الجاريت
جامعت فسألت سؤال منكر فقلت . فلانة . قالت فداك أبي وأمي رأيت
أول شابا سوقة والعام شيخاً ملكا وفي وقت دون ذلك ماتنكر المرأة
فقلت ما فعلت أختك فتنفست الصعداء وقالت قدم علينا ابن عم لنا فزود
نخرج بها الى نجد فذاك حيث أقول

إِذَا مَا قَفَلْنَا نَحْوَ نَجْدٍ وَأَهْلِهِ فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا الْقُفُولُ إِلَى نَجْدٍ

فقلت أما انى لو أدركتها تزوجتها . قالت فداك أبي وأمي فما يمنعك
شريكها في حسنها وشقيقتها في حسنها . قالت قول كثير

إِذَا وَصَلْتَنَا خَلَّةٌ كَيْ تَزِيلَنَا أَبِينَا وَقُلْنَا الْحَاجِيَّةُ أَوَّلُ

قالت وكثير بيني وبينك أليس هو الذى يقول

هَلْ وَصَلُ عَزَّةٌ إِلَّا وَصَلُ غَانِيَةٍ فَوَصَلُ غَانِيَةٍ مِنْ وَصَلِهَا خَلَّةٌ

قال فتركت جوابها ولم يمنعني منه إلا الهى

(محاسن النساء)

قيل أحسن النساء الرقيقة البشرة النقية اللون يضرب لونها بالغداة الى الحمرة وبالعشي الى الصفرة . وقالت العرب المرأة الحشنة أرق مائكون محاسن صبيحة عرسها وأيام نفاسها وفي البطن الثاني من حملها . وقيل لاعرابي أحسن صفة النساء . قال نعم اذا عذب ثناياها وسهل خدأها ونهد نديها وفعم ساعداها والتف نخذاها وعرض وركاها وجدل ساقاها فتلك هم النفس ومناها . ووصف اعرابي امرأة فقال كأن وجهها السقم لمن رآها والبرء لمن ناجاها . وذكر اعرابي امرأة فقال أرسل الحسن الى خديها صفائح نور ورشق السحر عن لحظها بأسهم حداد ولقد تأملت فوجدت للبدر نوراً من بعض نورها . وذكر اعرابي امرأة فقال هي شمس تباهى بها شمس سمائها وليس لي شفيع اليها غيرها في اقتضاها ولكني كنتوم لفيض النفس عند امتلائها . وذكر اعرابي امرأة فقال ما أحسن من حبها نعاساً ولا أنظر اليها إلا اختلاساً وكل امرئ منها يرى ما أحب . وذكر اعرابي امرأة فقال لها جلد من لؤلؤ رطب مع رائحة المسك الاذفر في كل عضو منها شمس طالعة . ومما جاء في الحسن من الشعر : قال عبد الله بن المعتز أنشدني أبو سهل اسماعيل بن على لأبي الصواعق

وَمَرِيضٌ طَرْفِي لَيْسَ يَصْرِفُ طَرْفَهُ نَحْوَ الْمَدَى إِلَّا رَمَاهُ بِحَتْفِهِ
ظَلِيٌّ لَهُ نَظَرٌ ضَعِيفٌ قَصَدَ الْقَوَى أَتَى عَلَيْهِ بَضْعُهُ
قَدْ قُلْتُ لَمَّا مَرَّ بِخَطَرُ مَائِسَا وَالرِّدْفُ يُجَذِّبُ خَصْرَهُ مِنْ خَلْفِهِ
يَأْمَنُ بِسَلَمِ خَصْرِهِ مِنْ رَدْفِهِ سَلَّمَ فَوَادَ حُبِّهِ مِنْ طَرْفِهِ

فقلت في هذا المعنى وعلى هذا الوزن

وحياة مَنْ جَرَحَ الْفُؤَادَ بِطَرْفِهِ
قَمَرٌ بِهِ قَمَرُ السَّمَاءِ مُتَبَيَّنٌ
إِنِّي عَجَبْتُ لِحَضَرِهِ مِنْ ضَعْفِهِ
هَذَا وَمَا أَذْرِي بِأَيَّةِ فِتْنَةٍ
أَمْ بِالذَّلَالِ أَمْ الْجَمَالِ أَمْ الضِّياءِ
وَأُنْشِدُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنِ فِهْمٍ لِأَبِي نَوَاسٍ

كَفَاكَ مَا مَرَّ عَلَى رَاسِي
أَكْثَرُ مَا أَلْبَغُ فِي وَصْفِهِ
أَغَارُ أَنْ أُنْعَمَ مِنْهُ الَّذِي
وَلَمْ أَرَ الْعِشَاقَ قَبْلِي رَأَوَا
كُلَّ أَحَادِيثِي نَعْتٌ لَهُ

فقلت في هذا المعنى وهذا الروي والوزن

لَوْ عَشَرُ مَا مَرَّ عَلَى رَاسِي
لَا نَصَدَعْتُ فِيهِ صُدُوعٌ كَمَا
يَاغُضُنْ آسٍ وَمَحَالٌ إِذَا
مَاذَا عَلَى طَرْفِكَ لَوْ أَنَّهُ
لَيْتَكَ عَلَّمْتَ بِمُظَلٍّ وَلَمْ

وَقَالَ آخِرُ

وزائرةٍ يَحْتَنُّهَا الشَّوْقُ طَارِقَهُ
إِذَا مَا تَنَنَّتْ قَالَ لِلرَّيْحِ قَدْ هَا
وَقَالَ آخِرُ

قَدْ أَقْبَلَ الْبَدْرُ فِي قَرَاظِهِ
يَسْطُو عَلَيْهِ بِسَيْفِ مُقْلَتِهِ

وَقَالَ آخِرُ

قُلْ لِلْمِلَاحِ الْحَدَقِ
هَلْ فِي فَوَادِي الْقَوَى
إِنْ لَمْ تُرَوْوا عَظْشِي
يَا مُقْلَةً أَجْفَانَهَا
بَقِيَتْ فِي رِقِّ الْمَوَى
وَلِلْحِسَانِ الْخَلْقِ
أَوْ جَسَدِي شَيْءٌ بَقِيَ
بُخْلًا فَبَلُّوا رَمَقِي
مَحْشُوءَةً بِالْأَرْقِ
شَقِيَّةً فَيَمُنْ شَقِي

وَقَالَ آخِرُ

يَا مِلَاحَ الدَّلَالِ وَالْإِغْتِنَاجِ
أَنْتَ زَرَفْتِ فَوْقَ خَدَّيْكَ صُدُغًا
أَشْرَقَتْ وَجَنَّاكَ بِالنُّورِ حَتَّى
فَعَلْتَ مُقْلَتَكَ بِالْقَلْبِ مَيِّ
يَا هَلَالًا أَنْتَ مِنْهُ بِضُوءٍ
مَا أَرَى الْقَلْبَ مِنْ هُوَا كُنْ نَاجِي
مِنْ عَبِيرٍ عَلَى صَفَائِحِ عَاجٍ
أَغْنَتَا الْخَلْقَ عَنْ ضِيَاءِ السَّرَاجِ
فَعَلَةً الْقَرَمَطَى بِالْحُجَّاجِ
جُنَحَ لَيْلٍ مِنَ الظَّلَامِ الدَّاجِي

وَقَالَ آخِرُ

نَشَرْتُ غَدَاثَ قَرَعِهَا لِتُظْلِنِي
حَذَرَ الْعُيُونِ مِنَ الْعُيُونِ الرُّمَقِ

فكانها وكأنه وكانني صُبْحَانِ بَاتَا تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ

وقال آخر

يَا غَزَا لَا وَهْلًا لَا
كَمْ وَكَمْ أَضْمِرُ وَجَدًا
وَقَضِيًّا وَكَيْثِيَا
بِكَ مَكْتُومًا عَجِيَا
كَيْفَ يُرْجَى بُرْءٌ مَن قَدْ
كُتِمَ الدَّاءُ الطَّيْبِيَا

وقال آخر

شَمْسٌ مُّثَلَّةٌ فِي خَلْقٍ جَارِيَةٍ
كَأَنَّهَا بَطْنُهَا طَى الطَّوَامِيرِ
فَالْجِسْمُ مِنْ جَوْهَرٍ وَالشَّعْرُ مِنْ سَبَجٍ
وَالشَّغْرُ مِنْ لَوْلُؤٍ وَالْوَجْهُ مِنْ عَاجٍ

وقال آخر

نَتِيجُ دَلَالٍ حَارٍ فِي حُسْنِهِ الطَّرْفُ
فَفِكْرُهُ قَبِيرٌ وَمَنْطِقُهُ لَطْفُ
بَدِيعُ جَمَالٍ زَانَهُ الْعَقْلُ وَالطَّرْفُ
سَاوِي لَوْنٍ لَا يَحِيطُ بِهِ وَصْفُ
لَهُ رِيْقَةٌ عُلتَ بِمَاءِ قَرَنُلٍ
يُمَارِجُهَا التَّقَاحُ وَالْخَمْرَةُ الصَّرْفُ
يَجَسَمُ فِي جِسْمِهِ مِنَ النُّورِ سَاطِعُ
تَمَكَّنَ فِي دِعْصٍ يَنْوَهُ بِهِ رِدْفُ
عَلَى صَخْنٍ خَدِيدٍ بِهِارٌ مُنَوَّرُ
وَوَرْدٌ جَنِّي لَا يَلِيقُ بِهِ الْقَطْفُ
تَكَامَلَ فِيهِ الْحُسْنُ وَالنُّورُ وَالْبَهَا
كَبَدَّرِ الدُّجَى إِذْ تَمَّ مِنْ شَهْرِهِ النِّصْفُ
بَرَاهُ إِلَهِي لِي عَذَابًا وَفِتْنَةً
فَاعِنْدَهُ عَدْلٌ وَلَا عِنْدَهُ عَطْفُ

وقال آخر

لَكَ مِنْ قَلْبِي الْمَكَانُ الْمَصُونُ
كُلُّ لَوْمٍ عَلَى فَيْكِ يَهُونُ
قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ أَكُونَ شَقِيًّا
بِكَ وَالصَّبْرُ عَنْكَ مَا لَا يَكُونُ

سَ وَفِي طَرْفِهِ الرَّدَى وَالْمُنُونُ
فَأَنَا الْيَوْمَ هَائِمٌ مَحْزُونُ
مَا أَبَالِي بِمَا رَمَتْنِي الظُّنُونُ

يَاغْزَالًا بِلَحْظِهِ يَفْتَنُ النَّا
لَكَ صَبْرٌ وَلَيْسَ لِي عَنْكَ صَبْرُ
قَدْ خَلَعْتُ الْعَذَارَ فَيْكَ حَبِيبِي

وقال آخر

مَنْ سَاحَرَ الْمُقَلَّةِ مَيَّاسٍ
وَقَلْبُهُ كَالْحَجَرِ الْقَاسِي
أَعَانِي اللَّهُ عَلَى النَّاسِ

يَانْظُرَةَ جَاءَتْ عَلَى يَاسٍ
أَطْرَافُهُ تُعَقِّدُ مِنْ لَيْبِهَا
يَلُومُنِي النَّاسُ عَلَى حُبِّهِ

وقال آخر

مَنْ حُبَّ مَنْ لَمْ أَقِفْ عَلَى خَلْقِهِ
يَهْتَزُّ مِثْلَ الْقَضِيبِ فِي وَرَقِهِ
أَحْسَنَ مَنْ نَخَرَهُ وَمَنْ عُنُقُهُ
بِمَاءٍ وَرَدٍ يَفُوحُ مِنْ عَرَقِهِ
شَيِّتَ بِمَاءِ السَّحَابِ فِي نَسَقِهِ

يَاوِيحَ جِسْمٍ يَذُوبُ مِنْ قَلْقِهِ
مَنْ حُبَّ ظَمِيٍّ مُهْمَفٍ لَبِقٍ
لَمْ تَرَ عَيْنِي وَلَنْ تَرَى أَبَدًا
كَأَنَّمَا الْمِسْكُ حِينَ تَسْحَقُهُ
أَوْ خَمْرَةٌ فِي الزُّجَاجِ صَافِيَةٌ

وقال آخر

فَطَالَ وَجَدِي وَعَيْلَ صَبْرِي
وَطِيبُ وَرْدٍ وَحُسْنُ بَدْرِي
أَذَابَ جِسْمِي وَلَيْسَ يَذَرِي
قَتِيلَ صَدِّ بِسَيْفِ هَجْرِي

أَرْبَعَةٌ قَرَّحَتْ فَوَادِي
مُقَلَّةٌ خَشَفَ وَقْدُ غُصْنِي
نَفْسِي وَمَالِي فِدَاءَ ظَمِيٍّ
فَمَنْ لَصَبَ أَسِيرِ شَوْقِي

وقال آخر

ومارِج رِيحَانٍ بِمَسْكٍ وَعَنْبَرٍ يُعَلُّ بِكَافُورٍ وَدُهْنَةٍ بَانٍ
بَاطِبِّبٍ مِنْ رِيًّا حَبِيبِي لَوْ أَنَّ نِي وَجَدْتُ حَبِيبِي خَالِيًّا بِمَكَانٍ

﴿ محاسن التزويج ﴾

روي ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أريد أن أتزوج فادع الله أن يرزقني زوجة صالحة فقال لودعالك جبريل وميكائيل وأنا معهما ما تزوجت الا المرأة التي كتب الله لك فانه ينادى في السماء ألا ان امرأة فلان ابن فلان فلانة بنت فلانة وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالأبكار فانهن أطيب أفواهاً وأنتق أرحاماً . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بالأبكار واستعينوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر قال الشاعر

لَا تَنْكَحَنَّ عَجُوزًا إِنْ دُعِيتْ لَهَا وَإِنْ حُبِيتْ عَلَى تَزْوِيجِهَا ذَهَبًا
فَإِنْ أَتَوَكَ وَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفَتْ فَإِنْ أَطِيبَ نِصْفُهَا الَّذِي ذَهَبًا
وقال آخر

عَلَيْكَ إِذَا مَا كُنْتَ لَا بُدَّ نَا كِحًا ذَوَاتِ الثَّمَايَا الْغُرِّ وَالْأَعْيُنِ النَّجْلِ
وَكُلُّهُنَّ هَضِيمُ الْكَشْحِ خَفَافَةُ الْحَشَا قُطُوفُ الْخَطَا بِلَهَاءِ وَافِرَةِ الْعَقْلِ

وقال الحارث بن كلدة : لا تنكحوا من النساء إلا الشابة ولا تأكلوا من الحيوان الا الفتي ولا من الفاكهة إلا النضيج .. وقال مغيرة بن شعبه حصنت تسعا وتسعين امرأة ما أمسكت واحدة منهن على حب ولكنى أحفظها لمنصبها وولدها فكنت أسترضيهن بالباه شابا فلما ان شبت وضعفت

عن الحركة استرضيتن بالعطية .. وقال بعضهم : لذة المرأة على قدر شهوتها
وغيرتها علي قدر لذتها .. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
انما النساء لعب فاذا تزوج أحدكم فليستحسن .. وروى عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال : تزوجها سمراء ذلفاء عيناء فان فركتها فعلي صداقتها
وقال الحجاج بن يوسف . من تزوج قصيرة فلم يجدها على ما يريد
فعلي صداقتها .. وروى عن علي صلوات الله عليه ان رجلا أتاه فقال اني
تزوجت امرأة مجنونة . فقالت المرأة يأمر المؤمنين انه يأخذني عند
الجماع غشبة فقال للرجل قم ما أنت لها بأهل ، وفي حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدّمن وهي المرأة الحسنة في المنبت السوء
وقال بعضهم لا تزوجن حنانة ولا أنانة ولا منانة ولا عُشبة الدار ولا كية
اللقفا - فأما الحنانة فالتى قد تزوجها رجل من قبل فهي تحن اليه والآنانة
التى تن من غير علة والمنانة التى لها مال تمتن به - وعشبة الدار الحسنة في
أصل السوء - وكية اللقفا التى اذا قام زوجها من المجلس قال الناس فعلت
امرأة هذا كذا وفعلت كذا .. وقال محمد بن علي رضي الله عنهما اللهم
ارزقني امرأة تسرني اذا نظرت وتطيعني اذا أمرت وتحفظني اذا غبت
وروى عن رسول صلى الله عليه وسلم انه قال اذا خطب أحدكم امرأة فلا
جناح عليه ان ينظر اليها وان كانت لا تعلم . وقال بعض الشعراء في تزويج الشبه

إذا أردتَ حرّةً تبغيها كريمةً فانظرْ إلى أخيها

يُنبيكَ عنها وإلى أبيها فإنْ أشباهَ أبيها فيها

وقال آخر

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادًا نَفْسُكَ آتِيَا لَنَجْلِكَ فَانْظُرْ مَنْ أَبُوهَا وَخَالَهَا
فَاتَّهَمُهَا مِنْهَا كَمَا هِيَ مِنْهُمَا كَالنَّعْلِ إِنْ قِيسَتْ بِنَعْلِ مِثَالِهَا

وقال آخر

إِذَا كُنْتَ عَنْ عَيْنِ الصُّبْيَةِ بَاحِثًا فَأَبْصُرْ تَرَى عَيْنَ الصَّبِيِّ فَذَاكَ

قال خالد بن صفوان لدلال : اطلب لي امرأة بكرًا أو ثيبًا كبكر حصانا
عند جارها ماجنة عند زوجها قد أدبها الغنى وذللها الفقر لاضرعة صغيرة
ولا عجوزاً كبيرة قد عاشت في نعمة وأدركتها حاجة لها عقل وافر وخلق
طاهر وجمال ظاهر صائمة الجبين سهلة العرين سوداء اللقمتين خد لجة الساقين
لفاء الفخذين نبيمة النقع كريمة المحمد رخيمة المنطق لم يداخلها صلف ولم
يشن وجهها كلف ريحها أرج ووجهها بهج لينة الأطراف ثقبلة الارداق
لونها كالحرق ونديها كالخلق أغلاها عسيب وأسفاها كتيب لها بطن مخطف
وخصر مرهف وجيد أتلع واب مشبع تثني تثني الخيزران وتبل ميل
السكران حسنة المآق في حسن البراق لا الطون أزدى بها ولا القصر .
قال الدلال : استفتح أبواب الجنان فبك سوف تراها . وقال أيضاً لا تزوج
واحدة فتحيض إذا حاضت وتنفس إذا نفست وتعود إذا عادت وتمرض إذا
مرضت ولا تزوج اثنتين فتقع فيما بين الجمرتين ولا تزوج ثلاثاً فتقع بين
أثافي ولا تزوج أربعاً فيحقرنك ويهرمنك ويفلسنك . فقال له رجل
حرمت ما أحل الله . فقال طمران وكوزان ودرغيفان وعبادة الرحمن .
وعن صالح بن حسان قال رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حواء وهي التي
علمت نساء المدينة النقع وهو النخر والحركة والغرلة والرهز وكانت لها

سقيفة تتحدث اليها رجالات قريش ولم يكن في المدينة أهل بيت الا وتأخذ صبيانهم وتمصهم نديها أو ندى احدى بناتها فكان أهل المدينة يسمونها حواء ولم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس في سقيفتها الا وأوصل اليها في السنة ثلاثين وسقا وأكثر من طعام وتمر مع الدنانير والدراهم والخدم والكساء فجاءها ذات يوم مصعب بن الزبير وعمرو بن سعيد بن العاص وابن لعبد الرحمن بن أبي بكر فقالوا لها : ياخالة قد خطبنا نساءً من قريش ولسنا نلتفع الا بنظرك اليهن فرشدنا بفضل علمك فيهن . فقالت لمصعب يا ابن أبي عبد الله ومن خطبت . قال عائشة بنت طلحة . قالت فأنت يا ابن الصديق قال أم القاسم بنت زكرياء بن طلحة . قالت فأنت يا ابن أبي أحبيحة قال زينب بنت عمرو بن عثمان . فقالت يا جارية علي بنمقلى - تعنى خفيها فأنتما بهما تخرجت ومعهما خادم لها فأنت عائشة بنت طلحة . فقالت مرحباً بك ياخالة . فقالت يا بنية انا كنا في مأدبة لقريش فلم تبق امرأة لها جمال إلا ذكرت وذكر جمالك فلم أدركيف أصفك فتجردى لأنظرك فألقت درعها ثم مشيت فأرتج كل شيء منها ثم أقبلت على مثل ذلك فقالت : فداك أبي وأمي خذى نوبيك وأنتهن جميعاً على مثل ذلك ثم رجعت الى السقيفة فقالت يا ابن أبي عبد الله ما رأيت مثل عائشة بنت طلحة قط ممتلئة الترائب زجاء العينين هدية الأشفار مخطوطة المتنين ضخمة العجيزة لفاء الفخذين مسرولة الساقين واضحة الثغر نقية الوجه فرعاء الشعر الا اننى رأيت خلتين هما أعيب ما رأيت فيها أما احداها فيواربها الخف وهى عظم القدم والأخري يواربها الخمار وهى عظم الأذن وأما أنت يا ابن أحبيحة فما رأيت مثل زينب بنت عمرو فراهة قط الا أن فى الوجه ردة ولاكنى مشيرة عليك

بأمر تستأنس اليه وهي ملاحه تعزبها وأما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم ماشبهتها إلا بحوط بانة تنثنى أو خشف يتقلب على رمل ولم أرها إلا فوق الرجل وإذا زادت على الرجل المرأة لم تحسن لا والله الامن يملأ المنكبين فتزوجوهن .. وقال اعرابي في أخت له تزوجت بغير كفوء ولو رَكِبْتَ ما حَرَّمَ اللهُ لم يكن بأقبح عند الله مما استحلّت

قال .. وكان بالمدينة رجل قد أعطى جودة الرأي ولم يكن فيها من يريد إبرام أمر إلا شاوره فأراد رجل من قریش أن يتزوج فأتاه فقال انا أريد أن أضم إلى اهلافاشر علي . قال : افعل تحصن دينك وتغن مؤنتك وإياك والجمال البارع . قال : ولم نهيتني وانما هو نهاية ما يطلب الناس . قال . لأنه مافق الجمال إلا لحقه قول أما سمعت قول الشاعر

وَلَنْ تُصَادِفَ مَرْغَى مُوْتَقًا أَبَدًا إِلَّا وَجَدْتَ بِهِ آثَرَ مَا كُولِ

قيل .. وكانت جارية من بنات الملوك تكره التزويج فاجتمع عندها نسوة فنذا كرن التزويج وقان لها ما يمنعك منه . قالت وما فيه من الخير . قلن وهل لذة العيش إلا في التزويج . قالت فتصف كل واحدة منكن ما عندها فيه من الخير حتى أسمع . فقالت احداهن زوجي عوني في الشدائد وهو عايدى دون كل عائد ان غضبت عطف وان مرضت لعطف . قالت نعم الشئ هذا . قالت الأخرى زوجي لما عنائى كاف ولما أسقمنى شاف عرقه المسك المداف وعناقه كالخلد ولا يمل طول العهد قالت هذا خير منه قالت الأخرى زوجي الشعار حين أبرد وأنسى حين افرد فتزوجت فقلنا لها : يا فلانة كيف رأيت قالت أنعم النعيم وسرورا لا يوصف ولذة ليس منها خلف

﴿ أمثال في التزويج ﴾

قيل ان أول من قال * لاهنك أنقيت ولا ماءك أبقيت * الضب بن أروى السكلاعي وذلك انه خرج من أرضه فلما سار أياما حار في تلك المفاوز التي تعسفها وتخاف عن أصحابه وبقي فرداً يعسف فيها ثلاثة أيام حتى دفع الى قوم لا يدري من هم فنزل عليهم وحدثهم وكان جميلا وان امرأة من أفاضل أولائك هويته فأرسلت اليه ان اخطبني فخطبها وكانوا لا يزوجون الا شاعراً أو رجلاً يزجر الطير أو يعرف عيون الماء فسألوه فلم يحسن شيئاً من ذلك فلم يزوجه فلما رأت المرأة ذلك زوجته نفسها على كره من قومها فابث فيهم مالبث ثم ان رجلاً من العرب أغار عليهم في خيل فاستأصلهم فتطيروا بضب وأخرجوه وامرأته وهي ضامت فانطلقا واحتمل ضب شيئاً من ماء ومشيا يوماً وليلة الى الغد حتى اشتد الحر وأصابهما عطش شديد فقالت له ادفع الى السقاء حتى أغتسل به فانا نأتمني الى الماء ونستقي فاعتسلت بما في السقاء ولم يقع منها موقعاً وأتيا العين فوجداها ناضبة وأدركهما العطش فقال ضب لاهنك أنقيت ولا ماءك أبقيت فذهبت مثلاً ثم استظلا تحت شجرة كبيرة . فأنشأ ضب يقول

تالله ما ظلمة أصاب بها	سواد قلبي قارِعُ العطبِ
ظال كئيب الفؤاد مضطرباً	وتكتسى من غداً قلب
أن يعرف الماء تحت صم صفاً	أو يخبر الناس منطق الخطبِ
أخرجني قومها بأن رَحاً	دارت بشؤم لهم على قطبِ

فلما سمعت ذلك فرحت وقالت قم فارجع الى قومي فانك شاعر فانطلقا

راجعين حتى انتهيا اليهم فاستقبلوهم بالسيف والعصا فقال لهم ضب اسمعوا
شعري ثم ان بدا لكم أن تقتلوني بعد فافعلوا فتركوه فصار فيهم عزيزاً
وقبل ان أول من قال

* في الصيف ضيغت اللبن * قتول بنت عبد وكانت تحت رجل من
قومها فطلقها وانها رغبت في أن يراجعها فأبى عليها فلما ينست خطبها رجل
يقال له عامر بن بثوب فتزوجها فلما بنى بها بدا للزوج الأول مراجعتها
وهوى بها هوى شديداً فجاء يطلبها ويرنو بنظره اليها ففطنت به فقالت
أتركني حتى اذا غلقت أبيض كالشطن
أنشأت أطلب وصننا في العيف ضيغت اللبن

فذهبت مثلاً فقال لها زوجها الأول واسمه الأشق فهل بقي شيء قالت
نعم فاصله عن جميع مالك وطلاقي فان فصلته تزوجتك فرضي بذلك ثم
راجع نفسه فقال لها ذلك فقالت أما اذا ضمنت بمالك فانطلق الى مكان اذا
أنت تكلمت سمع زوجي كلامي وكلامك ثم اقعد كأنك لا تشعر به وقل
لها الله بنت العبد إن وصاها وصاها ملول لا تدوم على بمل
تحدثني أن سوف تقتل عامراً لأن لم يكن في ماله عامر مني
فهيأت تزويج التي تقتل التي إذا ما أتت يوماً وإن كان من أجلي
فتقتلني يوماً إذا هويت فتى سواي وإلى اليوم من وصلها انجلى
فانطلق الأشق ففعل ما أمرته به فسمعه عامر فوقع في قلبه قوله وقد كان
عرف حبها له فصدق ذلك ودخل عليها فطلقها وتزوجها الأشق. وذكروا
ان بطناً من قريش اشتدت عليهم السنة وكانت فيهم جارية يقال لها زنب

ن أكل نسائهم جمالا وأتمهن تماماً وأشرفت فراها شاب يقال له عروة
وقعت في قلبه فجعل يطالعها ولا يقدر على أكثر من ذلك فاشتد وجده
فلما انقضت السنة وأرادوا الرجوع الى منازلهم دعا بعض جوارى الحى
الى يابنة الكرام هل لك في يد تتخذين بها عندي شكر أقالت ما أحوجنى
بذلك . قال تنطلقين الى خيمة فلانة كأنك تقبسين ناراً فإذا أنت جاست
ولى حيث تسمع زينب

ألا هل لنا قبل التفرق ليلةً ويومٌ فتقضى كل نفس منها
نطلقت الجارية ففعلت ذلك فلما سمعت زينب قولها وكانت تفلى رأس
رجلها وكان عنده أخ له . فقالت بحية لها

لعمري لقد طال الإقامة هاهنا لو أن لحب حاجة لقضاها
سمع أخو الزوج قول الجارية وجواب زينب . فقال

ألا يعلم الزوج المقلّى بأنها رسالة مشغوف الفؤاد رجاءها
نبه الزوج لا مرهم وعرف ما أرادت . فقال

لحي الله من لا يستقيم بوجهه ومن يمنح النفس الطروب هواها
فلقي يا زينب فأنت طالق فخرجت من عنده وبعثت الى عروة فأعلمته
قامت حتى انقضت عدتها ثم تزوجته

* (فى الناشزة) *

ذكروا ان الأخطل كانت عنده امرأة وكان بها معجباً فطلقها وتزوج
لقعة رجل من بني تغلب وكانت بالتغلب معجبة فيناهي ذات يوم جالسة

مع الأخطل اذ ذكرت زوجها الأول فتنفست الصعداء ثم ذرفت دموعها
فعرف الأخطل ما بها فذكر امرأته الاولى وأنشأ يقول

كَلَانَا عَلَى وَجْهِ يَبِيتُ كَأَنَّمَا بِجَنَبِهِ مِنْ مَسِّ الْفِرَاشِ قُرُوحُ
عَلَى زَوْجِهَا الْمَاضِي تَنُوحُ وَزَوْجُهَا عَلَى الطَّلَةِ الْأُولَى كَذَاكَ يَنُوحُ

قيل : وخصمت امرأة زوجها الى زياد فجعلت تمويه وتقع فيه . فقال
الزوج : أصلح الله الأمير ان شر المرأة كبرها ان المرأة اذا كبرت عقم
رحمها وبذا لسانها وساء خلقها والرجل اذا كبر استحكم رأيه وقل جهله
قال صدقت وحكم له بها . وذكروا ان امرأة أنت عبيد الله بن زياد وكانت
ذات شحم وجسم وجمال مستعدية على زوجها وكان أسود ذميم الخلقة :
فقال : ما به هذه المرأة تشكوك . قال : أصلح الله الأمير سلها عما تري من
جسمها وشحمها أمن طعامي أم من طعام غيري . قالت من طعامك أفتمن
على بطعام أطعمتني والكلاب تأكل . قال سلها عن كسوتها من مالي هي
أم من مال غيري . قالت من مالك أفتمن على بنوب كسوتي . قال وسلها
عما في بطنها منى هو أم من غيري . قالت منك ووددت انه في بطني من
كلب . قال الرجل أصلح الله الأمير فأتريد المرأة الا أن تطعم وتكسي
وتشكح . قال صدقت فخذ بيدها . قال خرج رجل مع قتيبة بن مسلم الى
خراسان وخلف امرأة يقال لها هند من أجل نساء زمانها فلبث هناك
سنتين فاشترى جارية اسمها جمانة وكانت له فرس يسميه الورد فوَقعت
الجارية منه موقعا فأنشأ يقول

أَلَا لَا أَبَالِي الْيَوْمَ مَا فَعَلْتَ هِنْدُ إِذَا بَقِيتْ عِنْدِي الْجَمَانَةُ وَالْوَرْدُ

شديدُ مناطِ القُصْرَيْنِ إِذَا جَرَى وبِضَاءِ مِثْلِ الرَّثْمِ زَيْنُهَا الْعَقْدُ
فَهَذَا لِأَيَّامِ الْهَيَاجِ وَهَذِهِ لِحَاجَةِ نَفْسِي حِينَ يَنْصَرِفُ الْجُنْدُ
فَبَلَغَ ذَلِكَ هَذَا فَمَكْتُبَتِ إِلَيْهِ

أَلَا أَقْرَهُ مِنْ السَّلَامِ وَقُلْ لَهُ عُنَيْنَا بِفَتَيَانِ غَطَارِفَةٍ مُرْدٍ
فَهَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُهُمْ سَبَانًا وَأَغْنَاكُمْ أَرَادِلَةَ الْجُنْدِ
إِذَا شَاءَ مِنْهُمْ نَاشِيٌ مَدَّ كَفَّهُ إِلَى كَيْدِ مَلَسَاءٍ أَوْ كَفَلِ نَهْدٍ
فَمَا قَرَأَ كِتَابَهَا أَتَى بِهِ إِلَى قَتِيْبَةٍ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ فَقَالَ لَهُ أَبْعَدُكَ اللَّهُ هَكَذَا يَفْعَلُ
بِالْحَرَّةِ وَأَذِنَ لَهُ فِي الْإِنْصِرَافِ . قَالَ وَسَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ امْرَأَةً تَشْدُو وَتَقُولُ

فَمِنْهُمْ مَنْ تَسْقَى بِعَذْبِ مُرْدٍ تَقَاحٍ فَمِنْكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ قَرَّتْ

وَمِنْهُمْ مَنْ تَسْقَى بِأَخْضَرِ آجِنٍ أَجَاجٍ فَلَوْلَا خَشْيَةُ اللَّهِ فَرَّتْ

فَأَمَرَ بِأَخْضَارِ زَوْجِهَا فَوَجَدَهُ مُتَغَيِّرَ النِّفَمِ نَخِيرُهُ جَارِيَةٌ مِنَ النِّغَمِ أَوْ خَمْسَمَائَةٍ
دَرَمٍ عَلَى سَلَاكِهَا فَاخْتَارَ الْخَمْسَمَائَةَ فَدَفَعَتْ إِلَيْهِ وَخَلَّى سَبِيلَهَا . وَحَكَى عَنِ
الْفَضْلِ بْنِ أَرْبِيعٍ أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ وَمَعَهُ الْفَرَجُ أَرْخَجِيٌّ وَكَانَ الْفَضْلُ صَبِيحًا
ظَرِيفًا وَالْفَرَجُ ذَمِيًا قَبِيحًا نَشَرَجَا إِلَى الضَّوَافِ ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى بَعْضِ طُرُقَاتِ
مَكَّةَ وَقَعْدَا يَتَغَدَّيَانِ فَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ عَلَى طَعَامِهِمَا إِذْ وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا امْرَأَةٌ
جَمِيلَةٌ بَهِيَّةٌ حَسَنَةٌ شَكَلَةٌ وَعَلَيْهَا بَرْقَعٌ فَرَفَعَتْهُ عَنْ وَجْهِهَا فَإِذَا وَجْهُهُ كَالدِّينَارِ
وَذِرَاعُ كَالْجَمَّارِ فَسَامَتْ وَقَعَدَتْ وَجَعَلَتْ تَأْكُلُ مَعَهُمَا قَالَ الْفَضْلُ فَأَعْيَبَنِي
مَا رَأَيْتُ مِنْ جَمَالِهَا وَهَيْئَتِهَا فَقُلْتُ : هَلْ لَكَ مِنْ بَعْلِ : قَالَتْ لَا قُلْتُ فَهَلْ لَكَ
فِي بَعْلِ مِنْ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَسَنِ الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ . قَالَتْ : وَأَيْنَ هُوَ .
فَأَشَارَ إِلَى فَرَجٍ فَقَالَتْ : جَوَابُكَ عِنْدَ فِرَاغِنَا فَلَمَّا أَكَلَتْ قَالَتْ لِلْفَضْلِ :

تقرأ شيئاً من كتاب الله قال : نعم قالت أفتؤمن به قال نعم : قالت فان الله يقول (ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً) فضحك الفضل ودخل على الرشيد فأخبره فأمر باحضارها فلما نظر اليها أعجب بها فتزوجها وحملها الى مدينة السلام . قال وحج اسماعيل بن طريح فوقفت عليه أعرابية جميلة قال فقال لها . هل لك أن تزوجيني نفسك . فقالت من غير توقف

بكي الحسب الزاكي بعين غزيرة من الحسب المنقوص أن يجتمعاً .
وانصرف . قال العتيبي كنت كثير الزوج فمررت بمرأه فأعجبني فأرسلت اليها أنك زوج . قالت لا فصرت اليها فوصفت لها نفسها وعرفتها موضعي : فقالت حسبك قد عرفناك : فقالت لها زوجيني نفسك فقالت : نعم ولكن هاهنا شيء تحمله . قلت وما هو . قالت : بياض في مفرق رأسي . قال فانصرف فصاحت بي ارجع فرجعت اليها فأسفرت عن رأسها فمظطرت الى وجه حسن وشعر أسود فقالت : انا كرهنا منك . فك الله . كرهت منا . وأنشدت

أرى شيب الرجال من الغواني بموضع شيبين من الرجال
وعن عطاء بن مصعب قال : جاءت امرأة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت : يا أمير المؤمنين لآنا ولا زوجي . فقال لها : ومالك من زوجك . قالت : مر باحضاره فأحضر فإذا رجل قدر الثياب قد طال شعر جسده وأنفه ورأسه فأمر عمر ان يؤخذ من شعره ويدخل اسنانه ويكسى ثوبين أبيضين ثم يؤتى به ففعل به ذلك ودعا المرأة فلما رأت الزوج قالت : الآن

فقال لها عمر : اتقي الله وأطيعي زوجك . قالت : افعل يا أمير المؤمنين فلما ولت قال عمر : تصنعوا للنساء فانهن يحببن منكم ما تحبون منهن ويقال ان المرأة تحب أربعين سنة وتقوي على كتمان ذلك وتبغض يوماً واحداً فيظهر ذلك بوجهها ولسانها والرجل يبغض أربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك وان أحب يوماً واحداً شهدت جوارحه

(نساء الخلفاء)

على بن محمد بن سليمان قل : أبى يقول كان المنصور شرط لأم موسى الحميرية أن لا يتزوج عليها ولا ينسرى وكتبت عليه بذلك كتاباً أكدته وأشهدت عليه بذلك فبقي مدة عشر سنين في سلاطانه يكتب الى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق وجهد أن يفتيه واحد منهم في التزوج وانما يع السرارى فكانت أم موسى اذا علمت مكانه بإدرته وأرسلت اليه بمال فاذا عرض عليه أبو جعفر الكتب لم يفتحه حتى ماتت بعد عشر سنين من سلاطانه ببغداد فأتته وفتها وهو بحلوان فأهديت اليه مائة بكر وكان المنصور أقطع أم موسى الضيعة المسماة بالرحبة فوقفتها قبل موتها على المولودات الاناث دون الذكور فبهى وقف عليهن الى هذا الوقت. حدثنا يحيى بن الحسن عن محمد بن هشام قضى مكة قل كانت الخيزران لرجل من ثقف فقالت لمولاها الثقياني اني رأيت رؤيا . قل وما هي . قالت رأيت كأن القمر خرج من قهلي وكان الشمس خرجت من دبري . قل لها لست من جوارى مثلى أنت تلدين خليفتين فقدم بها مكة فباعها في الرقيق فاشترت وعرضت على المنصور فقال من أين أنت قالت المولد مكة والمنشأ بجرش قال

فلك أحد قالت مالى أحد إلا الله وما ولدت أمي غيري . قال يا غلام اذهب بها الى المهدي وقل له تصلح للولد فأثني بها المهدي فوقعت منه كل موقع فلما ولدت موسى وهرون قالت ان لى أهل بيت بجرش . قال ومن لك . قالت لي أختان اسمهما أسماء وساسل ولى أم وإخوان فكتب فأثني بهم فتزوج جعفر بن المنصور ساسل فولدت منه زبيدة واسمها سكينه تزوجها الرشيد وبقيت أسماء بكرأ فقال المهدي للخيزران قد ولدت رجلين وقد بايعت لهما وما أحب أن تبقين أمة وأحب أن أعثقك وتخرجين الى مكة وتقدمين فأتزوجك . قالت : الصواب رأيت . فأعتقها وخرجت الى مكة فتزوج المهدي أختها أسماء ومهرها ألف ألف درهم فلما أحس بقدوم الخيزران استقبلها فقالت : ما خير أسماء وكم وهبت لها . قال : من أسماء قالت امرأتك . قال : ان كانت أسماء امرأتى فهى طالق . فقالت له : طلقها حين علمت بقدومي . قال أما اذ علمت فقد مهرتها ألف ألف درهم ووهبت لها ألف ألف درهم ثم تزوج الخيزران . قال : كانت نخلة جارية الحسين الخلال قبل أن يتولى المتوكل الخلافة تقعد بين يديه وتغنيه فولدت للحسين ابناً فلما ولي المتوكل الخلافة طرده ليلاً فقال له الحسين زرتنا جعلت فداك . قال اشتيت أن أسمع شئاً نخلة فأخرجها اليه مضمومة الشعر فقال يا خلال أليس قد ولدت منك ابناً . قال بلى . قال فأنا أحب أن تعتقها . قال فانها حرة . قال فاشهد انى قد تزوجتها قومي بالنخلة . فاشتد ذلك على الحسين فعوضه منها خمسة عشر ألف دينار وحوال اليه نخلة . قيل ووصف للمتوكل ابنة لسليمان بن القاسم بن عيسى بن موسى الهادي وعدة من الهاشميات فحملن اليه وعرضن عليه فاخترها من بينهن وصرف البواقي ونزلت منه

منزلة حتى ساوى بينها وبين قبيصة في المنزلة وكانت جارية لها لياقة وملاحة
ووصفت له ريطة بنت العباس بن علي فحملت اليه فتزوّجها ثم سألها ان
تطم شعرها وتتشبه بالماليك فأبت عليه فأعلمها ان لم تفعل فارقها فاختارت
الفرقة فطلقها ووصفت له عائشة بنت عمرو بن الفرّج الرخجي فوجه في
جوف الليل والسماء تهطل الى عمر أن احمل الي عائشة فسأله أن يصفح
عنها فانها القيمة بأمره فأبى فانصرف عمر وهو يقول اللهم قنى شر عبدك
جعفر ثم حملها بالليل فوطئها ثم ردها الى منزل أبيها . قال وكان الهادي
يشاور من أصحابه عبد العزيز بن موسى وعيسى بن دأب والعزّيزي وعبدالله
ابن مالك فخرج ذات يوم اليهم وهو مغضب كأنه جل هائج منتفخ الأوداج
منتقع اللون فأقبل حتى جلس في مجلسه وكان العزّيزي أجراًهم عليه فقال
يا أمير المؤمنين انا نرى بوجهك ما كدّر علينا عيشنا وبغض الدنيا الينا فان
رأى أمير المؤمنين أن يخبرنا بالسبب فان كان عندنا حيلة أعلمناه بها وان
تكن مشورة أشرنا بها وان أمكن احتمال الغم عنه وقيناه بأنفسنا وحلنا الغم
عنه . قال فأطرق طويلاً والعزّيزي قائم فقال له اجلس يا عزيّزي فاني لم أر
كصاحب الدنيا قط أكثر آفات وأعظم نائبة ولا أنقص عيشاً . قال العزّيزي
وما ذاك يا أمير المؤمنين ، قال : لبابة بنت جعفر بن أبي جعفر قد علمتم
موقعها مني وبئرتها عندي كلمتي بادلال فأغلظت فلم يكن لها عندي احتمال
ولا عندها إقصار حتى وثبت عليها وضربتها ضرباً موجعاً . قال وسكت فقال
ابن دأب : يا أمير المؤمنين انك والله لم تأت منكراً ولا بديعاً قد كان
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدّبون نساءهم ويضربونهن هذا
الزبير بن العوّام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ابن عمته وثب

على امرأته أسماء بنت أبي بكر وهي أفضل نساء أهل زمانها فضر بها في شيء عتب عليها فيه ضرباً مبرحاً حتى كسر يدها وكان ذلك سبب فراقها وذلك انها استغاثت بولدها عبد الله فجاء يخلصها من أبيه فقال هي طالق ان حلت بيني وبينها ففعل وبانت منه وهذا كعب بن مالك الأنصاري عتب على امرأته وكانت من المهاجرات فضر بها حتى حال بنوها بينه وبينها فقال

فلو بنوها حولها لخبطتها كخبطة فرّوج ولم اتلّعهم

قال : فسري عن موسى الغضب وطابت نفسه ودعا بالطعام فأكلنا وأمر له بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً فتلهفت وتعجبت من انقطاعي عن الحديشين وهما في بالي وأنا أعلم بهما منه

﴿ المطلقات ﴾

قيل . كانت أم الحجاج بن يوسف الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود وكانت عند المنيرة بن شعبة فرآها يوماً تتخال بكرة فقال أنت طالق والله لئن كان هذا من غداء يومك لقد شرهت وان كان من عشاء أمسك لقد اتنت فقالت لا يبعد الله غيرك والله ما هو الا من السواك خلف عليها بعده يوسف أبو الحجاج فأولدها الحجاج . وفيها أشعار منها

أهجتكَ الظَّمانَ يومَ بانوا	بذي الزَّيِّ الجميلِ من الأثاتِ
ظَمانُ أُسَلِّكَ نَقَبَ المُنْقَى	نُحْتُ إِذَا وَنَتْ أَيْ أَحْتَاثِ
كَأَنَّ عَلَى الحَدَائِجِ يَوْمَ بانوا	نِعاَجًا تَرْتَمِي بِقَلِّ البِراثِ
تَوُمِّلُ أَنْ تُلَاقِيَ أَهْلَ بَضْرَى	فِيالكَ مِنْ لِقَاءِ مُسْتَرَاثِ

مَهَيَّجْنَا الْحَمَامُ إِذَا تَدَاعَى كَمَا سَجَعَ النَّوَائِحُ بِالْمَرَاثِي

وفي زينب أخت الحجاج يقول النميري

وَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ خَرَجْنَ مِنَ التَّنْعِيمِ مُعْتَمِرَاتِ
وَلَمَّارَاتِ زَكَبَ النُّمَيْرِيُّ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ
تَضَوَّعَ مِسْكَاطُ بَطْنِ نَعْمَانٍ إِذْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ عَطَرَاتِ
مَرَزْنَ بِفَخٍّ نَمِ رُحْنُ عَشِيَّةٍ يُبْلِسِينَ لِلرَّحْنِ مُؤْتَجِرَاتِ
دَعَتْ نِسْوَةً شَمَّ الْعَرَانِينَ بُدْنًا نَوَاعِمَ لَا شُعْمًا وَلَا غَبِرَاتِ
فَأَذْنِينَ لَمَّا قُمْنَ يَحْجُبْنَ دُونَهَا حَجَابًا مِنَ الْقَسَى وَالْحَبِرَاتِ
أَجَلَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَرْشُهُ أَوَانِسَ بِالْبَطْحَاءِ مُعْتَجِرَاتِ
يُخْبِنُ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى وَيَخْرُجْنَ بِالْأَسْحَارِ مُعْتَمِرَاتِ

عوانة عن محمد بن زياد عن شيخ من كندة قال : خرج الحارث بن سليل الأسد زائراً لعلقة بن حفصة الطائي فلما قدم عليه بصر بابنة له يقال لها الزباء وكانت من أجمل نساء أهل عصرها فاعجب بها فقال لأبيها أتيته زائراً وقد ينكح الخاطب ويكرم الطالب ويفلح الراغب . فقال : أنت امرؤ كريم يقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو فأقم نظري في أمرك ثم انكفأ الى أهله فقال ان الحارث بن سليل سيد قومه منصباً وحسباً وبيتاً فلا ينصرفن من عندنا الا بحاجته فأريدي ابنتك عن نفسها فخلت بالزباء فقالت يابنية أي الرجال أحب اليك الكهل الجحجاح الفاضل المناخ أم الفتى الواضح . قالت : الزمور الطماح . قالت : يابنية ان الشيخ يميرك ولا يفيرك وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحديث السن الكثير الظن

قالت : يا أماء أخشى الشيخ ان يدنس ثيابي ويشمت بي أترابي ويبلّ شباي
قال فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث بن سليل على
خمسین ومائة من الابل وألف درهم وابنى بها ثم رحل بها الى قومه فينا
هو جالس ذات يوم وهي الى جانبه اذ أقبل فتية من بنى أسد نشاوى
يتبخثرون فلما نظرت اليهم تنفست الصعداء وبكت فقال : ماشأئك . قالت
مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ . قال : ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا
تأكل بشديها فذهبت مثلاً أما وأبيك لرب غارة شهدتها وخيل وزعتها
وسبية أردقتها وخررة شربتها إلخقي بأهلك فأنت طالق . وقال

تهزأت أن رأتني لا بساً كبيراً وغاية الناس بين الموت والكبر
فإن يكن قد علا رأسى وغيره صرف الزمان وتغيرته من الشعر
فقد أروح للذات التي جذلاً وقد أصيد بها عيناً من البقر
عني البك فإني لا توافقي غور الكلام ولا شرب على الكدر

قال . وقال الحجاج لابن القزينة : ما تقول في التزويج . قال وجدت أسعد
الناس في الدنيا وأقرهم عيناً وأطيبهم عيشاً وأبقاهم سروراً وأرخاهم بالاً
وأشبههم شباباً من رزقه الله زوجة مسلمة أمينة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة
مطبعة ان إئتمها زوجها وجدها أمينة وان قتر عليها وجدها قانعة وان غاب
عنها كانت له حافظة تجدد زوجها أبداً ناعماً وجارها سالماً مملوكها آمناً وصبيها
طاهراً قد ستر حلمها جهلها وزين دينها عقلها فتلك كاريحانة وانخله لمن
يحتنيتها وكاللولؤة التي لم تنقب والمسكة التي لم تفتق قوامة صوامة ضاحكة
بسامة ان أيسرت شكرت وان أعسرت صبرت فأفلح وأنجح من رزقه الله

مثل هذه وانما مثل المرأة السوء كالحمل الثقيل على الشيخ الضعيف يجره في الأرض جراً فبعلمها مشغول وجارها متبول وصبيها مرذول وقطعها مهزول قال : يا ابن القرية قم الآن فاخطب لي هنداً بنت أسماء ولا تزيدني على ثلاث كلمات فأتاهم فقال : جئت من عند من تعلمون والأمر يعطيكم ما تسألون أفتسكحون أم تدعون . قالوا : انكحنا وغنمنا فرجع الى الحجاج فقال : أصلح الله الأمير صلاح من رضى عمله ومدّ في الخيرات أجله وبلغ به أمله جمع الله شملك وأدام طولك وأقر عينك ووقاك حينك وأعلى كعبك وذل معبك وحسن حالك على الرقاء والبنين والبنات والتيسير والبركة وأسعد السعود وأيمن الجدود وجعلها الله ودوداً ولوداً وجمع بينكما على الخير والبركة فتزوجها الحجاج ثم انه دخل ذات يوم عليها وهي تقول

وما هند إلا مهرة عربية سلية أفراس تجلّلها بغل

فإن نبتت مهراً كريماً فالحري وأنيك إقراف فما أنجب الفحل

فخرج من عندها مغضباً ودعا ابن القرية فدفع اليه مائة ألف درهم . وقال ادخل على هند واطلقها عني ولا تزد على كلمتين وادفع اليها المال . فحمل ابن القرية المال ودخل عليها فقال : ان الأمير يقول كنت فبنت وهذه المائة ألف صداقك . فقالت : يا ابن الترية ما سررت به إذ كان ولا جزعت عليه اذ بان وهذا المال بشارة لك لما جئتنا به . فكان القول أشد على الحجاج من فراقها . وذكروا أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه كانت عنده عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فأحبها حباً شديداً فأمره أبوه بفراقها وان يطلقها تطليقة واحدة ففعل ثم ندم على فعله . فقال

فَلَمْ أَرَ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جُرْمٍ تُطَلَّقُ
لَهَا خُلُقٌ سَهْلٌ وَحُسْنٌ وَمَنْصَبٌ وَخُلُقٌ سَوِيٌّ مَا يُعَابُ وَمَنْطِقٌ
أَعَاتِكَ قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَيْكَ بِمَا تُخْفِي الْقُلُوبُ مُعَلَّقُ
أَعَاتِكَ مَا أَنْسَلَكَ مَا ذَرَّ شَارِقُ وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقُ

فسمع أبو بكر ذلك فرق له وأمره بمراجعتها . وعن علي بن دعبل قال
حدثني أبي قال خرجت ومعي اعرابي ونبطي الى موضع يقال له بطيانا من
أمصار دجلة متزهين فأكلنا وشربنا فقال الاعرابي : قل بيت شعر فقلت
نِنَالِ الذِّيدِ الْعِيشِ فِي بَطْيَانَا

لَمَّا حَكَمْنَا أَقْدَحًا ثَلَاثَا

فقال الاعرابي

وَامْرَأَتِي طَالِقٌ ثَلَاثَا

فقال النبطي

وما زال يبكي حتى الصباح فقلت له : ما يبكيك . فقال ذهبت امرأتي بقافية
قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي كنت أنا والحسين بن الضحاك يوما عند
المعتصم وحضرت قينة تعرض عليه فأعجب بها فقال للمدنيين كيف ترونها
فقال أحدهم امرأته طالق ان كان رأى مثلها . وقال آخر امرأته طالق ان
لم وسكت فقال المعتصم ان لم . قال لاشي فضحك وقال له ويحك مادعاك الى
طلاق أهلك بلا سبب . فقال يا أمير المؤمنين كلنا قد طلق امرأته بلا سبب
ومما قيل في ذلك من الشعر

رَحَلَتْ أُمِّيَّةٌ بِالطَّلَاقِ وَنَجَوْتُ مِنْ رِفَى الْوِثَاقِ

بَانَتْ فَلَمْ يَجْزَعْ لَهَا قَلْبِي وَلَمْ تَذْمَعْ مَا قَى

لَوْ لَمْ أَرْحُ بِفِرَاقِهَا لَأَرْحْتُ نَفْسِي بِالْإِبَاقِ

وخصيتُ نفسي لا أريدُ حليّةً حتّى التّلاقِ

وقال آخر

رأيتَ أئمّتها فطمعتَ فيها وقد نصبتَ لغيرك بالأثاثِ
فطلّقتها وعدّ النفسَ عنها سرّياً إنّ نفسك في التّواثِ
وإلاّ فالسلامُ عليكَ إني سأخذُ من غديك في المرائي

(محاسن وفاء النساء)

قال الكسرويّ كتب بلاش بن فيروز الى ملك الهند يخطب ابنته فلم ينعم له وردّ رسوله خائباً فتجشم وسار اليه في خيله ورجله فلما اصطفت الخيلان دعاه بلاش الى المبارزة وقال انه عار على الملوك أن يوردوا جنودهم الهلاك ويفوزوا بأنفسهم فبرز اليه ملك الهند فاختلفت بينهما ضربتان فمنعت بلاشا حصانة درعه وضرب بلاش الهندي على عاتقه فقطع حبله حتى انتهى السيف الى سندووته فخرّ ميتاً وانهزمت خيله فاقتتح بلاش مدينته وأمر ثقاته فأحدقوا بقصر ابنة الملك فلما احتوى على أمواله بعث الى ابنة الملك أن تأتيه فقالت للرسول وهي تبكي : قل للملك المزين بالحلم المحبب في رعيته السعيد بالظفر انك قد ملكتنى وصرت ممن يستحق عطفك ورأفتك فان رأيت أن تطيب نفساً عن النظر الي حتى ترجع الى دار مملكتك فافعل. فانصرف الرسول الى بلاش فأخبره فأجابها الى ما سألت وسار وحملها حتى قدم دار المملكة فيها لها مقصورة مفردة عن سائر حرمة فأنزلها فيها وأمر لها بعتيق الديباج وفاخر الجوهر واسقاط من الذهب والصلاة والجوائز

والاثاث مالم يأمر لغيرها من نساءه واستأذنها في الدخول عليها فأذنت له
فدخل عليها وأقام عندها سبعة أيام ولياليها عجباً منه بها لا يحير اليها جواباً
ولا يخف عن صدر مجلسها فخرج من عندها اليوم الثامن وقد وقع في قلبه
ما اظهرت من خفة مجلسه عليها ولبتت أشهراً لا يدخل عليها فقالت يوماً
لحاضنتها ما أعجب أمر الملك بذل دمه في طلي حتى اذا ظفري سلا عنى انطلقى
حتى تسألى عن عدة نساءه وأيهن أكرم عليه وأتبنى بعلم ذلك . فانطلقت
حتى عرفت ذلك وانصرفت فقالت : انى وجدت له أربعائة امرأة ما بين أمة
وحررة وليس فيهن أكرم عليه من ابنة سائس من سوائه أعجبهت فزوج
بها . فقالت : انطلقى اليها واقربها منى السلام واعلمها انى أريد مؤاخذتها
والانقطاع اليها فانطلقت الحاضنة الى ابنة السائس فأبلغتها رسالة مولاتها
فقالته . أقربها منى السلام واعلمها انى قد أحببتها وأجبتها الى
ما سألت فتصير الى فانصرفت فأخبرتها بما قالت فقهيأت بأحسن هيئة
وأقبلت اليها ودخات عليها فرفعت مجاسها وأقبلت عليها فدكرت حبها لها
ورغبتها في مواصاتها فردت عليها ابنة السائس أحسن الرد وأعلمها سرورها
بذلك ثم تحدتاً ساعة وانصرفت وجعلت الهندية تأتيها غبا وتظهر الانس
بها فلما أنست بها قالت لها : انك قد استلبت قلب الملك وقهرت جميعنا
بفضلك وليس لواحدة منا نصيب فاعلمينا الأمر الذى فضلتنا به لتزداد
سروراً بما أوتيت ومحبة لك والانقطاع اليك قالت انى لما عرفت
ضعف نسبي وقلة جمالى علمت انه لا يرجع الملك منى الى شيء أحظى به
عنده مثل المؤاتاة فى الخلوة وان أبسطه اذا هم بالحركة واستميل قلبه باللطف
وفضل الخدمة فلما رآنى على ذلك مستمرة ورأى من سائر نساءه أنفة

الأ كفاء وزهو الجمال وخيلاء الملك وعلمت انى ان أخذت ما أخذته مع
 خمول نسبي وقلة جمالي ودقة خطرى لا يلىق بي مثل الذى يلىق بهن ففضلنى
 على جميع نساءه بذلك . فلما سمعت ابنة الملك ذلك علمت ان قلوب الرجال
 لا تستمال الا بالمؤاناة وسرعة الاجابة في الباء عند المشغلة فعزمت أن تجعل
 ذلك عدة لاستعطاف قلب الملك فانصرفت الى قصرها وقالت لبعض جوارىها
 اذهبي الى فلانة - تعنى ابنة السائس - فان رأيت الملك عندها فاعلميها انى
 عليلة من وجع عرض لى فانطلقت الجارية فاذا الملك عندها فأخبرتها بذلك
 فرق الملك لها وذكر غربتها وقتله أبها فقال لابنة السائس . ماترين فى
 اتيانها فقالت أيها الملك انه ليس فى نساءك من لها عندي مثل منزلتها فصر
 اليها فاتها غريبة قد فارقت أهلها وهي فى موضع رحمة . فقام الملك حتى
 دخل عليها وانتهى الى باب مجلسها فقامت اليه تمشى بأحسن هيئتها منكسرة
 فى حياها وزياتها عبقة بطيها وعطرها فقبلت بين عينيه وأخذت بيده حتى
 أجالسته فى صدر فراشها وجعلت تقبل يديه ورجليه ضاحكة اليه مظهرة
 السرور به . فغذبها الى نفسه ودعاها الى المضاجعة فأبته ولم يرد فى الخلوة
 شيئاً إلا أجابته اليه فلما قضى حاجته نازعها الى المحادثة . فقال أين ماذكر
 رسولك من شدة وجعك . قالت ياسيدي كنت متوجة لفراقك حتى شفاني
 لقائك وقات ذلك لما نالنى من تباريح الشوق اليك وطول صدودك وسلوتك ثم
 أخذ معها فى المداعبة وأقام عندها سبعة أيام فينماها يتلاعبان ويتذاكران
 ويتعانقان اذ دخلت جارية لابنة السائس فحيت الملك بتحية الملوك ثم قالت
 للهندية ان سيدتى - تعنى ابنة السائس - تقول قد اجتمع فيك ثلاث خصال
 الأولى الغدر بمعلمتك والثانية فضل تطاولك والثالثة كفران النعمة للنعم

وانى عن قريب رادتك من الملك الى غصص الغيط . فأختمها وهملت عيناها
ونظرت الى الملك كالمستغيثة به . فقال لها الملك يا حبيبتى ما تنكرين من
أمتك قد وهبتها لك وجميع ما تملك . فتجلّى عنها غمها فقالت لرسولتها انطلقى
اليها فاعلمها ان الملك قد وهبها وما تملك لي وقولى لها أرجعك فحش نفسك
الى لؤم حسبك واعمال أدبك اثبني الساعة بصغار المذلة ورقة العبودية
فلما أبلغتها الرسول ذلك أقبلت فدخلت عليها فحبت الملك وقامت بين يديه
فقال لها الهندية ما كان أعظم زهوك فى رسالتك . قالت : ياسيدتى أنا ذنبن
لى فى الكلام . قالت : تكلمى . قالت : أيتها السيدة لست متوجهة اليك
بشيء هو أملك بك من حلمك ولا أعطف على من فضلك ولم يظلم من
رفع فوقى من هو أفضل منى وكل فرع يرجع الى أصله وكل زهر ينسب الى
سنخه . فقالت : صدقت فدعى عنك كلام الأدب فقد ملكتك على رغم
أنفك وأنا مزوجتك من فلان خادمي فليس لك فضل عليه . قالت ابنة
السائس من اعتاد معالى الأمور لم تطب نفسه بأسافلها ومن صاحب العظماء
أبت غريزته الأذى وانما ترقبت عطفك ورجوت حسن نظرك فأما اذ
عزمت على هذا فقد طاب الموت وما الذى أستبقي منك ثم قالت أيها الملك
ان جذل المسرة منك لا يستقر ويقع موقعه الا بعد فى الحالفه عندك
فاحترس من هذه الهندية فانها لا تؤمن عليك لأنها ليست من جنسك
فيعطفها عليك الرحم ولا من أهل مملكتك فتعرف تطولك عليها وانما
هى شبيهة بموتورة قد قتلت أباهما وهدمت عزها فاحترس منها ولا يلهينك
موقعها من قلبك فانها متى احتالت فى قتلك لم يكن فى أيدينا من الظفر الا
قتلها كما كان من أمر النعاب وعظيم الطير . فقال الملك وما كان من حديثهما

قالت يقال أن ثعلبا جاع في ليلة فرقي شجرة ليا كل منها فسال الوادي الذي فيه تلك الشجرة بسيل شديد فاقتلعاها والثعلب عليها ثم رفعها ووضعها حتى ألقي الثعلب الى أرض بعيدة من أرضه فأصبح وقد ألقاه السيل الى سفح جبل كثير الاشجار مثمر الأغصان وعلى تلك الأشجار جنس من الطير لا يحصى عددا فأقعي الى شجرة قصيا مقشعرا لا يعرف أرضه ولا يقدر على مؤالفة الدواب فرّ به عظيم الطير فقال له ما أنت فقال أنا دابة سال بي السيل فألقاني في جبلكم وقد أصبحت غريبا فقال له عظيم الطير فهل لك حرفة قال نعم أعرف الثمار اذا بلغت حد بلوغها وأصنع للطير أكنافا في الارض تكن فيها فراخها من الحر والبرد فقال له عظيم الطير قد أدركت عندنا بغيثك فأقم عندنا نواسك ونعرف حق مجاورتك فأقام الثعلب عند ملك الطير فكان يعرفهم الثمار المدركة ويحفر لهم بمخاليبه قبورا في الارض يفرخن فيها وكان الثعلب اذا جنّ عليه الليل وقرم الى اللحم أدخل يده في جحر من تلك الأجرحة فأخرج طيرا أو فراخه فأكله ودفن ريشه وجعلت الطير تتفقد ما كان يأكل واحداً بعد واحد فقال بعضها لبعض ما فقدنا أفضالنا الا منذ صارت هذه الدابة بين أظهرنا وما كانت هذه الطير تطيل الغيبة وما ندري ما دهاها فقال لها عظيمها ان هذا حسد منك لهذه الدابة فلا تغفلان ما أصبحتن فيه من فضل المطعم وما فيه فراخكن من هذه الاكنان التي لا يخاف عليهما برد فيها ولا حر فقالت الطير أنت سيدنا وأبصر بالأمور منا قال وعلي أن أقطع هذا القول وأبين حق ذلك من باطله بنفسي فلما أظلم الليل نزل من الشجرة فدخل بعض تلك الأكنان وأقبل الثعلب على العادة التي اعتادها الى ذلك الكن

فأدخل يده فقبض على رأس الملك فقال الملك للثعلب لقد نصحتني الطير
لو قبلت نصحتها قال الثعلب أنت هو قل نعم قال ما ظننت أن يبلغ من حقدك
كل هذا قال ملك الطير دعني أردك في منزلتك بحسب ما رأيت من فضل
علمك ولطف حيلتك قال له الثعلب ان أبوى أدباني أن لا أعلق أنيابي
بشيء وأتركه اذ ليس من جهلك أن لاتجزأ من الثمار ومن الاكثان بما
كان آبؤك يكتفون به ولم ترض حتى اختبرت أمرى بنفسك ولم تجعل
التغريب في ذلك بغيرك ثم أكله ودفن ريشه وفقدت الطير عظيمها
فاستوحشت وضربت الثعلب ضرباً بمخاليها ومناكيرها حتى قتله ولم يصلح
في عظيم خطر ملكهن الى أكثر من قتل الثعلب قاحترس من هذه
لهندية . قالت الهندية انما تقر عين المرأة بأربعة رجل أيها وأخيها وولدها
ابعلها وأفضل النساء اختارة بعلها على جميع أهلها والمؤثرة له على نفسها
فكيف بمن ذهب أبوها وأخوها فبقى بعلها أفتحب أن تهلك على ان
ملك في رداءة همتك وخبت نيتك مثل الغراب والحمامة . قال الملك :
وما كان من حديتهما . قالت زعموا ان غراباً ألف مطبخاً لبعض الملوك
فأخذ من أطيب اللحمان التي قد صارت فيه شيئاً فظنوا ان الغراب أخذه
لقلة رفاقه ولؤم جوهره فطردوه عن مطبخهم وقالوا ما رجوا من هذا
الغراب وهو من الطيور التي تعاف ويتطير منها فأفشي ذلك الغراب أمره
الى حمامة قد كان بينهما معرفة وفزع الى رأيها وأخبرها ما كان فيه من
نعيم المأكل والمشرب فقالت له الحمامة انطلق بي حتى ترى هذا المطبخ
فانطلق حتى أتى سطح المطبخ فقالت الحمامة اني أرى هذا البيت ليس فيه
موضع مدخل فاحفر لي بمنقارك قدر ما أدخل فان منقاري يضعف عن

ذلك فحفر الغراب في سقف البيت بمنقاره حتى دخلت فيه الحمامة وتوسطت في البيت فأعجبهم حسن خلقها وصفاء لونها فجعل لها خازن المطبخ موضعاً تأوي اليه فلبثت في ذلك البيت قريرة عين فناداها الغراب ماهكذا قدّرت فيك فقالت الحمامة لو وفيت لك حل بي غدرك وإن القوم عرفوا وفائي وحسن جوارري وعرفوا غدرك وقلة وفائك ونكث عهذك فهذا مثلي ومثلك يا ابنة السائس اني لو وفيت لك أرداني غدرك وقتلني مكرك . قالت ابنة السائس أيتها السيدة ان الذي سمعت مني كان لشدة الأنفة فأردت أن أنفي عن نفسي الذي أردت من اسكاحي خادمك فلاناً . قالت الهندية لا بد من ذلك . فقالت ابنة السائس من اعتاد معالي الأمور لم تطب نفسه بأسافلها الآن استعذبت الموت فعمدت الى سم كان معها فقذفته في فيها فخرت ميتة ووفت الهندية لزوجها فأفلحا . ومنهن شيرين امرأة ابرويز فان شيرويه بن ابرويز لما قتل أباه وتوطد له الملك بعث الى شيرين يدعوها الى نفسه فامتنعت عليه وأبت أن تجيبه الى ذلك فغضبها ضياعها وعقارها وذخائرها وأموالها وقذفها بكل قاحشة ورماها بكل معضلة فلما بلغها ذلك هان عايتها ما أخذته من أموالها مع مارماها به فبعثت اليه وقالت أيها الرجل ان لم يكن مما سألت بد فاقض لي ثلاث حوائج حتى أنابعك على ما تريد فقال وما هذه الحوائج قالت احداها أن ترد عليّ ضياعي وأموالي والثانية أن تصعد منبرك بمحضر مراربتك وأساورتك وعظماء أهل مملكتك وتبرأ مما قذفتني به والثالثة أن أبالك أودعني ودبعة فتأمر أن يفتح لي باب الناووس حتى أردتها عليه فأجابها الى ذلك وأمر بفتح باب الناووس لها ومعها خاتم وفيه سم ساعة فنثرته في فيها وعانقت قبر زوجها فانت

(ضده)

قبل كان لكسري ابرويز خال يقال له بسطام نخالف على كسرى
 وجمع جمعا كثيرا وواقع ابرويز فلما أعيت ابرويز الحيلة فيه دعا بكردي
 أخى بهرام جور ويقال ان كرديا كان غلاما له رباه وبلغ منه مبلغ الرجال
 وكان من خاصته والناصحين له فقال له قد تري مانزل بنا من هذا العدو
 بسطام وقد رأيت رأيا ان طابقتني عليه رجوت الظفر. قال كردي وما ذاك
 أيها الملك أخبرني فماشى يزيدك الله به عزا ويزيد أعداءك به ذلا إلا بادرت
 اليه بنصح وصدق لعظيم حقك ووجوب طاعتك قال له كسرى قد عرفت
 حال كردية أختك امرأة بسطام وجراءة قلبها وبسطام يأوى اليها كل ليلة
 اذا انصرف عن الحرب وأنا جعل لها عهد الله وميثاقه وذمة أنبيائه ان هي
 أراحتني من بسطام واحتالت لي في قتله ان أتزوجها وأجعلها سيدة نسائي
 وأبلغ في اكرامها والسمو بها أفضل ما بلغ ملك بامرأته . قال كردى
 يا أيها الملك ما أشك في قدرتها عليه فاكتب اليها بخطك بما رأيت لأوجهه
 فى الكتاب اليها مع امرأتى أرجيه فن لها عفلا ورفقا وبصيرة فكتب
 كسرى بخطه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا كتاب لكردية بنت
 بهرام جسناسب كتبه لها كسرى ابرويز بن هرمز ان لك عندى عهد الله
 وذمته وذمة أنبيائه ورسله ان أنت قتلت بسطام واراحتني منه ان أتزوج
 بك وأجعلك سيدة نسائي وأبلغ من كرامتك ما لا يبلغ ملك من الملوك لاحد
 وأشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيدا وكتب كسرى بخطه وختمه بخاتمه
 يوم كذا من شهر كذا فسارت أرجية حتى دخلت عسكر بسطام كهبيثة

الزائرة لكردية بالنظر اليها وكان بينهما قرابة فلما جلست وسكنت دفعت اليها كتاب كسرى وقالت لها يا ابنة عم أجبني الملك الى ما سألك واغنمى بذلك الرجوع الى وطنك فرغبت لشدة شوقها الى أهلها فأجابتها الى ذلك وانصرفت ارجية الى عسكر كسرى وعرفت زوجها ما كان بينها وبين كردية فمضى كردي الى كسرى فأعلمه ثم ان بسطام دخل علي كردية فأنته بعشاء فتناول منه ثم أنته بشراب فسقته وجعلت تحدته وتظهر له المحبة حتى مضى ثلث الليل فنام بسطام فلما استنقل نوما قامت اليه كردية بسيفها فوضعتة على ثندوته ثم اتكأت فأخرجته من ظهره فمات وعمدت من ساعتها الى دوابها فحملت حشمها وأثقالها على البغال وخرجت نحو عسكر كسرى وقد كانت وجهت مع ارجية الي أخيها ان يجلس لها على الطريق فلما وافته سار معها حتى أدخلها على كسرى ففرح بذلك فرحا شديدا فلما أصبح أصحاب بسطام ورأوه قتيلا ولوا هارين على وجوههم فانصرف كسرى الى المدائن فاتخذ لكردية تاجا مكالا بالدر وصنوف الجواهر وأعد لها ولية عظيمة دعا فيها جنوده فطعموا وشربوا ثم دعا كرديا أخاها فزوجه اياها ومهرها وأعطاه خاتما فحسه من الكبريت الأحمر يضيء في الليلة الظلماء كما يضيء السراج فلما دخل بها كسرى ونظر الى جمالها وعقلها سر بها وأعطاه الاموال وأقطعها الضياع وأكرم أخاها كرديا وولاه أرض فارس وبلغ بها من رفعة اياها وتشريفه لها ما لم تبلغه امرأة قبليها ولا بعدها ثم ان كردية قالت لكسرى ياسيدي أخرج بنا الى الميدان لألعب بين يديك بالكرة والصولجان فخرج معها الى الميدان وخرجت امرأته شيرين وخواص نسائه ودعا بخيل فأسرجت وركبت وركب هو وجعلت تلاعبه بالصوالج وتناولت

السيف وركضت في الميدان ولعبت بالسيف لعبا معجبا ثم أخذت الرمح
فلعبت به ففالت شيرين أيها الملك ما يؤمنك من هذه الشيطانة قال هيها أنها
أعرف بحقنا وأشد حبا لنا من أن نخافها على أنفسنا فلما نزلت قال كسري
لنا في كل ربع من أرباع مملكتنا قائد في اثني عشر ألف رجل وفي قصري اثنا
عشر ألف امرأة وقد جعلتك قائدة عليهن قالت ياسيدي ما للنساء والقروسية
وانما علينا أن نزين لك وننظيب ونسرك بأنفسنا وارتدت بما كان منى سرورك
وتساية همومك فأمر كسري بحمل طعامه وشرابه الى منزلها وبقي عندها
أسبوعا لم يخرج الى الناس ولم يأذن لأحد بالدخول عليه ثم خرج من عندها
الى منزل شيرين فأتاه صياد بسمكة عظيمة فأعجب بها وأمر له بأربعة آلاف
درهم ففالت له شيرين : أمرت اصياد بأربعة آلاف درهم فن أمرت بها
لرجل من الوجوه . قال : انما أمرني بمثل ما أمرت لاصياد . فقال : كيف
اصنع وقد أمرت له . قالت اذا أتاك فقل له أخبرني عن السمكة أذكر
هي أم أنثى فن قال أنثى فقل لا تقع عيني عليك حتي تأتيني بالذكر وان
قال ذكر فقل مثل ذلك فلما غدا الصياد عن الملك قال له أخبرني عن السمكة
أذكر هي أم أنثى . قال : بل أنثى . قال فأتني بذكرها . فقال عمر الله
الملك انها كانت بكارا ثم تزوج بعد . قال الملك : زه زه وأمر له بأربعة
آلاف درهم وأمر ان يكتب في ديوان الحكمة ان الغدرو مطاوعة النساء
يوردن الغرم * قال وكان الموبدان اذا دخل على كسري قال : عشت ايها
الملك بسعادة الجدد ورزقت على أعدائك الظفر وأعطيت الخير وجنبت
طاعة النساء . فغاظ ذلك شيرين وكانت أجمل نساء عصرها وأتمهن عقلا
ففالت لكسري : أيها الملك ان هذا الموبدان قد طعن في السن ولست

مستغنيا عن رأيه ومشورته وقد رايت لحاجتك اليه أن أهب له مسكدة جاريقي وقد عرفت عقابها وجمالها فان رأيت أن تسأله قبولها فافعل . فكلم كسري الموبدان في ذلك . فمَشَّ للجارية لمعرفته بجملها وفضلها فقال : قد قبلتها ايها الملك لا يشارها ايى بأفضل جواريتها . فقالت شيرين لمسكدة : اني اريد أن تأتى هذا الشيخ فتبدي له محاسنك وتجيدي خدمته فاذا هَشَّ لمضاجعتك فامتنعي عليه حتي توكفيه وتركبيه وتعلميني الوقت الذي يتهيا لك ذلك حتى لا يعود أن يزيد في تحية الملك - ووَقِيت طاعة النساء - فقالت مسكدة : أفعل يا سيدتي . ثم انطلقت الي الشيخ فصارت عنده في داره التي يحلها من قصر الملك فجعلت تخدمه وتبرئه وتظهر له الكرامة وهي مع ذلك تبرز له محاسنها وتكشف له عن صدرها ونحرها وتبدي له ساقها وتغذيها فارتاح الموبدان اليها وانشرح صدره لمضاجعتها فجعلت تمتنع عليه فيزداد في ذلك حرصاً فلما ألحَّ عليها قالت له : ايها القاضي ما أنا بمجيبتك الى ما سألت حتى أوكفك وأركبك فان أجبته الى ذلك صرت طوع يدك فيما تريد وتدعو اليه من مسرتك فامتنع عليها أياما وبقيت تزين له بزيتها وتكشف له عن محاسنها حتى عيل صبره فقال لها : افعل ما أحببت . فهيات له بردعة صغيرة وإكافا صغيرا وحزاما ونفرا وأقامته عريانا على أربع ووضعت على ظهره البردعة والا كاف وجعلت الثفر تحت خصيته وهي قائمة وركبته وهي تقول خر خر وأرسلت الى سيدتها شيرين تعلمها بذلك فقالت شيرين للملك : اصعد بنا الى ظهر بيت الموبدان لننظر من الروضة ما يكون بينه وبين الجارية . فصعدا ونظرا فاذا هي قد ركبته فوق الاكاف فنناداه كسري : ويحك أي شيء هذا . فرفع الموبدان رأسه ونظرا الى الروضة

ورأى الملك فقال : هو ما كنت اقول لك في اجتناب طاعة النساء . فضحك

كسرى وقال : قُبْحَكَ اللهُ من شيخ وقُبْحَ مستشيرك بعد هذا

﴿ حديث الزَّباء ﴾ ومنهن الزباء واسمها هند وملكنت الشام بعد عمها
الصنور وكان جديمة الارش قتل عمها فبعث اليها جديمة يخطبها فأظهرت
البشر والسرور لرسوله وكتبت اليه بالقدوم عليها لتزوجه نفسها فاستشار
نصحاءه فقالوا : أيها الملك ان تزوجت بها جمعت ملك الشام وملك الجزيرة
الى ممالكك . فاستخلف ابن أخيه عمرو بن عدي وسار في ألف فارس
من خاصته فلما انتهى بمكان يسمى بقة وهو حدٌ مملكتها ومملكته نزل
في ذلك المكان واستشار أصحابه أيضا في المصير اليها والانصراف فزئبوا له
الإلزام بها وقالوا انك ان انصرفت من ههنا أنزله الناس منك على حين
ووهن فدنا منه مولى له يقال له قصير بن سعد فقال له أيها الملك لا تقبل
مشورة هؤلاء وانصرف الى مملكتك حتى يتبين لك أمرها فلتها امرأة
موتورة ومن شأن النساء الغدر . فلم يحفل بقوله ومضى حتى اقتحم مملكتها
فقال قصير - بيقه نصرم الأمر - ثم أرسلها مسللا . فلما بلغ المرأة قدومه
عليها أمرت جنودها فاستقبلوا الملك فقال قصير أيها الملك اني رأيت جنودها
لم يترجلوا لك كما يترجل للملوك ولست آمن عليك فاركب العصا وانج بنفسك
- والعصا كانت فرساً لجديمة لا يشق غبارها - فلم يعبأ جديمة بقوله وسار
حتى دخل المدينة وأمرت هند الزباء بأصحابه أن ينزلوا فانزلوا وأخذت منهم
أسلحتهم ودوابهم وأذنت للجديمة فدخل عليها وهي في قصرها ولم يكن
معه في قصرها الا الجوارى فأومأت اليهن بأن يأخذنه واجتمعن عليه
ليكنفنه فامتنع عليهن فلم يزلن يضربنه بالأعمدة حتى آتخنه وكتفنه ثم

دعت بالنطع فأجلسته فيه وكشفت عن عورتها فنظر جذيمة فإذا لها شعرة
 وافية فقالت كيف ترى عروسك أشوار عروس أم ما ترى قال أرى نظرا
 ثائثا ونبثا فاشيا ولا أعلم ما وراء ذلك قالت أما انه ليس من عدم المواسي
 ولا لقلة الأواسي ولكنه شبيمة من أناسي ثم أمرت به فقطعت عروقه
 فجعلت دماؤه تشخب في النطع فقالت لا يحزنك ما ترى فإنه دم هراقه أهله
 فأرسلتها مثلا . واحتال قصير للعصا حتى وصل اليها وركبها ثم دفعها فجعلت
 نهوى به كأنها الريح وكان المكان الذي فصد فيه جذيمة مشرفا على الطريق
 فنظر جذيمة اليه وقد دفع الفرس فقال لله حزم على رأس العصا . فلم تزل
 دماؤه تشخب حتى مات . ثم أمرت بأصحابه فقتلوا بأجمعهم . وكان عمرو بن
 عدي يركب كل يوم من الحيرة فيأتي طريق الشام يتجسس عن خبره وحاله
 فلم يبلغه أحد خبره فبينا هو ذات يوم في ذلك اذ نظر الى فرس مقبل على
 الطريق فلما دنا منه عرف الفرس وقال - يا خير ما جاءت به العصا - فذهبت
 مثلا فلما دنا منه قصير قال له ما وراءك قال قتل خالك وجنوده جميعا فاطلب
 بشارك قال وكيف لي بها وهي أمتع من عقاب الجو فذهبت مثلا . ثم ان
 قصيرا أمر بأنف نفسه فجذع ثم ركب وسار نحو الزباء فاستأذن عليها فقبل
 لها ان مولى لجذيمة وقهرمانه وأكرم الناس عليه قد أنك مجدوعا فأذنت
 له فدخل عليها قالت من صنع بك هذا قال أيتها الملكة هذا فعل عمرو بن
 عدي أهمني وتجنني على الذنوب وزعم أني أشرت على خاله بالمصير اليك
 حتى فعل بي ما ترى ولم آمنه أن يقتلني فخرجت هاربا اليك وقد أيتك
 لا تكون معك وفي خدمتك ولي جداء وعندي غناء قالت نعم أقم فعندي
 لك ما تحب وولته نفقتها تخف لها ورأت منه الرشاقة فلما أسندته اليه فأقام

عندها حولاً ثم قال لها أيتها الملكة ان لي بالعراق مالا كثيرا فاذا أذنت لي في الخروج لملءة فافعلي فدفعت اليه مالا كثيرا وأمرته أن يشتري لها ثياباً من الخز والوشي والآلئ وياقوتاً ومسكاً وغنبراً والنجوجا فانطلق حتي أتى عمراً فأخبره فأخذ منه ضعفي مالها وانصرف نحوها فاسترخصت ما جاء به وردته الثانية والثالثة فكان يأخذ في كل مرة أضعاف مالها فيشتري لها جميع ما تريد فتسترخصه ووقع قصير بقلبها فاستخافته ثم بعثته في الدفعة الرابعة بمال عظيم وأمرته أن يشتري أناثاً ومتاعاً وفرشاً وآنية فانطلق الى عمرو فقال قد قضيت ما عليّ وبقي ما عليك فقال وما الذي تريد قال اخرج معي في ألني فارس من خدمك وكونوا في أجواف الجواليق علي كل بعير رجلان فانتخب عمرو ألني فارس من أصحابه فخرج وخرجوا معه في الجواليق كل رجل بسيف وكان يسير النهار فاذا أمسى الليل فتح الجواليق ليخرجوا ويطعموا ويشربوا ويقضوا حوائجهم حتى اذا كان بينه وبين مدينتها مقدار ميل تقدم قصير حتى دخل عليها وقال أيتها الملكة اصعدي علي القصر لتنظري ما أتيتك به فصعدت فنظرت الى ثقل الأحمال علي الجمال فقالت

ما للجمالِ مَشِيئِها وَثَبَدَا أجنَدَلاً يَحْمِلانِ أُمَ حديدَا

أُمَ صرَفانَا بارِدَا شَدِيدَا

فأجابها قصير سرا وقال

بَلِ الرِّجالُ جُنَمًا قُعودَا

فقال : لما عليها من المتاع الثقيل النفيس فأمرت بالأحمال فأدخلت قصرها وكان وقت المساء فقالت : اذا كان غدا نظرننا الى ما أتيتنا به ، فلما

جنّ عليهم الليل فتحوا الجواليق وخرجوا فقتلوا جميع من في القصر وكان لها سرب قد أعدته للفرع والهرب ان حل بها روع تخرج الى الصحراء وقد كان قصير عرف ذلك المكان ووصفه لعمر و فبادر عمرو الى السرب فاستقبلته الزباء فولت هاربة نحو السرب فاستقبلها بالسيف فصت فصها وكان مسموما وقالت بيدي لا بيدك يا عمرو ولا بيد العبد . فقال عمرو يده ويدي سواء وفي كليهما شفاء وضربها بسيفه حتى قتلها . وأقبل قصير حتى وقف عايتها فجعل يدخل سيفه في فرجها ويقول

ولو رأوني وسيفي يومٍ أدخله في جوفِ زَبَاءٍ ماتُوا كلُّهم فرحاً

وغنم عمرو وأصحابه من مدينتها أموالا جلييلة وانصرفوا الى الحيرة . فكان الملك بعد خاله جديمة وعمرو هذا هو جد النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى . ومنهن صاحبة الجعد بن الحسين أبي صخر بن الجعد وكان جعد قد طعن في السن وكان يكنى أبا الصموت وكانت له وليدة سوداء . فقالت يا أبا الصموت زعم بنوك أن يقتلوني اذا أنت مت قال : ولم ذاك قالت : مالي اليهم ذنب غير حبك فاعتقني فأعتقها فبقيت يسيرا ثم قالت يا أبا الصموت هذا عرابة من أهل عدن يخطبني . قال ما كان هذا ظني بك . قالت انما أريد ماله لك . فقال اثني به فجاءت به فزوجها منه فولدت منه وقرَّبته من مال جعد وكانت تأتي الجعد فتخضب رأسه ثم قطعتة فقال الجعد

أبلغَ لديكَ بنيَ مَعمروِ مُغَاغَلَةً عَوْفًا وَعَمْرًا فما قولي بِمَرْدُودِ
بأن يَبقى أُمسى فوقَ دَاهِيَةٍ سوداء قد وَعَدَتْنِي شرَّ مَوْعُودِ
تُعْطِي عُرَابَةً بالكُفَيْنِ مُحْتَضِبًا مِنَ الْخُلُوقِ وَتُعْطِينِي عَلَى الْعُودِ

أَمْسَى عُرَابُهُ ذَا مَالٍ وَذَا وَلَدٍ مِنْ مَالٍ جَعَدٍ وَجَعَدٌ غَيْرُ مَحْنُودٍ
 وَمِنْهُنَّ امْرَأَةُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَكَانَتْ أُمُّ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَهِيَ
 ابْنَةُ هِشَامِ بْنِ عَتَبَةَ فَأَرَادَ مَرْوَانُ الْخُرُوجَ إِلَى مِصْرَ فَقَالَ لَخَالِدٍ . أَعَرَنِي
 سِلَاحَكَ فَأَعَارَهُ فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ لَهُ خَالِدٌ رَدِّ عَلَى سِلَاحِي فَأَبَى عَلَيْهِ وَكَانَ
 مَرْوَانُ فَخَاشًا فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ الرُّبُوحِ الرُّطْبَةُ خِجَاءُ خَالِدٍ إِلَى أُمِّهِ فَقَالَ هَذَا مَا صَنَعْتَ
 بِي سُبْنَى عَلَى رُؤْسِ الْمَلَأِ وَقَالَ لِي كَيْتٌ وَكَيْتٌ . قَالَتْ اسْكُتْ فَإِنِّي أَكْفِيكَ
 أَمْرَهُ . خِجَاءُ مَرْوَانَ فَرَقَدَ عِنْدَهَا فَأَمَرَتْ جَوَارِيهَا فَطَرَحْنَ عَلَيْهِ الشَّوَادِكِينَ
 يَعْنِي الْمَلَاحِفَ - ثُمَّ غَطَّيْنَهُ حَتَّى قَتَلَنَّهُ وَخَرَجْنَ يَصْحَنَ : وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 فَدَعَا عَبْدَ اللَّهِ بِامْرَأَةِ أَبِيهِ لِيَقْتَابَهَا فَقَالَتْ إِنَّ الَّذِي يَبْقَى عَلَيْكَ مِنَ الْعَارِ أَكْظَمُ
 مِنْ قَتْلِ أَبِيكَ . قَالَ وَمَا ذَاكَ : قَالَتْ يَقُولُ النَّاسُ إِنَّ أَبَاكَ قَتَلَنَ امْرَأَةً .
 فَأَمْسَكَ عَنْهَا

﴿ محاسن مكر النساء ﴾

ذَكَرُوا أَنَّ الْحِجَاجَ بْنَ يَوْسُفَ أَرَقَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَبَعَثَ إِلَى ابْنِ الْقُرَيْبَةِ
 فَقَالَ : إِنِّي أَرَقْتُ فَخُذْنِي حَدِيثًا يَقْصُرُ عَلَيَّ طَوْلَ لَيْلِي وَلَيْسَكُنْ مِنْ مَكْرِ النِّسَاءِ
 وَفَعَلْن . فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ذَكَرُوا أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ
 مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ كَانَ مَعْرُوفًا بِالنِّسْكَ وَالسَّخَاءِ وَكَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ يُقَالُ لَهَا
 جَمِيلَةٌ وَلَهُ صَدِيقٌ مِنَ النِّسَاكِ فَاسْتَوْدَعَهُ عَمْرُو أَلْفَ دِينَارٍ وَقَالَ إِنَّ حَدِثَتْ
 بِي حَادِثَةٌ وَرَأَيْتُ أَهْلِي مُحْتَاجِينَ فَأَعْطِهِمْ هَذَا الْمَالِ فَعَاشَ مَا عَاشَ ثُمَّ دَعَى
 فَأُجَابَ فَكَثُرَتْ جَمِيلَةٌ بَعْدَهُ حِينَئِذٍ ثُمَّ سَاءَتْ حَالُهَا وَأَمَرَتْ خَادِمَتَهَا يَوْمًا
 بِبَيْعِ خَاتَمِهَا لِفُتَاءٍ يَوْمَ أَوْ عِشَاءٍ لَيْلَةٍ فَبَيْنَمَا الْخَادِمَةُ تَعْرِضُ الْخَاتَمَ عَلَى الْبَيْعِ إِذْ

لقيها الناسك صديق عمرو . فقال فلانة . قالت نعم . قال ما حاجتك . فأخبرته بسوء الحال وما اضطرت اليه مولاتها من بيع خاتمها . فهملت عيناه دموعا ثم قال ان لعمرو قبلى ألف دينار فاعلمى بذلك صاحبتك . فأقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة وهي تقول . رزق حلال عاجل من كد مولاي الكريم الفاضل . فلما سمعت مولاتها ذلك سألتها عن القصة فأخبرتها فخرت ساجدة وحمدت ربها وبعثت بالجارية الى الناسك فأقبل الناسك ومعه المال فلما دخل الدار كرم أن يدفع المال الى أحد سواها فخرجت فلما نظر الى جمالها وكملها أخذت مجامع قلبه وفارقه النهى وذهب عنه الحياء وأنشأ يقول

قد سَلَبْتَ الْجِسْمَ وَالْقَلْبَ مَعًا وَبَرَيْتِ الْعَظْمَ مِمَّا تَلَحَّظِينَ

فَارْدُدِي قَلْبَ عَمِيدٍ وَأَقْبَلِي صِلَةَ الضَّعْفَيْنِ مِمَّا تَرْتَجِمِينَ

فأطرقت جميلة لقوله طويلا ثم قالت : ويحك أأنت المعروف بالنسك المنسوب الى الورع . قال بلى ولكن نور وجهك سلّ جسمى فتداركنى بكلمة تقيمين بها أودى فهذا مقام اللائذ بك . قالت أيها المرائى المخادع أخرج عني مذموماً مدحوراً فخرج عنها وقد هام قلبه وأضحت جميلة تعمل الحيلة في استخراج حقها فأنت الملك ترفع اليه ظلامتها فلم تصل اليه فأنت الحاجب فشكت اليه فأعجب بها اعجاباً شديداً وقال : ان لوجهك صورة أرفعها عن هذا ولا يجمل بمثلك الخصومة فهل لك فى ضعفي مالك فى ستر ورفق . فقالت سوءة لامرأة حرة تميل الى ريبة فانصرفت الى صاحب الشرطة فأنهت ظلامتها اليه فأعجب بها . وقال ان حجتك على الناسك لا تقبل إلا بشاهدين عدلين وأنا مشتر خصومتك ان أنت نزلت عند مسرتى فانصرفت

عنه الى القاضي فشكت اليه فأخذت بقلبه وكاد القاضي يحن اعجاباً بها وقال
ياقرة العين انه لا يزهد في أمثالك فهل لك في مواصلي وغناء الدهر فانصرفت
وبانت تحتال في استخراج حقها فبعثت الجارية الى نجار فعمل لها تابوتا
بثلاثة أبواب كل منهم مفرد ثم بعثت الجارية الى الحاجب أن يأتيها اذا أصبح
والى صاحب الشرطة أن يأتيها بخوة والى القاضي أن يأتيها اذا تعالى النهار والى
الناسك أن يأتيها اذا انصف النهار فأتاها الحاجب فأقبلت عليه تحمده فما
فرغت من حديثها حتى قلت لها الجارية صاحب الشرطة بالباب فقالت
للهاجب ليس في البيت مايجأ الا هذا التابوت قد دخل أى بيت شئت منه
فدخل الحاجب بيتاً من التابوت فأقبلت عليه ودخل صاحب الشرطة
فأقبلت جميلة عليه تضاحكه وتلاطفه فما كان بأسرع من أن قالت الجارية
القاضي بالباب فقال صاحب الشرطة أين أختي فقالت لا ملجأ الا هذا
التابوت وفيه بيتان فأدخل أيهما شئت فدخل فأقبلت عليه فلما دخل
القاضي قالت مرحباً وأهلاً وأقبلت عليه بالترحيب والتلطيف فيينا هي
كذلك اذ قالت الجارية للناسك بالباب فقال القاضي ماذا تريد في رده
فقالت مالى الى رده سبيل قال فكيف الحيلة قالت انى مدخلتك هذا
التابوت ومخاصمته فأشهد لى بما تسمع واحكم بينى وبينه بالحق قال نعم فدخل
البيت الثالث فأقبلت عليه ودخل الناسك فقالت له مرحباً بالزائر الجانى
كيف بدا في زيارتنا قال شوقا الى رؤيتك وحنيناً الى قربك قالت فالما
ما تقول فيه أشهد الله على نفسك برده أتبيع رأيك قال اللهم انى أشهدك ان
الجميلة عندي ألف دينار وديعة زوجها فلما سمعت ذلك هتفت بجارتها
وخرجت مبادرة نحو باب الملك فأنهت ظلامتها اليه فأرسل الملك الى الحاجب

وصاحب الشرطة والقاضي فلم يقدر على واحد منهم فقمعد لها وسألها البينة فقالت يشهد لي تابوت عندي فضحك الملك وقال يحتمل ذلك لجمالك فبعث بالعجلة فوضع التابوت فيها وحمل الي بين يدي الملك فقامت وضربت بيدها الى التابوت وقالت أعطى الله عهدا لتنطقن بالحق وتشهدن بما سمعت أو لا ضرمك نارا فإذا ثلاثة أصوات من جوف التابوت تشهد على اقرار الناسك بجميلة بألف دينار فكبر ذلك على الملك فقالت جميلة لم أجد في المملكة قوما أوفى ولا أقوم بالحق من هؤلاء الثلاثة فأشهدتهم على غريمي ثم فتحت التابوت وأخرجت الثلاثة نفر وسألها الملك عن قصتها فأخبرته وأخذت حقها من الناسك . فقال السحاج : لله درها ما أحسن ما احتالت لاستخراج حقها قال وكان يعقوب بن يحيى المدايني ويحيى الكاتب كاتب سهل بن رستم يتحدثان الى مهيدي جارية سليمان بن الساحر فقال يعقوب يوما ليحيى أنا أشتري أن أري بطن مهيدي فقال يحيى متجمل لي ان أنا احتلت لك بجميلة حتي تراه قال ماشئت قال بردونك هذا قل . نعم قال . فتوثق منه وأتى مهيدي فقال لها كان لي بردون موافق فدره فنفق وأنت لو شئت خمتني على بردون فدره . قالت . أنا أفعل وأشتريه لك بما يباع الثمن . قل . أنت قادرة عليه بغير الثمن . قالت كيف ذلك . فأخبرها بالقصة فقالت . قد حملك الله على البردون وأربحك النظر الى بطن حسن فإذا كان غدا فتعال أنت ويعقوب فاجاسا فان سليمان يعبت بوصيفته فسلانة كثيرا فإذا فعل ذلك وجئت أنا فقل أنت مهيدي لو علمت ما صنع فلان لقاتته قال . نعم . فلما جاءت مهيدي قال لها ان أمر سليمان مع وصيفته أشنع مما تقدرينه فوثبت مستشيطه غضباً وقالت . مثلك يا ابن الساحر يفعل هذا مرة بعد أخرى وشقت جيبيها الى أن جاوزت أسفل

البطن وهي قائمة فنظر الى بطنها فتأملناها ساعة وهي تشتم ابن الساحر فقام اليها يترضاها ويسكنها ويعقوب يقول وابدؤنا فأخذه منه يحيى .. وعن المساور قال كان عندنا بالأهواز رجل متأهل وكانت له أرض بالبصرة وكان في السنة يأتيها مرة أو مرتين فتزوج بها امرأة ليس لها إلا عم في الدار وكان يكثر الانحدار بعد ذلك الى البصرة فأنكرت الأهوازية حله فدست من تعرف خبره ثم احتالت وبعثت من أورد خطأ لعم المرأة البصرية وسألت من كتب كتاباً من عم البصرية الى زوجها على خطه بأن ابنة أخيه توفيت ويسأله القدوم لآخذه ما خافت ودست الكتاب مع انسان شبيه بالملاح فلما أتى بالكتاب خرج اليه فدفع الكتاب ولم يشك ان امرأته البصرية ماتت فقال لامرأته : اجعلي لي سفرة . قلت : ولم . قل : أريد الخروج الى البصرة . قلت لكم هذه البصرة : قد رايتي أمرك وما أشك ان هنالك لك امرأة . فأنكر ذلك فقالت ان كنت صادقة وحلف بطلاق كل امرأة لك غيري . فقال في نفسه تلك قد ماتت وليس على أن أحلف بطلاقها فأرضي هذه فخاف لها بطلاق كل امرأة لا سوى الأهوازية . فقالت الأهوازية يا جارية هاتي السفرة فقد أغناه الله عن الخروج . قل وما ذلك . قلت قد طلقت الفاسفة وقصت عليه القصة فعرف مكرها وأقام

﴿ مساوى مكر النساء ﴾

وذكروا .. ان لقمان بن عاد صاحب لبد خرج يجول في قبائل العرب فقتل يحيى من العماليق فيبنا هو كذلك اذ طعن القوم فظعن معهم فسمع بامرأة تقول لزوجها فلان لو حماة سقطى هذا حتى تجاوز به النية فان فيه

من متاع النساء مالا بدلهن منه ولعل البعير يقع فيتكسر وذلك من لقمان
 بمنظر ومسمع فقال افعل فاحتمله على عاتقه فلما انحدر وجد بلالا في صدره
 فشمه فاذا هو ربح بول قد جاء من السفت الذى على رأسه ففتح السفت فاذا
 هو بعلام قد خرج منه يعدو . فلما نظر لقمان قال يا احدى بنات طبقٍ -
 وبنات الطبق أن تأتي الحية الساعفة فتاتوى عليها فتبيض بيضة واحدة
 فتخرج منها حية شبرا أو نحو ذلك لانضرب شيئا الا أهلكته - فتبعه لقمان
 حتى لحقه فجاء به يحمله واجتمع الناس اليه وقالوا يا لقمان أحكم فيما ترى فقال
 ردوا الغلام في السفت يكون له منوى حتى يرى ويعلم ان العقاب فيما أتى
 وتحمله المرأة بفعلها حملوها ما حلت زوجها ثم شدوه عليها فان ذلك جزاء
 مثاها فعمدوا الى الغلام فشدوه في السفت ثم شدوه في عنق المرأة ثم تركوها
 حتى ماتا ثم فارقهم لقمان فأتي قبيلة أخرى فنزل بهم فينا هو كذلك اذ
 بصر بامرأة قد قامت عن بنات لها فسألت احداهن أين تذهبن قالت الى
 الخلاء ثم خرجت الى بيوت الحى فعارضها رجل فمضيا جميعاً ولقمان ينظر
 فوق الرجل عليها وقضى حاجته منها فقالت المرأة هل لك ان أتماوت على
 أهلي فتما هو ثلاثة أيام أكون فى رجى ثم تجيء فتستخرجنى فتمتع فقال
 الرجل افعلى وكان اسمه الخلى وزوج المرأة اسمه الشجى فقال لقمان - ويل
 للشجى من الخلى - فذهبت مثلاً فلم تلبث المرأة الا أياماً حتى تماوتت على
 أهلها وكان الميت منهم اذا مات تجعل فوقه الحجارة ولم تكن اذ ذاك قبور
 فلما كان اليوم الثالث جاءها خليلها فأخرجها وانطلق بها الى منزله وتحول
 الحى من ذلك المكان وخافت المرأة أن تعرف لحزنت شعرها وتركت لنفسها
 حمة فينأهم كذلك اذ خرج بنات المرأة فاذاهن بامرأة جالسة ذات حمة فقالت

الصغرى أمي والله . قالت الوسطى صدقت والله . قالت المرأة كذبتا ما أنا لكما بأم . قالت الكبرى صدقت والله لقد دفنا أمتنا غير ذات حمة ما كان لأمتنا إلا لمة . قالت الصغرى هبك أنكرت أعلاها أما تعرفين أخراها فتعلقت بها فقالت الأم صغراهن مرأهن فذهبت مثلاً واجتمع الناس وجاء زوج المرأة فارتفعوا إلى لقمان فقالوا احكم بيننا . فقال لقمان * عند جهنمة اخبر اليقين * فذهبت مثلاً وكان يلقب بجهنمة فقال لقمان للمرأة أخبرك أم تخبريني . قالت بل قل . قال انك قلت لهذا اني متماوتة على أهلي فإذا دفنوني في رجمي جئت فاستخرجتني وأتذكر لهم فلا يعرفونني فمتنعم مدينتنا . فعترفت المرأة فقيل للقمان احكم بيننا . قال ارجوها كما رجعت نفسها خفر لها حفرة وألقوها فيها ورجوها وكانت أول مرجومة في العرب ثم ان زوجها تعلق بالخلي فقال يالقمان هذا فرق بيني وبين أهلي : فقال لقمان اسكلي ذكر أنثى واسكلي أول آخر ففرق بينك وبين أشاك وفرق بين ذكره وبين أنثيته فقطع ذكره فمات

✽ محاسن الغيرة ✽

روى انه اذا اغير الرجل في أهله أو في بعض منأكحه أو مملوكته فلم يغرب الله جل اسمه اليه طيرا يقال له القرقمة حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله أربعين صباحا يهتف به ان الله غيور يحب كل غيور فان هو تغير أنكر ذلك والا طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم ر عنه فيزع الله منه روح الايمان وتسميه الملائكة الديوث . وقال فقل صلى الله عليه وسلم باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء فان كانت المعاينة بامرأة تفرد الداء الذي لادواء له . وروى ان امرأة ذات عقل ورأى حملت

من فاجر فقتيل لها في ذلك فقالت قرب الوساد وطول السواد . تريد قرب مضجعه منها وطول مسارته اياها . وقال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان . وقال سعيد بن مسلم لأن يرى حرمتي ألف رجل على حال تكشف وهي لا تراهم أحب الي من أن ترى حرمتي رجلا مواجهة . وقيل لعقيل بن عافّة ألا تزوج بناتك . فقال أجميعن فلا يأسرن وأعريهن فلا يظهرن . فوافق إحدى كلمتيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : الصوم وجاء السيئة . والأخري قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : استعينوا عليهن بالعري . وغاية أموال الرجال وكسبهم وهمهم وما يملكون إنما هو مصروف لى النساء فلو لم يكن إلا ما يبعدهن من الطيب والحلى والكساء والفرس والآنية كان في ذلك ما كفى ولو لم يكن إلا الاهتمام بالحفظ والحراسة وخوف العار من خيانتهم والجناية عليهن لكان في ذلك المؤونة العظيمة والمنفعة الشديدة غير أن أولى الأشياء بالرجال حفظهن وحراستهن فليس شئ لهن أساح من مباحدهن عن الرجال وقمعهن بالعري والجوع ومن حق الملوك أن لا يرفع أحد من خصتها وبطانتها رأسه الى حرمة لها صغرت أم كبرت فكم من فيل وطى هامة عظيم وبطنه حتى بدت أمعاؤه وكم من شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع ونهشته وكم من جارية كريمة على قومها عزيزة في أهائها قد أكلها حيتان البحر وطير الماء وكم من جمجمة كانت تصان وتعل بالاسك والبان قد ألقيت بالعراء وغيت جثتها في الثرى بسبب الحرم والخدم والغلمان ولم يأت الشيطان أحدا قط من باب حتى يراه بحيث من يهوى مستقيم اللحم والأعضاء هو أبلغ من مكيدته وأحرى أن يري فيه امنية من هذا الباب اذ كان من الطف مكايده وأدق وساوسه

وأجل تزاينه . وقيل لابنة الخس لم زينت بعبدك ولم ترن بحر . قالت طول السواد وقرب الوساد : وقيل لو أن أقبح الناس وجهاً وأنهم رائحة وأظهرهم فقراً وأسقطهم نفساً وأوضعهم حسباً قل لامرأة تمكن من كلامها ومكنته من سمعها : والله يامولاتي لقد أسهرت ليلي وأرقت عيني وشغلتني عن مهم أمري فما أعقل أهلاً ولا ولداً ولو كانت أبرع الناس جمالاً وأكملهم كمالاً وأملحهم ملاحاة وإن كانت عينه تدمع بذلك ثم كانت تكون مثل أم الدرداء أو معاذة العدوية أو رابعة القيسية لمالت اليه وأحبته . ومنها قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اضربوهن بالعري فإن النساء يخرجن إلى الأعراس ويقمن في المناحات ويظهرن في الأعياد ومتى كثر خروجهن لم يعد بُدًى من أن يرين من هو من شكهن ولو كان بعلمهن أنهم حسناً وأحسن وجهاً والذي رأيت أنقص حسناً ولكان ملائكة أطرف عندها مما تملكه ولكان ما لم تملكه أو تستكثر منه أشد لها اشتغالا واجتذاباً . قال الشاعر وللعين ملهى بالنساء ولم يقُدْ هوى النفس شي : كافتادِ الطرائف وكانت الأَكسرة إذا امتحنَت الخاصة من أنجاسها وخف الواحد عنهم على قلب الملك وكان الرجل عالماً بالحكمة موضعاً للأمانة في الدماء والفروج والأموال على ظاهره فيأمره أن يتحول إلى منزله وإن تفرغ إليه حجرة وإن لا يتحول إليه بامرأة ولا جارية ولا حرمة ويقول له أريد بك الانس في ليلي ونهاري ومتى كان معك بعض حرمك قطعك عني فأجعل منصرفك إلى منزلك في كل خمس ليال فإذا تحول الرجل أنس به وخلا معه وكان آخر من ينصرف من عنده فيتركه على هذه الحالة أشهراً . امتحن ابرويز رجلاً من خاصته بهذه المحنة ثم دس إليه جارية من بعض

جواريه ووجه معها اليه بألطف وهدايا وأمرها أن لاتقعده عنده في أول مرة فأتته بألطف الملك وقامت بين يديه ولم تلبث أن انصرفت حتى اذا كانت المرة الأولى أمرها أن تقعد هنيئة وان تبدي عن محاسنها حتى يتأملها ففعلت ولاحظها الرجل وتأملها وجعل الرجل يحد النظر اليها ويسر بمحادثتها ومن شأن النفس أن تطلب بعد ذلك الغرض من هذه المطالبة فلما أبدى ماعنده قالت أخاف أن يعثر علينا ولكن دعني حتى أدبر في هذا ما يتم به الأمر بيننا ثم انصرفت فأخبرت الملك بذلك وبكل شئ جرى بينهما فلما كانت المرة الثالثة أمرها أن تطيل القعود عنده وان تحدثه وان أرادها على الزيادة في المحادثة أجابته اليه ففعلت ووجه اليه أخرى من خواص جواريه وثقلتهن بألطفه وهداياه فلما جاءت قال لها ما فعلت فلانة قالت اعتلت فريد لون الرجل ثم لم تطل القعود عنده كما فعلت الأولى ثم عاودته فقعدت أكثر من المقدار الأول وأبدت بعض محاسنها حتى تأملها وعاودته في المرة الثالثة وأطالت القعود والمضاحكة والمهازلة فدعاها الى مافي اتركيب النفس من الشهوة فقالت أنا من الملك على خطأ يسيرة ومعه في دار واحدة ولكن الملك يمضي بعد ثلاث الى بستانه الذي بموضع كذا فيقيم هناك فان أرادك على الذهاب معه فاطهر انك عليل وتمارض فان خيرك بين الانصراف الى نسائك أو المقام ههنا فاختر المقام واخبره انك لاتقدر على الحركة فان أجابك الى ذلك جئت من أول الليل فأكون معك الى آخره فسكن الرقيع الى قولها وانصرفت الجارية فأخبرت الملك بكل مدار بينهما فلما كان في الوقت الذي وعدته ان يخرج الملك فيه دعاه الملك فقال للرسول أخبره اني عليل فلما جاءه الرسول وأخبره تبسم وقال هذا

أول الشر فوجه اليه محفة يحمل فيها فأتاه وهو معصب فلما بصر به قال والمحفة الشر الثاني فبين العصابة فقال والعصابة الشر الثالث فلما دنا من الملك سجد فقال له متى حدثت بك هذه العلة قال هذه الليلة قال فأى الأمرين أحب اليك الانصراف الى نساءك لتريضك أم المقام ههنا لوقت رجوعي قال المقام ههنا أيها الملك أوفق لقلة الحركة فتبسم ابرويز وقال حركتك ههنا ان تركت أكثر من حركتك في منزلك ثم أمر له بعصا الزناة التي كان يرسم بها من زنى فأيقن الرجل بالشر وأمر أن يكتب ما كان من أمره حرفا حرفا فيقرأ على الناس اذا حضروا وان ينفي الى أقصى مملكته وتجعل العصا في رأس رمح يكون معه حيث كان ليحذر من يعرفه منه فلما خرج الرجل من المدائن متوجهاً به نحو فارس أخذ مديّة كانت مع بعض الموكلين به فحجب بها ذكره وقال من أطاع عضوا صغيرا من أعضائه أفسد عليه جميع أعضائه فأت من ساعته . وفيما يذكر عن أنو شروان انه اتهم رجلا من خاصته في بعض حرمه فلم يدر كيف يقتله لاهو وجد أمرا ظاهرا يحكم بمثله الحاكم فيسلفك به دمه ولا قدر على كشف ذنبه لما في ذلك من الهون على الملك والمملكة ولا وجد عذرا لنفسه في قتله غيلة اذ لم يكن في شرائع دينهم ووراثه سائقهم فقتل الرجل بعد جنايته بسنة في خلوة فقال قد حزني أمر من أسرار ملك الروم وبني حاجة الى علمها وما أجدي أسكن الى أحد سكوني اليك اذ حللت من قايي المحل الذي أنت به وقد رأيت أن تحمل لي مالا الى هناك للتجارة وتدخل بلاد الروم فتقيم بها فاذا بعث مامعك حملت مما في بلادهم من تجاراتهم وأقبلت الي وفي خلال ذلك تصفى الى أخبارهم وتطلع الى ما بنا الحاجة الى

معرفة من أمورهم وأسرارهم فقال افعل أيها الملك وأرجو أن أبلغ في ذلك محبة الملك ورضاه فأمر له بمال وتجهز الرجل وخرج بتجارته فاقام في بلاد الروم حتى باع واشتري وفهم من كلامهم ولغاتهم ما عرف به مخاطباتهم وبعض أسرار ملكهم وانصرف الى انوشروان بذلك فآراه الايثار به وزاد في بره وردده الى بلادهم وأمره بالمقام والتربص بتجارته ففعل حتى عرف واستفاض ذكره فلم تزل تلك حاله ست سنين حتى اذا كانت السنة السابعة أمر الملك أن تصور صورة الرجل في جام من جاماته التي يشرب فيها وتجعل صورته بأزاء صورة انوشروان ويجعل مخاطبا لانوشروان ومشيرا عليه واليه ويدي رأسه من رأس الملك في تلك الصورة كأنه يساره ثم وهب ذلك الجام لبعض خدمه وقال ان الملوك يرغبون في مثل هذا الجام فاذا أردت بيعه فادفعه الى فلان اذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته وقل له يبيعه من الملك نفسه فانه ينفعك فان لم يمكنه بيعه من الملك باعه من وزيره أو بعض خاصته فجاء غلام الملك بالجام وقد وضع الرجل رجله في الركاب فسأله أن يبيع جامه من الملك وأن يتخذ عنده بذلك يدا وكان الملك يعز ذلك الغلام وكان من خاصة غلمانه وصاحب شرايه فاجابه الى ذلك وأمر بدفع الجام الى صاحب خزانته وقال احفظه فاذا صرت الى باب الملك فليكن مما أعرضه عليه فلما صار الى باب الملك رفع صاحب الخزانة اليه الجام فعرضه على الملك فيما عرض عليه فلما وقع الجام في يد الملك نظر اليه ونظر الى صورة انوشروان فيه والى صورة الرجل وتركيبه عضواً عضواً وجارحة جارحة فقال للرجل اخبرني هل يصور مع صورة الملك رجل خسيس قال لا قال فهل تصور في آنية الملك صورة لأصل لها ولا علة قال لا قال فهل في دار الملك اثنان

يتشابهان في صورة واحدة حتى يكون هذا كانه ذاك في الصورة وكلاهما
ندىما الملك قال لا أعرفه قال له قم قائما فقام فوجد صورته في الجلام فقال له
أدبر فأدبر فتأمل صورته في الجلام فوجدهما بحكاية واحدة فضحك ولم يجسر
الرجل أن يسأله عن سبب ضحكه اجلالا له واعظاما فقال ملك الروم الشاة
اعقل من انسان اذ كانت تخفي مديتها وتدقها وانما أهديت الينا مديتك
بيدك فقال للرجل تغديت قال لا قال قربوا له طعاما قال أيها الملك أنا عبد
والعبد لا يأكل بحضرة الملك قال الملك انت عبد مادمت عند ملك انروم
مطلعا على أموره متتبعا لاسراراه ملك اذا قدمت بلاد فارس وندىم ملكها
أطعموه فاطعم وسقي الحمر حتى اذا ثمل قال من سير ملوكنا أن لا يقتل
الجالوس الا في أعلا موضع نقدر عليه ولا نقتله جائعا ولا عطشانا فأمر به
فأصعد الى سطح كان يشرف منه على كل من كان في المدينة اذا صعد
فضربت عنقه هناك وألقيت جثته من ذلك السطح ونصب رأسه للناس فلما
بلغ ذلك كسرى أمر صاحب الجرس أن يضرب باجراس الذهب ويمر على
دور نساء الملك وجواريه ويقول كل نفس ذائقة الموت كل أحد اذا وجب
عليه القتل ففي الارض يقتل الا من تعرض لحزمة الملك فانه يقتل في
السماء فلم يدر أحد من أهل المملكة ما أراد به حتى مات

✽ ومثله من أخبار العرب ✽ ذكروا انه كان لطسم وجديس ملك
يقال له عمليق ظلوم غشوم وكانت لاترف جارية الى زوجها الا بدأوه بها
فافترعها وردوها الى بعلها ثم ان رجلا من جديس تزوج غفيرة بنت غفار
عظيم جديس ورئيسها فلما أرادوا أن يهدوها اليه بدأوا بها عمليق فادخلوها
عليه ومعهما القيان يتغنين ويضربن بالدفوف ويقلن

لِبِدِي بِعَمَلِيْقَ وَمَعَهُ فَارَ كَبِي
فَسَوْفَ تَأْتِيَنِ الذِي لَمْ تَطْلُبِي
وَبَادِرِي الصُّبْحَ بِأَمْرِ مُعْجِبِ
وَلَمْ يَكُنْ مِنْ دُونِهِ مِنْ مَذْهَبِ

فَجَعَلْتَ تَقُولُ وَهِيَ تَرْفُ

مَا أَحَدُهُ أَذَلَّ مِنْ جَدِيسِ
يَرْضَى بِهَذَا يَا لِقَوْمِي حُرُّ
أَهْكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُرُوسِ
لَأَنَّ يُلَاقِي الْمَرْءَ مَوْتَ نَفْسِهِ
مِنْ بَعْدِ مَا أَهْدَى وَسِيقَ الْمَهْرِ
خَيْرٌ لَهُ مِنْ فِعْلِ ذَا بَعْرِسِهِ

فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ افْتَرَعَهَا ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهَا فَخَرَجَتْ وَوَقَفَتْ عَلَى أُخْيَهَا
الْأَسْوَدُ بْنُ غَفَارٍ وَهُوَ قَاعِدٌ فِي نَادَى قَوْمِهِ وَقَدْ رَفَعَتْ نَوْبَهَا عَنْ عَوْرَتِهَا
وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ

أَبْصَلِحُ مَا يُؤْتِي إِلَى قَبَائِلِكُمْ
وَتَرْضُونَ هَذَا يَا لِقَوْمِي لَا خَتِمْكُمْ
وَأَنْتُمْ رِجَالٌ كَثْرَةُ عَدَدُ الرَّمْلِ
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَغْضَبُوا بَعْدَ هَذِهِ
عَشِيَّةٌ زُقْتُ فِي النِّسَاءِ إِلَى الْبَعْلِ
وَدُونَكُمْ طِيبَ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا
فَكُونُوا نِسَاءً فِي الْمَنَازِلِ وَالْحَجَلِ
فَلَوْ أَنَّا كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْ
خَلَقْتُمْ جَمِيعًا لِلتَّرْزِينِ وَالْكُحْلِ
فَقُبَحًا لِلْمَلِ لَيْسَ فِيهِ حِمِيَّةٌ
نِسَاءٌ لَكُنَّا لَا تُقِيمُ عَلَى ذَحْلِ
فَمُونُوا كِرَامًا أَوْ أَصِيبُوا عَدُوَّكُمْ
وَيَخْتَالُ يَمْشِي بَيْنَنَا مِشْيَةُ الْفَحْلِ
وَالْأَفْخَلُوا دَارَكُمْ وَتَرَحَّلُوا
بِدَاهِيَّةٍ تُورِي ضِرَامًا مِنَ الْجَزْلِ
وَلَا تَخْرُجُوا لِلْحَرْبِ يَا قَوْمِ لَهَا
إِلَى بَلَدٍ قَفَرٍ خَلَاءٍ مِنَ الْإِهْلِ
فِيهِلِكُ فِيهَا كُلُّ وَغْدٍ مُوَ اكِلِ
تَقُومُ بِأَقْوَامٍ شِدَادٍ عَلَى رِجْلِ
وَيَسْلُمُ فِيهَا ذُو الطَّعْمَانِ وَذُو الْقَتْلِ

فلما سمعت جديس شعرها أنفت أنفاً شديداً وأخذتهم الحمية فتآمروا
بينهم وعزموا على اغتيال الملك وجنوده فقالوا ان نحن بادھناھم بالحرب لم
نقو علیھم لكثرة جسدھم وأنصارھم فاتفقوا على ذلك ثم ان الاسود أتى
الملك فقال : انى أحب أن تجعل غداك عندى أنت وجنودك فقال عمليق
ان عدد القوم كثير واحسب ان البيوت لاتسھم فقال الاسود : فنخرج
لھم الطعام الى بطن الوادى فقال لقومه اذا اشتغل القوم بالأكل فسلوا
سيوفكم واعملوا على أن تحملوا حمة رجل واحد واقتلوھم عن آخرھم
وهيا الاسود ما احتاج اليه من الطعام وجاء ملك فلما أكب القوم على
الاكل بادرت جديس الى سيوفھم ثم حمت على الملك وعلى جنوده والاسود
يرتجز ويقول

يا صُبْحَةَ يا صُبْحَةَ العرُوسِ حتى تمشَتِ بدمِ جيسِ

يا طَسْمُ ما لقيتِ من جديسِ ها كَتِ يا طَسْمُ فُهَيْسِ هَيْسِ

فقتلوه وجنوده جميعا .. ومثله الفطيون ملك تھامة والحيجاز فانه سلك
مسلك عمليق فى ملك طسم وجديس فى أمر النساء فامر أن لاتزف من
اليهود فى مملكته امرأة الا بدأوه بها فابث على ذلك عدة أحوال حتى
زوجت امرأة من اليهود من ابن عم لها وكانت ذات جمال رائع وكانت أخت
مالك بن عجلان من الرضاة فلما أرادوا أن يھدوها الى زوجها خرجت
الى نادى الاوس والخزرج رافعة ثوبها الى سرتها فقام اليھا مالك بن العجلان
فقال ويحك وما دھاك فقالت وما يكون من الداهية أعظم من أن ينطق بى
الى غير بعلى بعد ساعة فأنف من ذلك أنفا شديدا فدعا بيزة امرأة فلبسها
فلما انطلقوا بالمرأة الى الفطيون صار كواحدة من نساء اللواتى ينطلقن

بها متشبهها بامرأة وقد أعد سكيناً في خفه فلما دخلت المرأة علي الفطيون مال
مالك الى خزانة في ذلك البيت فدخلها فلما خرج النساء ودخلت المرأة
قام اليها ليفترعها فخرج اليه مالك بالسكين فوجأه فقتله ثم قال لليهود دونكم
جنوده فاقتلوه فاجتمعت عليهم فقتلوه عن آخرهم

﴿ومنه أخبار وأمثال﴾ ذكروا أن أول من قال العجب كل العجب
بين جمادي ورجب عاصم بن المقشعر الضبي وذلك ان الخنيفس بن خشرم
كان أغير أهل زمانه وأشجعهم وكان لعاصم أخ يقال له عبيدة عزيز في
قومه فهوي امرأة كانت تأتي الخنيفس فباع الخنيفس ذلك فتواعد عبيدة
وركب الخنيفس فرسه وأخذ راحته وانطلق يتربص عبيدة حتى وقف على
ممره فقبل عبيدة وقد قضى من المرأة وطرا وهو يقول

ألا إن الخنيفسَ فاعلموه
كما سماه والدُه لعينُ
بهم اللونُ محقرٌ ضئيلُ
لئِمَاتُ خلائقُه ضئيلُ
أبوعدي الخنيفسُ من بعيدِ
ولما يلقَ ما بضعُ الوتينِ
لهوتُ بجارتيه وحاد عتي
وبرغمُ أنه أنفُ شفونُ

فعارضه الخنيفس وهو يقول

أيا ابنَ المقشعرِ لقيتَ ليثاً
لهُ في جوفِ أنيكتِه عرينُ
تقولُ له صدَدَتِ حذارِ حينِ
وانك نشوُ أبطالُ مُبينُ
وانك قد ما هوتَ بجارتينا
فهاك عبيدَ لاقاكَ القرينُ
ستعلمُ أينما أحمي ذماراً
إذا قصرتَ شمالكَ واليمينُ
لهوتَ بها لقد أبدلتَ قبرا
وبأيةَ عليكَ لها رنينُ

فقال عبيدة أذكرك الله وحرمة خشرم فقال والله لاقتلك فقتله فلما بلغ أخاه عاصما خرج اليه ولبس أطمارا وركب فرسه وكان في آخر يوم من جمادى فأقبل يبادر دخول رجب لانهم كانوا لا يقتلون في رجب أحدا فانطلق حتى وقف بباب خنيفس ليلا وقال أجب المرهوق قال وما ذاك قال العجب كل العجب بين جمادي ورجب واني رجل من ضبة غصب أخ لي امرأة فخرج يستنقذها فقتل وقد عجزت عن قاتله فخرج الخنيفس مغضبا وأخذ رحمه وركب وانطلق معه فلما نحى به عن قومه دنا منه فقتعه بالسيف فأبان رأسه .. ويقال ان أول من قال سبق السيف العذل ضمضم بن عمرو اللخمي كان يهوي امرأة فطابها بكل حيلة فأبى عليه وطابها عزيز بن عبيد ابن ضمضة فأبى عليه وتابى على ضمضم وكان ضمضم من أشد قومه بأسا فأغتاظ لذلك وانطلق ليلته وهو متقلد سيفه حتى صار بمكان يراها اذا اجتمعا ولا يريانه فلما نام الناس وطال هدو ضمضم اذا العزيز قد أقبل على فرسه وهو يقول

أمام تُولِينِي وتَأْتِي بِنَفْسِهَا عَلَى ضَمْضَمٍ تَعْسَا وَرَعْمَا لَضَمْضَمٍ

وضمضم يسمع فنزل وربط فرسه ومشى الى ناحية خبائها فصدح صدوح الهام وكان آية ما بينهما فخرجت اليه فعانقها وضمضم ينظر ثم واقعها فلما رآهما مشي اليهما بالسيف وهو يقول

سَتَعْلَمُ اَنِي لَسْتُ مُعَشِّقُ مُبْغِضَا فَكَانَ بِنَا عِنْدَهَا وَعَنْكَ عَزَا

وقتله فعلم القوم بضمضم فاخذوه فلما أصبح أبرز الى النادي ليقتل فجعلوا يلومونه على قتله ابن عمه فقال - سبق السيف العذل * ويقال ان أول من

قال - خير قليل وفضحت نفسي - فائزة امرأة مرة الاسدى وكانت من
أجمل النساء في زمانها وكان زوجها غاب عنها أعواما فهويت عبدا له حبشيا
يرعى ابلها فأمرته أن يحضر مضجعها وكان زوجها منصرفا قد نزل تلك
الليلة منها على مسيرة يوم فيينا هو يطعم ومعه أصحابه اذ نعى غراب فأخبره
أن امرأته لم تعهر قط ولا تعهر الا تلك الليلة فركب فرسه ومرت مسرعا
وهو يرجو ان هو منعها تلك الليلة أمنها فيما بقى فانهى اليها حين قام العبد
عنها وندمت وهي تقول خير قليل وفضحت نفسي فسمعها زوجها وهو
يرعد لما به من الغيظ فقالت له : ما يرعدك . فقال يعلمها أنه قد علم : خير
قليل وفضحت نفسي . فشهقت شهقة خرت ميتة فقتل زوجها العبد
وجعل يقول

لَعَمْرُكَ مَا تَعْتَادُنِي مِنْكَ لَوْعَةً وَلَا أَنَامِنِ وَجْدٍ بِذِكْرِكَ أَسَدُ

قيل وكانت هند بنت عتبة تحت الفاكه بن المغيرة المخزومي وكان الفاكه من
فتيان قريش وكان له بيت ضيافة يغشاه الناس من غير اذن بخلاف ذلك البيت
يوما فضجع الفاكه وهند فيه فخرج الفاكه لبعض حوائجه وأقبل رجل
ممن كان يغشي ذلك البيت فوجه فلما رأى المرأة ولى هاربا فرآه الفاكه وهو
خارج من البيت فأقبل الى هند فضربها برجله وقال من هذا الرجل الذي
خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا ولا انتبهت حتى نهتني فقال لها الحق
بأهلك فتكلم الناس فيها فقال لها أبوها يا بنية ان الناس قد أكتروا فيك
فاصدقيني فان كان الرجل في قوله صادقا سيبت له من يقتله فتقطع عنك
القالة وان كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فخلعت له بما يحلفون به في
الجاهلية انه لكاذب فقال عتبة للفاكه يا هذا انك قد رميت ابنتي بأمر

عظيم فحافني الى بعض كهان الين نخرج عتبة في جماعة من بني عبدمناف
 وخرج فاكه في جماعة من بني مخزوم وأخرجوا معهم هنداً ونسوة معها
 فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على الكاهن فتغير لون هند فقال لها أبوها
 اني ارى ما بك فهلا كان هذا قبل خروجنا قالت لا والله يا أبتاه ما ذلك
 مكروه ولكن سنأتى بشراً يخطئ ويصيب فلا نأمن أن يسومنى مما يكون
 فيه سبة على باقى عمرى قال انى سوف أختبره قبل ان ينظر في أمرك
 فأخذ حبة من حنطة فأدخلها في احليل فرسه وأوكأ عليها بسير فلما
 دخلوا على الكاهن قال له عتبة ما كان منى في طريقى قال نمره في كمره قال
 أحتاج الى أمين من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال صدقت فما بال حال
 هؤلاء النسوة فجعل يدنو من احدها من فيضرب بمنكبها حتى أتى الى هند
 فضرب بمنكبها وقال انهضى غير رسحاء ولا فاحشة ولتدين ملكاً يقال له
 معاوية فوثب اليها الفاكه فأخذ بيدها فزرعت يدها من يده وقالت اليك
 عنى والله لأجهدن أن يكون ذلك من غيرك . فزوجه أبو سفيان بن حرب
 فجاءت بمعاوية * قيل وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعس بنفسه فسمع
 امرأة تقول

ألا سبيلٌ إلى خمرٍ فأشربها أم هل سبيلٌ إلى نصرٍ بن حجاج
 إلى فتى ماجدٍ الأخلاقِ ذى كرمٍ سهلٍ المحيّا كريمٍ غيرٍ ملجاجٍ
 فقال عمر أما ما دام عمر اماماً فلا . فلما أصبح قال على بن نصر بن الحجاج
 فأتى به فاذا هو رجل جميل فقال : اخرج من المدينة . قال : ولم وما ذنبى
 قال : اخرج فوالله ما تساكنى . فخرج حتى أتى البصرة وكتب الى عمر
 رضى الله عنه

لَعَمْرِي لَنْ سَيَّرْتَنِي وَحَرَمْتَنِي
وَمَا لِي ذَنْبٌ غَيْرَ ظَنِّ ظَنَنْتُهُ
وَإِنْ غَنَّتِ الذَّافِقَةُ يَوْمًا بِمُنِيَّةٍ
فَظُنُّ بِي الظَّنَّ الَّذِي لَوْ أَتَيْتُهُ
وَيَمْنَعُنِي مِمَّا تَمَنَّتْ حَفِظْتِي
وَيَمْنَعُهَا مِمَّا تَمَنَّتْ صَلَاتُهَا
فَهَذَا حَالًا نَافِلٌ أَنْتَ مُرْجَعِي
وَلَمْ آتِ اثْمًا إِنْ ذَا لِحَرَامٍ
وَبَعْضُ تَصَادِيقِ الظُّنُونِ إِنْ أُمُّ
فَبَعْضُ أُمَانِي النِّسَاءِ غَرَامٍ
لَمَّا كَانَ لِي فِي الصَّالِحِينَ مَقَامٍ
وَأَبَاهُ صِدْقٍ سَالِفُونَ كِرَامٍ
وَيَدٌ لَهَا فِي قَوْمِهَا وَصِيَامٍ
فَقَدْ جُبَّ مَنِي غَارِبٌ وَسَنَامٍ

قال فرده عمر بعد ذلك لما وصف من عفته * ويروى أيضاً أن عمر بن الخطاب

رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة اذ سمع امرأة تهتف وتقول
تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَأَسْوَدَ جَانِبُهُ وَأَرْقَنِي إِذْ لَا خَلِيلَ إِلَّا عِبُهُ
فَوَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ لَزُعْزَعٌ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ
وَلَكِنْ رَبِّي وَالْحَيَاءُ يَكْفُنِي وَأُكْرِمُ بَعْلِي أَنْ تُوْطَأَ مَرَاكِبُهُ

قال فرجع عمر الى منزله فسأل عن المرأة فاذا زوجها غائب فسأل ابنته حفصة
كم تصبر المرأة عن الرجل فسكتت واستحييت وأطرقت فقال أربعة أشهر
خمسة أشهر ستة أشهر فرفعت طرفها فعلم أنها لا تصبر أكثر من ستة أشهر
فكتب الى صاحب الجيش أن يقفل من الغزو الرجال اذا أتت ستة أشهر
الى أهاليهم * وغزا رجل من الانصار وله جار يهودي فأتى امرأته واستلقي
ذات ليلة على ظهره وأنشأ يقول

وَأَشَعَتْ غَرَّةُ الْإِسْلَامِ مَنِي
أُيُتْ عَلَى بُرَاتِينِهَا وَيُضْحِي
خَلَوْتُ بِعَرْسِهِ لَيْلَ التَّامِ
عَلَى جَرْدَاءٍ لِاحِقَةِ الْحِزَامِ

فسمع ذلك جاز له فضربه بالسيف حتى قطعه فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال أنشد الله رجلا كان عنده من هذا علم الا قام فقام الرجل فحده فقال : أحسنت أحسنت . وتمام الأبيات

كَأَنَّ بِجَامِعِ الرَّبَّالَاتِ مِنْهَا فَنَامَ قَدْ جُمِعْنَ إِلَى فَنَامَ

❦ ومنه أخبار الشعراء ❦ قيل لما خرج امرؤ القيس بن حجر الى قيصر ملك الروم ليسأله النصرة على بني أسد لقتلهم أباه حجر بن الحارث راسل بنت قيصر وأراد أن يخذلها عن نفسها وبلغ ذلك قيصر وأراد أن يقتله فتقدم من ذلك وأمر بقميص فغمس في السم وقل لامريء القيس البليس هذا القميص فاني أحبيت أن أوترك به على نفسي لحسنه وبهائه فعمل السم في جسمه وكثرت فيه القروح فمات منها فسمى ذا القروح وقد كان قيل لقيصر قبل ذلك انه مجاه فعندها يقول

ظَلَمْتُ لَهُ نَفْسِي بِأَنْ جِئْتُ رَاغِبًا إِلَيْهِ وَقَدْ سَيَّرْتُ فِيهِ الْقَوَافِيَا

فَإِنْ أَكُ مَظْلُومًا فَقَدْ مَآ ظَلَمْتُهُ وَبِالصَّاعِ يَجْزِي مِثْلَ مَا قَدْ جَزَانِيَا

قيل وكان النابغة يشب بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر وكانت أكمل أهل عصرها جمالا فباع ذلك النعمان فهم بقتل النابغة فهرب منه وسار حتى أتى الشام والملك بها جبلة بن الأيهم الغساني فنزل عليه وأقام عنده وكتب الى النعمان

حَلَفْتُ وَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

إِنَّ كُنْتُ قَدْ بُلِّغْتُ عَنِ خِيَانَةٍ لِمَبْلُوكِ الْوَاشِي أَغْشَاؤُا كَذَبُ

قيل وكانت امرأة شداد أبي عنزة ذكرت له أن عنزة أرادها عن نفسها فأخذه أبوه فضربه ضرب الناف فقامت المرأة فألقت نفسها عليه لما رأت

ما به من الجراحات وبكته وكان اسمها سمية فقال غنتره

أَمِنْ سُمِيَّةَ دَمْعِ الْعَيْنِ مَذْرُوفُ
لَوْ كَانَ ذَا مَنِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ
كَأَنَّهَا يَوْمَ صَدَّتْ مَا تُكَلِّمُنَا
ظِلِّي بِعُسْفَانَ سَاجِي الْعَيْنِ مَطْرُوفُ
قَامَتْ تُجَلِّلُنِي لَمَّا هَوِيَ قَبْلِي
كَأَنَّهَا صَنَمٌ يَعْتَادُ مَعْكُوفُ
الْمَالُ مَا لَكُمْ وَالْعَبْدُ عَبْدُكُمْ
فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِّي الْيَوْمَ مَصْرُوفُ

قيل ولما أنشد عبد بنى الحسحاس عمر بن الخطاب رضى الله عنه قصيدته
التي يقول فيها

تُوسِدُونِي كَفًّا وَتَمْضِي بِمَعْصَمٍ
عَلَى وَتَنْحُو رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِيَا
فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا
إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الْبُرْدُ بَالِيَا
وَهَبْتُ لَنَا رِيحُ الشَّمَالِ بِقُوَّةٍ
وَلَا بُرْدٌ إِلَّا دِرْعُهَا وَرِدَائِيَا
أَمِيلُ بِهَا مِيلَ الرَّدِيفِ وَاتَّقَى
بِهَا الرِّيحَ وَالشَّفَّانَ مِنْ عَنْ شَمَالِيَا
رَأَتْ قَبَّارَتًا وَاخْلَاقَ شَمْلَةٍ
وَأَسْوَدَ مِمَّا يَلْبَسُ النَّاسُ عَارِيَا
تَجْمَعُنْ شَيْءَ مِنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٍ
وَوَاحِدَةٍ حَتَّى كَمَلَنْ ثَمَانِيَا
سُلَيْمَى وَسَامَى وَالرَّابَّابُ وَتَرْبُهَا
وَأَرْزَوَى وَرِيًّا وَالْمُنَى وَقَطَامِيَا
وَأَقْبَلَنْ مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ يُعَذِّنِي
أَلَا إِنَّمَا بَعْضُ الْعَوَائِدِ دَائِيَا

قال عمر رضى الله عنه أنت مقتول فلما قال

وَلَقَدْ تَحَدَّرَ مِنْ كَرِيمَةٍ مَعْشَرٍ
عَرَقَ عَلَى مَتَنِ الْفِرَاشِ وَطِيبِ
وَجَدُوهُ شَارِبًا ثَمَلًا فَعَرَضُوا عَلَيْهِ نِسْوَةً حَتَّى مَرَّتْ بِهِ الَّتِي يَطْلُبُهَا فَأَهْوَى
إِلَيْهَا فَفَقَتَلُوهُ

﴿ مساوي شدة الغيرة والعقوبة عليها ﴾

حكى عن سليمان بن عبد الملك أنه كان في بعض أسفاره فسمير معه قوم فلما تفرقوا عنه دعا بوضوء فجاءت به جارية فينأى هي تصب الماء على يده اذ استمدها وأشار اليها مرتين أو ثلاثاً فلم تصب عليه فأكر ذلك ورفع رأسه فإذا هي مصغية بسمعها مائلة بجسدها الى صوت غناء من ناحية العسكر فأمرها فتتجست فسمع الصوت فإذا رجل يغنى فأنصت له حتى فهم مغنى فدعا بجارية غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس فأجرى ذكر الغناء فلم يزل يخوض فيه حتى ظن القوم أنه يشتهي فأفوضوا فيه وذكروا ما جاء في الغناء والتسهيل لمن سمعه وذكروا من كان يسمعه من سرورات الناس فقال هل بقي أحد يسمع منه فقال رجل من القوم عندي رجلان من أهل الابلية محكمان ذل فأين منزلت من العسكر فأومأ الى ناحية الغناء فقال سليمان ابعت اليهما ففعل فوجد الرسول أحدها وأقبل به وكان اسمه سمير فسأله عن الغناء وكيف هو فيه قال محكم قال متى عهدك به قال البارحة قال وفي أى النواحي كنت فذكر الناحية التي سمع منها الصوت قال وما اسم صاحبك قال سنان قال فأقبل سليمان على القوم فقال هدير الفجل فضيعت الناقة وابل التيس فشكرت الشاة وهديل الحمام فزافت الحمامة وغنى الرجل فطربت المرأة ثم امر به نخصى وسأل عن الغناء ابن أصالة قالوا بالمدينة وهم الخمشون فكاتب الى عامله ان اخص من قبلك من الخمشين . وحدث الأصمعي ان الشعر الذي سمعه سليمان يتغنى به هو

مَحْجُوبَةٌ سَمِعْتُ صَوْتِي فَأَرْقُبُهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَمَّا بَلَغَ السَّحَرُ

تُذْنِي عَلَى الْخَدِّ مِنْهَا مِنْ مُعْصِفَةٍ وَالْحَلَى بَادٍ عَلَى لَبَّائِهَا خَصِرُ
 فِي لَيْلَةِ الْبَدْرِ مَا يَذْرِي مُضَاجِعُهَا أَوْجُهَا عِنْدَهُ وَأَنْهَى أُمَ الْقَمَرُ
 لَمْ يَمْنَعِ الصَّوْتُ أَبْوَابَ وَلَا حَرَسَ فَدَمَعُهَا لَطْرُوقُ اللَّحْنِ يَنْحَدِرُ
 لَوْ تَسْتَطِيعُ مَشَتْ نَحْوِي عَلَى قَدَمِ تَكَادُ مِنْ رِقَّةٍ فِي الْمَشَى تَنْفَطِرُ

ثم دخل سليمان مضرب الخدم فوجد جارية على هذه الصفة قاعدة تبكي فوجه الى سنان فأحضره ووجهت الجارية رسولا الى سنان يحذره وجعلت للرسول عشرة آلاف درهم ان سبق رسول سليمان فلما حضر أنشأ يقول
 اسْبِغْنِي إِلَى الصَّبَاحِ اعْتَذِرْ إِنَّ لِسَانِي بِالشَّرَابِ مُنْكَسِرُ
 فَأَرْسَلِ الْمَعْرُوفَ فِي قَوْمِ نَكَرُ

فأمر به نخسى وكان بعد ذلك يسمى الخصى . وعن علي بن يقطين قال كنت عند موسى الهادي ذات ليلة مع جماعة من أصحابه إذ أتاه خادم فسارّه بشيء فنهض سريعا . فقال لا تبرحوا فبقي فأبطأ ثم جاء وهو يتنفس ساعة حتى استراح ومعه خادم يحمل طبقا مغطى بتنديل فقام بين يديه فأقبل يرعد وعجبنا من ذلك ثم جالس وقال للخادم ضع مامعك فوضع الطبق وقال ارفع التنديل فرفعه فذا على الطبق رأسا جريتين لم أر والله أحسن من وجهيهما قط ولا من شعورهما فاذا على رأسيهما الجهر من منظوم على الشعر واذا رائحة طيبة تفوح فأعظمنا ذلك فقال أتدرون ما شأنهما قلنا لا قال بلغني انهما تحابا فوكلت هذا الخادم بهما لينهى الى أخبارهما فجاءني وأخبرني انهما قد اجتمعتا فجلست فوجدتهما كذلك في لحاف فقتلتهما ثم قال يا غلام ارفع ورجع في حديثه كأنه لم يصنع شيئا . وحدثنا ابراهيم بن

اسماعيل عن ابن القدّاح قال : كانت للربيع جارية يقال لها أمة العزيز فأهداها للمهدي فلما رأى حسنّها وجمالها وهياتها . قال : هذه لموسى أصلح فوهبها له فكانت أحب الخلق اليه وولدت له بنيه الأ كابر ثم ان بعض أعداء الربيع قال لموسى انه سمع الربيع يقول . ما وضعت بيني وبين الأرض مثل أمة العزيز فغار موسى فدعا الربيع فتغدى معه وناوله كأسا فيه شراب فقال الربيع فعلمت أن نفسي فيها واني ان رددتها من يدي ضرب عني فشربتها وانصرفت فجمع ولده وقال اني ميت فقال الفضل ابنه ولم تقول ذلك جعلت فداك قال ان موسى سقاني شربة فأنا أجد عملها في بدني ثم أوصى بماله وامت في يومه . قيل وطرب الرشيد الى الغناء فخرج متمكرا ومعه خادمه مسرور حتى انتهى الى باب اسحاق بن ابراهيم النوصلي فقال يا مسرور إقرع الباب فخرج اسحاق فلما رأى الرشيد انكب على وجهه فقبلها ثم قال ان رأى أمير المؤمنين ان يدخل منزل عبده فنزل الرشيد فدخل فرأى أثر الدعوة فقال يا اسحاق اني أرى موضع الشرب من كان عندك قال ما كان عندي يا أمير المؤمنين سوى جاريتي كنت أمارحهما قل فهما حاضرتان قال نعم قال فأحضرهما فدعا الجاريتين فخرجتا مع احدهما عود حتى جلسنا فأمر الرشيد صاحبة العود ان تغنى فغنت

بني الحب على الجور فلو أنصف المعشوق فيه لسمج

ليس يستحسن في وصف الهوى عاشق يكثر تأليف الحُجج

فقليل الحب صرفاً خالصاً هو خير من كثير قد مزج

فقال الرشيد يا اسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لاعلم لي به يا أمير المؤمنين

فنكس رأسه ساعة ينكت في الأرض ثم رفع رأسه وأخذ العود من حجر
هذه فوضعه في حجر الأخرى ثم قال لها غنى فغنت

إِنْ يُنْسِ حَبْلُكَ بَعْدَ طَوْلِ تَوَاصُلٍ خَلَقًا وَأَصْبَحَ يَتَكُمُّ مَهْجُورًا
فَلَقَدْ أَرَانِي وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلَى زَمَنًا بَوَصْلِكَ رَاضِيًا مَسْرُورًا
كَذَتِ الْهُوَى وَاعَزَّ مَنْ وَطَى الْحَصَى عِنْدِي وَكَذَتُ بِذَاكَ مِنْكَ جَدِيرًا

فقال يا اسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لاعلم لي ياسيدي فرد المسألة على
الجارية فقالت لستي قل ومن ستك قالت عليه أخت أمير المؤمنين فنكس
رأسه ساعة ثم وثب وقال لمسرور خذمه امض بنا الى منزل عليه فلما وقف
بالباب قال استأذن يا مسرور فخرجت جارية فلما رأت الخليفة رجعت تبادر
تعلم ستمها فخرجت تستقبله وتقديه فقال يا عالية هل عندك مانأ كل قالت نعم
ياسيدي قل وما نشرب قالت نعم فدخل وجلس فقدمت اليه الطعام فأكل
حاراً وبارداً ورطباً ويابساً ثم رفع الطعام ووضع الشراب والطيب وأنواع
الرياحين ودعت جواربها وكان عندها ثلاثون جارية يغنين فألبستهن أنواع
التياب وصفتهن في الايوان وتناول الرشيد الشراب فأمر الجواري يغنين
ثم سقى أخته حتى أخذ الشراب منها واحمرت وجنتاها وفترت أجفانها
وكانت من أجل النساء فضرب الرشيد الى حجر بعض الجواري في أخذ
العود وقال يا عالية بحياتي غنى

• بُنِيَ الْحُبُّ عَلَى الْجَوْرِ فَلَوْ •

فعلمت انها داهية فبكت فصاح الرشيد فخرج الجواري وبقى هو وهى فدفعها
وأخذ وسادة فجعلها على وجهها وجلس عليها فاضطربت اضطراباً شديداً

ثم بردت فنحى الوسادة عنها وقد قضت نحبها فخرج وقال للخادم اذا كان غدا فادخل وعزني وركب متوجها الى قصره فلما كان الغد عزاه مسرور فبكى فقال .

قبرٌ عزيزٌ علينا لو أن من فيه يُقذى
أسكنتُ قُرّةَ عيني ومُهجة النفس أحدا
ما إن أرى لى عليها من التوجع بُدا

ومنه ما حكى عن البهائم قال شيخ من بني قشير كنا في نجاج فامتنع فرس من حجرة فشددنا عينه فنزا عليها فاما فرغ فتحنا العصاة فرأى البجيرة وكانت أمه فعمد الى ذكره بأسنانه فقطعه . ومعه في خفة الغيرة قال سامان ابن داود الهاشمي لابنه لا تكثر الغيرة على أهلك فتدعى بالشكر من أجلك وان كانت بريئة ولا تكثر الضحك فيستخفك فؤادك جل الخبايا وعاليك بخشية الله فانها غلبت كل شيء . وقال عبد الله بن جعفر لابنته أياك والغيرة فانها مفتاح العلقا وأياك وكثرة العتب فانه يورث البغضاء وعليك بالسكحل فانه أزين الزينة وأطيب الطيب الماء . قيل وكان كسرى ابرويزيته شق امرأة رجل كان من مرارزته يقال له البارجان وكانت تأتبه سرا فبلغ ذروجهاد ذلك فأمسك عن امرأته واجتنبها ودخل الى كسرى ذات يوم فقال له كسرى بلغنى ان لك عين ماء عذبة واني قد اجتنبتها فلا تقربها . ففطن فقال له أياها الملك بلغنى ان الأسد يتاب تلك العين فاجتنبتها فخوف منه فأعجب كسرى بمقالته وأمر ان يتخذ له تاج لاقيمة له ثم دخل كسرى دار نسائه فقاسمهن نصف حلين فاجتمع من الجوهر ما لا يحصى فبعث به الى امرأة

البارجان بالقادسية ووقع ذلك الجوهر الى السائب بن الأقرع وكان على
المقسم فباعه وجعل للمسلمين بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقال
بعضهم كنت أغار على امرأتي فأشرفت على يومنا وأنا مع جارية لي فلقيت
منها أذى حتى حلفت أن أبيع الجارية فخرجت أريد شراء حوانج لي ومي
الجارية فأتيت دكان خلال لشراء الخلل فوجدته خاليا فقلت له يا هذا تأذن
لي في ملامسة جاريتي هذه في دكانك فاني أريد بيعها قال نعم جعلت فداك
ادخل حيث شئت فدخلت فأصبت من الجارية فلما خرجت اذا خلال
قد كمن ناحية وهو في قميص قد أنعظ فقال فرغت قلت نعم قال بسم الله
أناذن لي جعلت فداك قلت ويليك ما تريد قال أقضي وطري منها قلت يا ابن
الفاعة حرمتي قال لا يضرك شيئا فاني أسرع ثم وثب كأنه السبع فضاربه
حتى تخلصت الجارية بعد كل جهد . قال ودخل رجل من بنى زهرة من
أهل المدينة على قينة فسمع غناءها عند مولاها فخرج مولاها في حاجة ثم
رجع فإذا جاريته على بطن الزهري فقامت مذعورة فقعدت تبكي فقال
ما يبكيك قلت لأنك لا تقبل لأجله عذرا قال يا زانية لو رأيتك على قفاك
قلت صريع مغلوب ولو رأيتك على وجهك لقلت وعاء مكبوب انما رأيتك
فارسا مصلوبا . وحكى عن ثمامة أنه قال للمهدي ان النساء شققن شقا وان
هشيمة نقيت نقبا وكانت هشيمة امرأة ثمامة فسأله المهدي أن ينزل عنها
ففعل وأقام المهدي حتى انقضت عدتها ثم تزوجها وبني بها ثم طلقها وخرج
الى بيت المقدس فلما انقضت عدتها راجعها زوجها وقال أبو طاهر أنشدني
بعض الشعراء يهجو بنى القعقاع

إلى القعقاع أكرمكم لئيم وأعظمُ مجدكم ركبٌ حليقُ

وَأَنْتُمْ فِي نِسَائِكُمْ اتَّسَاعٌ وَفِي أَخْلَاقِكُمْ نَكَدٌ وَضِيقٌ

وعن عبد الله بن ياسين قال كان في المهدي غزل وشدة حب للخلوة بالنساء فبلغه عن ابنة لابي عبد الله كاتبه جمال فقال للخيزران استزيريها فزارتها وجاءت اليها فقالت لها هل لك في الحمام قالت نعم فلما دخلت الحمام وافاها المهدي فبرزت له ولم تستر عنه فقال لها المهدي انا وليك فزوجيني نفسك فقالت انا أمتك فتزوجها ونال منها فلما انصرفت أخبرت اخوتها بما كان فقالوا أمسكي عنه فلما كان بعد مدة قالوا لها استزيري الخيزران فاستزارتها فلما صارت اليها قالت هل لك في الحمام قالت نعم فلما دخلنا معاً ما شعرت الخيزران الا بيني أبي عبيد الله قد عمدوا عايلها فاستترت عنهم فقالوا لو أردنا ان نفعل كما فعلتم بحرمتنا لفعلنا ولكننا لا نستحل فقالت لهم والله لو رمتهم ذلك لأمرت الخدم بقتلكم . فانصرفوا فلما رجعت الخيزران أخبرت المهدي بذلك فكان السبب في قتل المهدي محمد بن أبي عبيد الله على الزندقة وبلغه أيضاً عن عون بنت أبي عون جمال وهيئة فقال للخيزران استزيريها فاستزارتها فقالت لها الخيزران هل لك في الحمام قالت نعم فلما دخلنا ما شعرت الا بالمهدي قد وافاها فاستترت بالخيزران وقالت والله لئن دنوت مني لأضربن بالكرب وبجهمك فقال ويلك انما أردت أن أتزوجك قالت لا سبيل الى ذلك . فانصرف عنها . فأخبرت أباها فقال أحسنت في فعلك

﴿ محاسن القيادة ﴾

الحسن الجرجاني قال حدثني سهم بن عبد الحميد الحنفي قال خرجت من الكوفة أريد بغداد فلما نزلت بسط غلماننا وهيؤا غداءنا فاذا نحن

برجل حسن الوجه والهبة على برذون فاره فصحت بالغلمان فأخذوا دابته
 فدعوت بالغداة فبسط يده غير محتشم وما أكرمه بشيء الا قبله وكنا
 كذلك اذ جاء غلمان به بقل كثير وهيئة جميلة فتناصبنا فاذا هو طريح بن
 اسماعيل الثقفي فارتحلنا في قافلة منا لا يدرك طرفاها فقال طريح ما حاجتنا الى
 هذا الزحام وليست بنا اليهم وحشة ولا علينا خوف فاذا خلونا بالخانات
 والطرق كان أرواح لأبداننا قات ذلك اليك فزلنا من الغد الخان وتغدنا
 والى جانبنا نهر ظليل بالشجر فقال هل لك أن تستنقع فيه فمررنا اليه فلما
 نزع ثيابه اذا بين جنبيه آثار ضرب كثير فوقع في نفسي منه شر فظنرالي
 ففطن وتبسم وقال قد رأينا ذعرك بما ترى وحديث ذلك يجري اذا سرنا
 بالعشية فلما سرنا قلت له الحديث قال نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد
 بالغنى واليسار وكتب الى يوسف بن عمر فلما أتته ملأ يدي خيرا فخرجت
 مبادرا الى الطائف فلما امتد بي الطريق وليس يصحبنى فيه أحد عنى الى
 أعرابي على قعود له فحدث أحسن الحديث وروي الشعر فاذا هو راوية
 فانشد فاذا هو شاعر فقلت من أين أقبلت قال لا أدري قات وما القصة قال
 أنا عاشق لامرأة قد أفست على عيشي وقد حذرني أهلها وجفاني لها
 أهلى وانما استريح بأن انحدر الى الطريق مع منحدر واصعد مع مصعد
 قلت فأين هي قال تنزل غدا بازائها فلما نزلنا ارانى طريقاً عن يسار الطريق
 فقال تري ذلك الطريق فقامت اراءه قال فترى الخيم التي هناك قلت نعم قال
 فانها فى الخيمة الحمراء فأدركتنى اريحية الحدث فقامت والله انى آتيا برسالتك
 فضيت حتى انتهيت الى الخيم فاذا امرأة ظريفة جميلة كأنها ماهرة عربية
 فذكرته لها فزفرت زفرة كادت تمتقض أضلاعها قالت أو حي هو قلت نعم

تركته في رحلي وراء هذا الطريق قالت بأبي أنت وأمي أري لك وجهها
 حسناً يدل على الخير فهل لك في أمر قلت نعم فقير اليه قالت البس ثيابي
 فأقم مكاني ودعني حتى آتية وذلك عند مغربان الشمس فانك اذا أظلم
 الليل اتاك زوجي فقال لك يا فاجرة ويا هنة ابنة الهنة فيوسعك شتماً فوسعه
 صمتاً ثم يقول في آخر كلامه إقمي سقاءك يا عدوة الله فضع القمع في هذا
 السقاء واياك وهذا السقاء الآخر فانه وام قلت نعم فأجهتها الى ما سألت
 فجاء الزوج على ما وصفت وقال إقمي سقاءك فخيرني الله أن تركت الصحيح
 وقعت الواهي فما شعر إلا باللين يتسبب بين رجليه فعدا الى كسر الخيمة
 وحل متاعه وتناول رشاء من قد مدبوغ ثم شناه بئتين فجعل لا يتقي رأساً
 ولا وجهها ولا رجلاً حتى خشيت ان يبدوله وجهي فتكون الاخرى
 فألزمت وجهي الارض فعمل بظهري ما ترى فلما تغيب عني جاءت امرأة
 باكية فرأت مابي من الشر واعتذرت وأخذت ثيابي وانصرفت . قال
 وحدث بهذا الحديث محمد بن صالح بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب
 صلوات الله عليه بسر من رأى سنة اربعين ومائتين وكان حمل من البادية
 الى المتوكل فأطلقه وكان اعرابياً فصيحاً فمجب منه وكان حسن الوجه نجيباً
 قل ما رايت في الفتيان مثله . قال كان منافقاً يقال له الاشتر بن عبد الله وكان
 سيد بني هلال واحسنهم وجهاً واسخاهم كفاً وكان معجباً بجارية يقال لها
 جيداء بارعة الجمال فلما اشتهر امرها وظهر خيرها وقع الشر بين اهل بيتيها
 حتى قتل بينهما القتلى فافترقوا فريقين فلما طال على الاشتر البلاء جاءني يوماً وقال
 يا عمير هل فيك خير قلت عندي ما احببت قال تساعدني على زيارة جيداء
 قلت بالحب والكرامة فانها اذا شئت قال فركبنا وسرنا يوماً وليلة والغداة

حتى المساء فنظرنا الى اذني سرب لهم فأنخنا رواحلنا في شعب وقعدنا هناك
وقال يانمير اذهب وانشد واذكر لمن يلقاك انك طالب ضالة ولا تعرض
بذكري بشفة ولا لسان الى ان تلقي جاريتها فلانة راعية الضأن فتقرئها مني
السلام وتسألها عن الخبر وتعلمها بمكاني . قال فخرجت لأتعدى ما أمرني به
حتى لقيت الجارية فأبلغتها الرسالة وأعلمتها بمكانه وسألتها عن الخبر فقالت
هي مشدد عليها محتفظ بها وعلى ذلك فمعد كما عند الشجرات اللواتي عند
أعقاب البيوت مع صلاة العشاء فانصرفت فأخبرتني ثم قدنا رواحلنا حتى آتينا
الموعد في الوقت الذي وعدتنا فيه فلم نلبث الا قليلا حتى اذا جدد تمشي
فدنت منا فوثب اليها الاشر فتصاخا وسلم عليها ووثبت موليا عنهما فقالا اقسمننا
عليك الا رجعت فوالله ما ينننا من ريبة ولا قبيح نخلو به دونك فانصرفت
اليهما وجلست معهما فقال الاشر ما فيك حيلة يا جيداء فتزود منك الليلة
قالت لا والله ما لي ذلك سبيل الا ان ارجع الى الذي تعلم من البلاء والشر
فقال لا بد من ذلك ولو وقعت السماء على الارض قالت فهل بصاحبك خير قالت
بلى وهل الخير الا عندي فاسألني ما بدا لك فاني منته اليه ولو كان في ذلك
كله ذهاب نفسي فألبستني ثيابها وأخذت ثيابي ثم قلت اذهب الى خباتي
فدخل في سري فان زوجي يأتنيك مع العتمة فيطلب منك القدح ليحلب
فيه فلا تعطه من يدك فكذلك كنت أفعل فيحلب ثم يأتنيك بالقدح
ملا لنا فيقول هاك فلا تأخذه منه حتي يطيل عليك نكدك ثم خذه
أو ذره حتى يضعه ثم يستبد بردائه ولست تراه حتى يصبح فذهبت ففعلت
ما أمرتني به حتي جاء بالقدح فيه اللبن فاطمت نكدي عليه ثم أهويت
لأخذه فاختلفت يدي ويده وانكفأ القدح فندفق منه اللبن فقال ان

هذا لطماح مفرط وضرب يده الى جانب الخباء فاستخرج سوطاً فضرني بمقدار ثلاثين سوطاً حتي جاءت أمه وأخواته فانتزعوني منه ولا والله ما فعلوا ذلك حتي زايالتني روحي وهممت أن أوجره بالسكين فلما خرجوا عني وهو معهم قعدت كما كتب الله فالبنت ان جاءت ام جيداء . فخذتني وهي تحسبني ابنتها فألقينها بالسكوت وتغطيت بشوي دونها فقالت يا بنية اتقي الله ولا تعرضي للمكروه من زوجك فذلك أولى بك ثم خرجت من عندي فقالت سأرسل اليك اخنك توءنسك وتبيت الليلة عندك فلم ألبث ان جاءت الجارية تبكي وتدعو على من ضرني وأنا لا أكلمها ثم اضطجعت الى جانبي فلما استمكننت منها شددت بدى على فمها وقالت يا هذه تلك أختك مع الاشر وقد قطع ظهري بسببها وأنت أولى من ستر عليها فاختاري لنفسك ولها فوائده لئن تكلمت لتكونن فضيحة شامدة ثم رفعت بدى عن فيها فاهتزت مثل القصبه من الزوع ودمت معي ولبثت منها الشهوة التامة ورافقتني اصالح رفيق رافقتة ولم أذق شيئاً الا لما ذقت منها قط فلم أزل نتحدث واضحك مني ومما بليت به حتى برق النور وحيات جيداء فلما رأنا ارتفعت وقالت من هذا عندك قلت أختك قالت وما السبب قالت هي تخبرك فانها مائة به وأخذت ثيابي وأتيت صاحبي فأخبرته بما أصابني وكشفت له عن ظهري فإذا فيه ما الله به عليم فقال لقد عظممت منتك عندي ووجب شكرك وخالطرت بنفسك فلا أحرمني الله مكافؤتك .. وعن رجل من بني عامر انه خرج وهو غلام مابقل وجهه وكان ذا جمال وهيئة صاحب غزل فهجم على قوم يتحملون وقد شدوا أنفاهم وبرزوا واذا امرأة جميلة قد تخلفت على جل لها لاصلاح شأنها قال فوقفت عليها فإذا هي أحسن خلق الله وجهها وأغزله وأملحه فتلاقينا

كلاما غير كثير فقالت : أسألك شيئا فهل لك به علم . قلت سلي . فقالت
 أيهما أحسن جردة الرجل أم المرأة . قلت الرجل . قالت بل المرأة فان
 أحببت ان تعلم ذلك علمته . قلت وكيف أعلمه . قالت أتجرّد لك من ثيابي
 وأرميها عني ثم أمشي حتى أبلغ الأكمة ثم أقبل حتى آتيك فتعطيني عهد
 الله وميثاقه لتفعلن كما فعلت . فقلت لك عهد الله ان فعلت لأفعلنه . قال
 فألقت ثيابها عن أحسن ما نظرت اليه قط بيضا ونظافة وحسنا فلما انتهت
 اليّ قلت الوفاء . قلت الوفاء ونعمة عين خلعت ثيابي وأنا كأهبي الفتيان
 وأهبيهم حتى مضيت بعد الغاية فلما انتصف بي المدى سمعت خرخرة جملي
 فاذا هي قد جالت على ظهره لابسة ثيابي متسكة قوسي قد لزمت المحجة
 فناديتها فلم تعرج على ولبست ثيابها وتحمّرت بخمارها وركبت بعيرها وزجرته
 فانبعث بي أثر الحى وأخذت شق الوحشي حتى ما أراها وجعلت أكف
 عن الجمل إذ خشيت أن ألقى الظعن حتى رأوني من بعيد وجعلوا ينادون
 ويحك أقبل وأنا صامت لا أتكلم ولا أتقدم فلما طال عليهم أسري بعنوا
 بحارية لهم مولدة فقبلت نعدو حتى أتتني ونشطت خطام الجمل من يدي
 وأنا متبرقع أحسن الناس وجهها وعينا فنظرت الجارية في وجهي ساعة ثم
 قالت لقد أمسيت حديدة الطرف وقادت الجمل حتى أنت الحى فقالت أم
 الجارية يا بنية لقد استحييت من الناس مما دعوتك العشبة ثم تأملت ونظرت
 وسائر النساء وقلت احدها من والله انه لرجل وفطن وأنزلتني العجوز
 وأدخلتني السر وقالت : من أنت لا أفاحت . قالت بل ابنتك لا أفلحت
 ولا أنجحت وقصصت عليها قصتها . فقالت نشدتك الله الا أعرتني نفسك
 هزيعا من الليل فانا كنا على أن نبنى بابني صاحبة الجمل الليلة وما في الحى

رجل غير زوجها وهو انسان فيه لؤثة ولا بد من أن أدخلك عليه فالك
غلام أمرد فلا ينكرك ولا أراهم اقوى منك ان اعتركتما فلك عندي يد
بيضاء وأقبات وأخت لابنتها وخالتها فألبسنى ثوب العروس وطيبننى ثم
دلفن بي نحو الرجل بعيد العتمة وقالت أمها . أنا لك الفداء تجلد ساعة
بالامتناع فانه منصرف عنك وستأتيك الكافرة فأدخاتنى على مثل الاسد
الا أن به لؤثة كما قالت فاعتركتنا حتى أعيا وكف عنى وطال بي الليل حتى
سمعت خرخرة جلي فلم البث الا هنيهة حتى جاءت أمها وخالتها وهي معهما
فجعلها مكاني وفتشت عن سرها فإذا هي قد ظلت مع انسان كانت تهواه
وأوتيت ثيابي فهضت مبادرا لألوي على شيء حذرا لما لقيت . قيل ومالك
النعمان بن المنذر اربعين سنة فلم تر منه سقطة غير هذه : وهو انه ركب
يوما فبصر بحارية قد خرجت من الكنيسة فأعجبته بجمالها فدنا بعدي
ابن زيد وكان نديمه ووزيره فقال له يا عدي لقد رايت جدية لئن لم اضفر بها
انه الموت ولا بد من ان اتلطف او تتلطف لي حتى تجمع بيني وبينها . قال
ومن هي . قال سألت عنها فقبل هي امرأة حكم بن عمرو رجل من اشرف
الحيرة . قال فهل اعامت احدا . قال لا . قل فاكتمه فإذا أصبحت فجدد
للعكم كرامة وبرا فلما اذن للناس بدأ به فاجلسه معه على سريره وكساه
فاستعظم الناس ذلك فلما أصبح بدأ ايضا بالأذن له وجملة فانكر الناس ذلك
فقالوا : ما هذا الا أمر فصنع به ذلك اياما ثم قال له عدي : أيها الملك
عندك عشر نسوة فطاق احداهن ثم قل له فليزوجها ففعل فلما دخل
عليه قال : يا حكم ما كانت نفسى تسمح بهذا لولد ولا لوالد فزوج فلانة فقد
طلقتها . فخرج حكم الى عدي فقال : يا أبا عويمر ما صنع الملك بأحد ما صنع

بي وما أدري بما أكفئه . قال له عدي : طلق امرأتك كما طلق لك
امراته . ففعل وحظى بها عدي عنده وعلم حكم انه قد مكر به في امراته
وفيه بقول الشاعر

ما في البرية من انثى تعاديا إلا الذي أخذ الثمن من حكم

وحدث الفضل بن العباس عن الزبير بن بكار عن محمد بن بشير الخارجي
قال : قدم علينا رجلان من اهل المدينة يصيدان ومعهما نسوة والفساطيط
مضروبة وكان سليمان بن عبد الله الاسامي وابن اخيه مقيمين بناحية الروحاء
فارسل النسوة الى سليمان وابن اخيه اما لكما حاجة في الحديث فرد
الرسول ان يكن لنا فيه حاجة فكيف لنا بذلك مع ازواجكن فقلن انما
خرج ازواجنا للصيد وقد بلغنا ان لكم صاحباً يعرف من طلب الصيد
ملا يعرفه غيره فلو طرح لهم شيئاً من ذكره لاسرعوا اليه وتحافتم وتحدثتم
ما شئتم يعنيين به محمد بن بشير فمضى اليه سليمان وابن اخيه فقالا : يا أبا محمد
ارسل الينا النسوة بكنا وكنا وسألوني ان اخرجك الى الصيد فقلت لا والله
لا افعل ولا أتعب ولا انصب واتم تلهون وتحدثون انا لداشد جبا
واكثر صبابة وشوقاً فرسلا الى النسوة بمنالتي فرسلن الى رسولنا وعاهدتنني
لئن اخرجتهم ليحتملن لي حتى اخلو معهن ليلة حتى الصباح فصرت الهم
وذكرت لهم الصيد فخرجوا معي فما زلت احدثهم بالصدق حتى اخذت
في الكذب مما يضارع الصدق حتى أفيتته فاقت معهم ثلاثة أيام ولياليها ثم
انصرفوا من غير ما ناصطدنا شيئاً فقلت

إني انطلقتُ معي قومٌ ذَوُّوْ حَسْبٍ ما في خلائقهم زَهُوٌ ولا حَمَقُ
إني لأعجبُ منهم كيف اخذتهمُ أم كيف آفكُ قومًا ما بهم رَهَقُ

أَظَلُّ فِي الْأَرْضِ إِلَيْهِمْ وَأُخْبِرُهُمْ أَخْبَارَ قَوْمٍ وَمَا كَانُوا وَلَا خُلِقُوا
 وَلَوْ صَدَقْتُ لَقُلْتُ الْقَوْمُ قَدْ دَخَلُوا حِينَ انْطَلَقْنَا وَإِنِّي سَاعَةً انْطَلَقُوا
 فَلَوْ أَجَاهِدُ مَا جَاهَدْتُ دُونَكُمْ فِي الْمُشْرِكِينَ لَا ذَرَكْتُ الْأُولَى سَبَقُوا
 إِنْ كُنْتُ أَبَدُ أُجَارَى مِنْ حَلَاثَتِكُمْ وَالذَّهْرُ ذُو عَنَفٍ أَيَّامُهُ طُرُقُ
 فَإِنْ كُلُّ جَدِيدٍ عَائِدٌ خَلَقًا فَلَنْ يَعُودَ جَدِيدًا ذَلِكَ الْخَلْقُ

قال فضنفر اصحابي بالحديث والمغازلة وأنا بالجهد والحيية مع اتم القيادة والتعب
 وكذب المحادثة . وحدثنا وهب بن سليمان عن عمه الحسن بن وهب قال
 خرج محمد بن عبد الملك الزيات من عند الواق ومزيد بن محمد بن أبي
 الفرج الهاروني وكيل عبد الله بن طاهر فاذا بجارية حسناء في منظره لها
 فلما بصرت به ورأت موكبه وكان جميلا ظريفا أو مات اليه بالسلام أو مات
 بيدها الى صدرها فأعجب بها فلما صار الى منزله دخلت اليه فرأيتة بخلاف
 ما عهدت وكان لا يكتمني شيئا فقلت مالي أراك مدانها يا أبا الحسن قل رأيت
 شيئا أنا فيه مفكر ثم أنشأ يقول

وبأي مخضب أومى إلينا يده
 أومى بها بخبري راحته في كبده
 إن القني في جسدي يخبرني عن جسده
 فليس للحاسد إلا خصلة من حسده

ثم شرح لي القصة ثم انصرف من عنده ووافيت مولى الجارية فسألته أن
 يبيعها فقال اشتريتها للامير عبد الله بن طاهر وليس الي بيعها من سبيل فلم
 أزل به حتي اشتريتها بخمسين ألف درهم ووجهت بها اليه وكتبت اليه

هَذَا مُحِبُّكَ مَطْوِيٌّ عَلَى كَمَدِهِ عُبْرَى مَدَامَعُهُ تَجْرِي عَلَى جَسَدِهِ
لَهُ يَدٌ تَسْأَلُ الرَّحْمَنَ رَاحَتَهَا مَمَّا بِهِ وَيَدُهُ أُخْرَى عَلَى كَبَدِهِ

فقبلها وحسن موقعها عنده فولاني خراج ديار ربيعة فأصبت ألف ألف درهم . قال السجستاني : أرق الرشيد ذات ليلة فوجه الى عبد الملك الأصمعي والى الحسين الخليع فأحضرهما وشكا اليهما مدافعة نومه وشدة ارقه وقال لهما علاني بأحاديثكما وابدأ أنت يا حسين . قال نعم يا أمير المؤمنين خرجت في بعض السنين منحدرا الى البصرة وممتدحالا لسلیمان فقصدت محمد بن سليمان بقصيديتي قبلها وأمرني بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المبالغة طريقى فأصابني حر وعطش فدنوت من باب دار كبير لاستقي فاذا أنا بحارية أحسن ما يكون كأنها قضيب يتثنى وسناء العينين زجاء الحاجبين مهفهفه الخصر حاسرة الرأس مفتوحة الجربان عليها قميص لاذ جلتارى ورداء عدي قد علت شدة بياض بدنهما حمرة قميصاتلألا من تحت القميص بشديين كرمنتين وبطن كطى القباطى وعكن مثل القراطيس لها حمة جعدة بالمسك محشوة وهي يا أمير المؤمنين متقلدة خرزا من ذهب والجوهر يزهر بين ترائبها وعلى صحن جبينها طرة كالسبح وحاجبان مقرونان وعينان كحلوان وخدان أسيلان وانف أفتى تحته ثغر كاللؤلؤ واسنان كالدرود غلب جربانها سواد المسك والغالية ودابر العود الهندي على لبها عبق الخلق وهي والهة حبرى واقفة في الدهليز وجائية تخطر في مشيتها قد خالط صرير نعلها أصوات خلخالها كأنها تخطر على أكباد محبيها فهي كما قال الافوه الاودى ليسَ منها ما يقالُ لها كَمَلْتُ لو أنَّ ذا كَمَلَا

كُلُّ جُزْءٍ مِنْ مَحَاسِنِهَا كَأَنَّ مِنْ حُسْنِهَا مِثْلًا
لَوْ تَمَنَّتْ فِي بَرَاعَتِهَا لَمْ تَجِدْ فِي حُسْنِهَا بَدَلًا

فهيتهما والله يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لاسم عايتها فإذا الدار والدهايز
والشارع قد عبت بالمسك فسلمت عايتها فردت السلام بلسان منكسر وقاب
حزين محرق فقلت لها : ياسيدي اني شيخ غريب أصابني عطش
فأمرني لى بشربة من ماء توءجرى . قالت اليك عنى يشيخ فاني مشغولة عن
سقي الماء وادخر الاجر . فقلت لها ياسيدي لاية علة . قالت لاني مشقة
من لا ينصفني وأريد من لا يريدني ومع ذلك فاني متحملة برقاء فوق رقاء
قلت لها : ياسيدي هل على بسيط الارض من تريدينه ولا يريدك .
قالت : انه لعمرى على ذلك الفضل الذي ركب الله فيه من الجمال واللالال .
قلت لها : ياسيدي فما وقوفك في الدهايز . قالت : هو طريقه وهذا أو ان
اجتيازه . قالت لها : يسدي هل اجتمعنا في خلوة في وقت من الاوقات أم
حباً مستحدث . فتفتست الصعداء وأرخت دموعها على خديها كطل
على ورد .. وأنشأت تقول

وكنّا كغصني بانه وسط روضة أشم أجبا اللذات في عيشة رغد
فأفرد هذا الغصن من ذلك قاطع فبأن رأى فردا يحن إلى فرد

قلت لها : يا هذه ما بلغ من عشقك هذا الفتي . قالت : أرى الشمس على
حائطهم أحسن منها على حائط غيرهم وربما أراه بغتة فأبهت وتهرب الروح
عن جسدي وأبقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل . قلت لها : عزيز علي
وأنت على مابك من الضنى وشغل القلب بالهوى وانحلال الجسم وضعف

القوى ماأرى بك من صفاء اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يكن بك من
الهلوى شئ أراك كنت مفتنة في أرض البصرة . قالت كنت والله ياشيخ
قبل محبتي لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك
البصرة وفتنتي هذا الغلام . فقلت يا هذه ماالذي فرّق بينكما . قالت نواب
الدهر وأوابد الحدّان ولحديني وحديثه شأن من الشؤون وأنيك أمرى الى
كنت افتعصت في بعض أيام السيروز فأمرت فزين لي وله مجلس بأنواع
الفرش وأواني الذهب ونضدنا الرياحين والشقائق والمنثور وأنواع البهار
وكنت دعوت لحبيبي عدة من متظرفات البصرة فهن من الجوّاري جارية
شهران وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة ألف درهم وكانت الجارية
ولعت بي وكانت أول من أجابت الدعوة وجاءتني منهن فلما حصلت عندي
رمت بنفسها عليّ تقطعني عضاً وقرصاً ثم إخلونا نتمزق القهوة الى ان يدرك
طعامنا ويجتمع من دعونا فتارة هي فوق وتارة أنا فوقها فحملها السكر على
ان ضربت يدها على تسكتي فخامها ونزعت هي سراويلها وصارت بين نخذي
كمهبر ارجال من النساء فبينما نحن كذلك اذ دخل عليّ حبيبي وقد التزق
قرطى بخناخالي فلما نظر الينا اشماز لذلك وصدف عني وعنهما صدوف المهرة
العربية اذا سمعت صلاصلا للججم وعض على أنامله وولى خارجاً فأنا ياشيخ
منذ ثلاث سنين أسل سخيّمته وأستعطفه فلا ينظر إليّ بعين ولا يكتب
الىّ بحرف ولا يكلم لي رسولا . قلت لها يا هذه أفن العرب هو أم من العجم
قالت هو من جلة ملوك البصرة . قلت من أولاد نياها أو من أولاد تجارها
قالت من عظيم ملوكها . قلت لها أشيخ هو أم شاب . فنظرت اليّ شزرا
وقالت انك لأحق أقول هو مثل القمر لسلة البدر أمرد أجرد ذو طرة

رقعاء كحذك الغراب تعلوه شقرة في بياض عطر لباس ضارب بالسيف
طاعن بالرمح لاعب بالنرد والشطرنج ضارب بالعود والطنبور يغنى وينقر
على أعدل وزن لا يعيبه شيء إلا انحرافه عنى لانقصالي منه بل حقدالما
رآنى عليه . قلت ياهذه وكيف صبرك عنه . فأنشأت تقول

أما النهار فمُسْتَهَامٌ والليل قد أزعى النجوم مُفَكَّرًا
وَجَنُونَ عيني ساجفات تذمُّ حتى الصَّباح ومقلتي لا تهجِعُ
كيف اصطباري عن غزال شادين في لحظ عينيهِ سِهَامٌ تضرع
وجهٌ يُضئُ وحاجبان تقوسا وكان جنته سراج يذمُّ
وبياض وجوه قد أشيب بجمرة في وجنتيه كأنه مُسْتَجْمِعُ
والقد منه كالقضيبي إذا زهى والغصن في قنوائه يترعرعُ
تمت خلائقه وأكمل حسنه كمثل بذور بعد عشر أربع

قلت لها ياسيدي ما اسمه وأين يكون . قلت تصنع به ماذا . قلت أجهد في
لقائه وأتعرف الفضل بينكما في الحال . قلت على شريطة . قلت وما هي .
قلت تلقانا إذا لقيناه ونحمل لنا إليه رقعة . قلت لا أكره ذلك . قالت هو
ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبي سفرة يكنى بأبي شجاع وقصره في المربد
الأعلى وهو أشهر من أن يخفى ثم صاحت في الدار يا جواردي دواة وقرطاسا
وشمرت عن ساعدين كأنهما طومارا فضة ثم حملت القلم وكتبت بسم الله
الرحمن الرحيم سيدي تركي الدعاء في صدر رقعتي يني عن تقصيري ودعائي
ان دعوت يكون هبة فاولا ان بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لما
كان لما تكلفته خادمتك من كتب هذه الرقعة معنى مع اياسها منك وعلمها

بترك الجواب سيدي جُد بنظرة وقت اجتيازك في الشارع الى الدهليز
تحيي بهم أنفسا ميتة أسرى و اخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة
فاجعلها عوضا من تلك الخلوات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي أنا
ذاكرتها سيدي ألسنت لك محبة وبك مدنفه فان رجعت مولاي الى الاشبه
بك وأنقذتني من عوارض التلف كنت لك خادمة ولك شاكرة فلما فرغت
من الكتاب يا أمير المؤمنين ناولته اياي فقلت لها ياسيدتي قد وجب حقك
على ولزمتك حرمي لطول وقوفي عليك وكنت قد سألت شربة ماء .
قالت أستغفر الله ما فهمنا عنك ثم صاحت في الدار أخرجن الينا شرابا من
ماء وغير ماء فما كان الا ان أقبل ثلاثون وصيفة بأيديهن الطاسات والجامات
والاقداح مملوءة ماء وثاجا وفتحا وشرابا فشربت الماء ثم قلت ياسيدتي مع
قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجواري فلم
لانا مريم احدي الجواري أن تقف مراعية للغلام حتى اذا مر أعلمتك
فتخرجين اليه . قالت لا تغلط يا شيخ فتمثلت

عَبَاةُ عُنُقِ اللَّيْثِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ إِذَا رَامَ أَمْرًا قَامَ فِيهِ بِنَفْسِهِ
ثم انصرفت عنها يا امير المؤمنين فلما أصبحت غدوت على محمد بن سليمان
فوجدت مجلسه محتفلا بالملوك وأبناء الملوك ورأيت غلاما قد زان المجلس
وفاق من فيه حسنا وجمالا قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه ف قيل ضمرة
ابن المغيرة فقلت في نفسي بالحقيقة حل بالمسكينة باحل هو والله قاتلها فيما
أرى ثم قتت فقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا هو قد ورد في موكب
جليل فوثبت اليه وبالغت في الدعاء والثناء ثم دنوت منه وفاوضته في الذي
جرى بيني وبينها وناولته الرقعة فلما قرأها ضحك ثم قال يا شيخ قد استبدلنا

بها فهل لك في أن تنظر الى البديل . قلت نعم . فصاح في الدار يا جوارى
أخرجن البنا لذيذا فما كان الا ان طلعت جارية وضيئة الكمين ناهدة
الثدين تمشي مشية مستوحل ترنج من دقة خصرها على كبر عجزها ذات
نخدين وعجيزتين تحتطفان الأنفس اختطافا على رأسها بطيخة من الكافور
مكتوب على جبينها

آه من الحب آه ما أقتل الحب وأضناه

ودون ذلك مكتوب

عِبَارَةٌ مِثْلُهَا فِي الْخَطِّ رَحِيمَةُ الدَّلِّ صَبُودٌ لِلرَّجَالِ

وقد كتبت بالغالبية على عصابتها ثلاثة أسطر وهي

إِذَا غَضِبْتَ رَأَيْتَ النَّاسَ قَتَلَى وَإِنْ رَضِيتَ فَأَرْوَاهُ تَعُودُ

لَهَا فِي عَيْنِهَا لَحَظَاتُ سِحْرِ تُبْمِتُ بِهَا وَتُحْيِي مَنْ تُرِيدُ

وَتَسْنِي الْعَالَمِينَ بِمَقْلَتِهَا فَكُلُّ الْعَالَمِينَ لَهَا عَيْدُ

فناولها الرقعة وقال اقْرئى وأحبي صاحبتك فلما قرأت الرقعة اصفرت

وعرقت ومزقتها وضربت بها في وجه الغلام وغابت في السر . فقال لي

أما أنت يا شيخ فاستغفر الله مما مشيت فيه . قالت بل أنت استغفر الله من

هجرانك إياها وتركك آتيانها والله ما أرى لها في البشر نظيرا . قال لأفعل

ولو أنها في حسن يوسف وكمال حواء فخرجت يا أمير المؤمنين وأنا أجز

ذيلي حتى وردت عليها فاستأذنت ودخلت فبدأت بي . فقالت ما وراء الشيخ

قلت البؤس والباس : قالت لاعليك فإين الله والقدر ثم أمرت لي بخمسمائة

دينار وعشرة أبواب وخرجت من عندها وأنا ممتدح لآل سليمان فلم يكن

لي والله الا معرفة خبرها في العام الذي عدت فيه الي البصرة فوردت عليها
فوجدت على بابها أمرا ونهيا وأسبابا لا تكون الا على باب الخلفاء فاستأذنت
فدخلت فاذا فوق رأسها ثلاثون رجلا من شيوخ وشبان وخدم وقوف
بسيوفهم فلما نظرت الي عرفتني ووثبت الي وقلت رأسي وقالت يا شيخ
الحمد لله الذي جعل العبيد بالصبر ملوكا وجعل الملوك بالتيه عبيدا ان الذين
تراهم وقوفاً أصحاب ضمرة يسلون سخيمتي ويسألونني الرجوع له والله
لأنظرت اليه في وجهه ولو أنه في حسن يوسف وكال حواء فسجدت بأمر
المؤمنين شامة بضمرة وتقربا الى الجارية فقال بعض حجاب ضمرة مهلا
ياشيخ فمن طاب محضره طاب مولده ثم انصرفوا فناولتني خريطة فيها
أوراق فقالت هذا أول ماورد علينا منه فاذا فيها نوب خز أبيض يقق مكتوب
فيه بماء الذهب بسم الله الرحمن الرحيم لولا تفاضي عليك أدام الله حياتك
لوصفت شطرا من غدرك ولبسطت سوط عتي عليك وحكمت سيف
ظلامتي فيك اذ كنت الجانية على نفسك والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء
المؤثرة علينا غيرنا نخالفت هواي وفرشت نفسك لها على حالي جد وهزل
وصحو وسكر والمستعان الله على ما كان من سوء اختيارك وقد ضمنت رقعتي
هذه أبيات شعر أنت المتفضلة بالنظر اليها وهي

قَطَعَ قَلْبِي فَرَأَقَكُمْ قِطْعًا وَكَذْتُ أَقْضِي لِيْنِكُمْ جَزَعًا

مَا تُكْخِلُ الْعَيْنُ بِالرَّدِّ وَلَا يَنْمُ جَنْبِي فِي اللَّيْلِ مُضْطَجِعًا

لَا عَيْشَ لِي مُدْنَاتٌ وَلَا وَجَدْتُ عَيْنَايَ فِي الْأَرْضِ قَطُّ مُتَّسِمًا

قلت لها أفلا تحذيني كيف سليت عنه وابتلى . قالت كيف لأحدثك افتصدت

تفاحة جارية محمد بن سليمان فدعينا الى خوراني لمحمد بن سليمان فلما طعمنا
دعت لنا بالشراب فبينما نحن كذلك اذا بجراحة سلطانية قد وردت وفيها
عدة من أبناء الملوك وفيهم هذا العبار ولا علم لي بمكانه وكنت حملت العود وغنيت
أبلى فَوَادِي وَشَفَنِي الْأَرْقُ وَالِدَمْعُ مِنْ مُقْلَتِي يَسْتَبِقُ
مِنْ حُبِّ ظَبْيٍ أَغْنَى ذِي دَعَجٍ وَقَلْبُهُ لِلشَّفَاءِ مُنْطَبِقُ

فلما وجبت العتمة انصرفنا وأبطأت الجارية وأنا في هؤلاء القوم من عنده
يسلون سخيمتي ويستعطفوني عليه ثم انصرفت عنها يأمر المؤمنين ودخلت
الحمام من ساعتها فما كان الا أن دخلت حتى أتاني غلامى فقال : جماعة من
جالة الناس قد طرخوا دارك يطالبوك فلبست ثيابي وخرجت مسرعا فإذا
بضمرة قد كبس داري في عدة من الرؤساء فقال والله لا برحنا حتى تنفق
علينا الخمسمائة دينار التي أخذتها من الجارية سيدتى . قلت : أي والله
بالسمع والطاعة ثم جذبتني الى نفسه فلم يزل يناظرني في أمرها حتى أقبل
المساء ثم انصرف الى رحله فلما كان من الغد وردت له رقعة مع خادم وكيس
فيه ألف دينار واستزارني فقبلت ذلك وصبرت معه اليه فلما نظر الى تنجى
عن مقعده وأقعديني ثم قال هذا قد أعدته للتبرؤ لسيدتي هدية وأنت
أولى من تجشم مع الخادم اليها . قلت : السمع والطاعة ثم صاح في الدار
هاتوا الهدية فإذا مائة تحت من ثياب وصندوق من ذهب متفل عليه . فقال
لي : في التخت والصندوق مبلغ ثلاثين ألف دينار وأنت أولى من تفضل
بالإيصال فصرنا اليها واستأذنا فلما مثلنا بين يديها أنكرتني . وقالت : من
الشيخ . قلت : الخليفة شاعر العراق ومعي هدية عبدك ضمرة فصاحت في
الدار تملك فإذا جارية كأنها الطيبة المنفلتة من الشبكة . قالت لها خذي هذه

الهدايا وفرقيها على جوارى الدار ثم قالت أيطمع الخنوص أن يجتمع معي بعد قبولى الهدية فى ثلاثين سنة . قلت : لها العفو عند المقدرة يعدل عنق رقبة . قالت . فى خمس عشرة سنة . قلت . لها انقصها أولى بك . قالت . فى ثلاث سنين . قلت . لها حطة أخرى وقد اجتمعنا ، قالت لا . والله لا آكل ولا أشرب حتى آتية وأمرت أن يسرح لها وبادرت الى باب ضمرة مبشرا فما وصات أو سمعت صلاصل اللجم فاذا هي قد سبقتنى فى جوارىها وخدمها فدخلت فاذا هما يتعانان ويتعابان فقلت ياسيدي ما أنتما الى شيء أحوج منكما الى خلوة . قالا . هو ذاك فانصرفت عنهما ثم بكرت عليهما فاذا هي فى المرقد الاول جالسة عليها جبة وشئ مطير وهي تعصر الماء عن ذوائبها وتصلح قرونها فاستحييتى . وقالت لا . تفكرن فى ريبة فوالله ماصلينا البارحة حتى بعثت الى عبد الرحمن بن أبى ليلى القاضى فزوجت نفسى سيدى ولكن صر اليه فانه فى المرقد الثانى فصعدت اليه فلما نظر الى وثب الى وقبل بين عيني . وقال . يا شيخ قد جمع الله بينى وسيدتى بك ثم دعا بدواذوقرطاس وكتب الى ابن نوح الصيرفى فى ثلاثة آلاف دينار فرجعت اليها . فقالت . بماذا برك سيدى فاقرأتها الرقعة . فقالت . نعجل اليك مثلها فدعت بمال وطيار ووزنت ثلاثة آلاف دينار ودعت بعشرة أبواب من ثياب مصر وقالت هذه وظيفتك علينا كل عام فخرجت من عندها وأخذت مرفوعى من آل سليمان وانصرفت الى العراق وكان الرشيد متكئاً فاستوى جالساً وقال أوه يا حسين لولا أن ضمرة سبقتنى اليها لكان لى ولها شأن من الشؤون

﴿ ومنه مع الشعراء ﴾ قال استأذنت بنت لعبد الملك ابن مروان

في الحج فأذن لها وكتب الى الحجاج يأمره بالتقدم الى عمر بن أبي ربيعة
أن لا يذكرها في شعره فلما بلغ عمر مقدمها لم يكن له حمة الا أن يتهياً
بأجل ما يقدر عليه من الحلال والثياب وضربت لها قبة في المسجد الحرام
فكانت تكون فيها نهاراً فإذا أمست تحولت الى منزلها لتنظر اليه وتجلس
بازاء القبة وقد خبر عمر بشأنها فإذا أرادت الطواف أمرت جوارها فيسترنها
بالمطاريف فكانت تتطلع الى عمر كثيراً وكانت تسأل من دخل عليها عنه
رجاء أن يكون قد قال شيئاً فلم يفعل حتى قضت الحج ورحلت ونزلت من
مكة على أميال فأقبل راكب من مكة فسألته من أين أقبلت . قال . من مكة
قالت . عليك وعلى فرقة أنت منها لعنة الله . قال . ولم يا ابنة عبد الملك .
قالت . قدمنا مكة فأقمنا أشهراً فما استطاع الفاسق عمر بن أبي ربيعة أن
يزودنا من شعره أبياتاً كنا نلهو بها في سفرنا هذا . قال . فاعله قد فعل
قالت . فاذهب اليه واسأله ولك في كل بيت تأتيني به منه عشرة دنانير فأقبل
الرجل وأتى عمر بن أبي ربيعة فأخبره الخبر فقال له . قد فعلت ولكن
أحب أن تكتم علي . قال افعل ثم أنشده

راعَ الفؤادَ تفرقُ الأحبابِ	يومَ الرَّحيلِ فهاجَ لى أطرابِ
فظللتُ مكنباً كَفَكَ عِبْرَةً	سَحاً تفيضُ كوابِلُ الأسرابِ
لَمَّا تَسَادُوا لِلرَّحِيلِ وَقَرَّبُوا	بُرُلَ الْجِمالِ طَيِّبَةً وَذَهَابِ
كَادَ الْأَسَى يَقْضِي عَلَيْكَ صَبَابَةً	وَالْوَجْهَ مِنْكَ لَبِينَ الْفِكَ كَابِ
قَالَتْ سَعِيدَةُ وَالْذَّمُوعُ دَوَارِفُ	مِنْهَا عَلَى الْخُدَّيْنِ وَالْجِلْبَابِ
لَيْتَ الْمَغِيرَى الَّذِي لَمْ نَجْزِهِ	فَبِمَا أَطَالَ تَصِيدِي وَطِلَابِي

كَانَتْ تَرُدُّنَا الْمُنَى أَيَّامُنَا إِذَا لَا نُلَامُ عَلَى هَوَى وَتَصَابِي
 أَيَّامَ نَكْمُ وَدَنَا وَنَوْدُهُ سِرًّا مَخَافَةَ مَنْطِقِ الْمُغْتَابِ
 أَخْبَرْتُ مَا قَالَتْ فَبِتُّ كَأَنَّمَا يُرْمَى الْحَشَا بِنَوَافِدِ النَّشَابِ
 فَبَعَثْتُ جَارِيَتِي وَقُلْتُ لَهَا اذْهَبِي قَوْلِي لَهَا فِي خَفِيَّةٍ وَقِرَابِ
 أَسْعِدِي مَا مَاءَ الْفُرَاتِ وَطِيبِي هَبِي عَلَى ظَلَمٍ وَطِيبِ شَرَابِ
 بِالَّذِي مِنْكَ وَإِنْ نَأَيْتِ وَقَلَّ مَا تَرَعِي النَّسَاءَ أَمَانَةَ الْغِيَابِ
 إِنْ تَبَدَّلِي لِي نَائِلًا أَشْفَى بِهِ سَقَمَ الْفُؤَادِ فَقَدْ أَطْلَتِ عَذَابِي
 وَغَضِبْتُ فَبِكَ أَقَارِبِي فَقَطَّعْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ عُرَى الْأَسْبَابِ
 فَبَقِيْتُ كَأَلْمُزِيْقٍ فِضَاةً مَانِهِ فِي حَرٍّ هَاجِرَةٍ لِلْمَعِ سَرَابِ

ثم أتى إليها بالآيات فأعجبت بها وأمرت جواريتها بحفظها ثم وفقت له
 بما وعدت وسلمت إليه في كل بيت عشرة دنانير . وقال أخبرنا محمد بن
 خلف قال أخبرني أبو بكر العامري قال حدثني موسى بن عمر بن أفلح
 مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن
 محزوم قال حدثني بلال مولى ابن أبي عتيق . قال قام الحارث بن عبد الله
 ابن عباس بن أبي ربيعة من الحج فأتاه ابن أبي عتيق . فقال كيف تركت
 أبا الخطاب فقال هجرت الزيا عمر فقال

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا فَإِنِّي ضَعِفْتُ ذُرْعَائِهِمْ جَرِّهَا وَالْكِتَابِ
 سَكَبْتَنِي بِجَهَاةِ الْمِسْكِ عَقْلِي فَسَلُّوْهَا بِمَا يَجِلُّ اغْتِصَابِي
 أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمُهَاقِ تَهَادِي بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاهِبِ أَتْرَابِ

وهي مذكورة تحيّر منها
 وتكتنفها كواعب بيض
 في سحاب من القرنفل والذرّ
 قلت لما ضربن بالسّجف دوفى
 فتبدّت حتى اذا جنّ قاي
 حين شبّ القتل والعنق منها
 ذكرّني بيهجة الشمس لما
 دُمّية عند راهب وقسيس
 فارّجحت في حسن خلق عميم
 ثمّ قالوا تحبّها قلت بهراً
 في أديم الخدين ماء الشّباب
 واضحات الخدود والأقراب
 نفيس واهاً له من سحاب
 ليس هذا لودّنا بثواب
 حال دوفى ولائذ بالثياب
 حسن لون يرف كالزّريب
 طاعت في دجّة وسحاب
 صوروها في مذهب المخراب
 تنهّدى في مشيها كالخباب
 عدد الرّمل والحصى والتراب

وقال لعلامه الطاق بكتّابي هذا الى ابن أبي عتيق بالمدينة فادفعه اليه
 فأقبل الغلام بالكتاب حتى دفعه اليه فلما قرأه قل والله أنا رسولك اليها
 فسار حتى قدم مكة لا يعلم به أهله فأتى منزله فوجده غائباً فانطلق غلام
 عمر الى عمر . فقال ان رجلاً قدم وهو يطلبك من شأنه وهيئته كذا .
 قال وبحك ذلك ابن أبي عتيق اذهب اليه فقل له ان مولاي يأتيك الآن
 وكان عمر على فرسخين بل على رأس ثلاثة أميال من مكة فأتاه الغلام
 فأخبره فقال اسرج لي أنت برزون عمر فان دأبتى قد تعبت وكنت فأسرجه
 له فركب وأتى الحى ففصل البرزون وسمعت الزيا صهيله . فقالت لجواربها
 هذا هو برزون الخبيث عمر ثم دعت ببغلة لها فوضعت عليها رحلها
 فخرجت فاذا هي بابن أبي عتيق فقالت مرحباً بعمي ما جاء بك يا عم . قال

أنت والفسق جئنا بي . قالت أما والله لو بغيرك تحمل علينا ما أجبناه ولكن
ليس لك مدفع امرر بنا نحوه فأقبل حتى انتهى الى عمر فخرج عمر اليه وقبل
يده ثم قال انزل جعاني الله فداءك . فقال ماء مكة عليّ حرام حتى أخرج منها
ثم دعا ببغلة فركبها وانصرف الى المدينة وخلا عمر بالثريا . وحدث الزبير
ابن بكار عن أبي محرم عن ابراهيم بن قدامة قال قال عمر بن أبي ربيعة
ألا أحدثك حديثاً حلوا . قال قلت نعم قال بينا أنا جالس اذ جاءني خالد
الخريري . فقال يا أبا الخطاب هل لك في هند وصواحبها فقد خرجن الى
نزهة . قات وكيف لي بذلك قال تلبس لبسة أعرابي وتعم عمامته وتركب
مركبه كأنك ناشد ضالة . قال ففعلت وجئت حتى وقفت عليهن أنشد ضالتي
فقلن إنزل فزلات وقعدت أحادهن وأغازهن فلما رمت النهوض قالت لي
هند اجلس لا جلست أنت ألا ترى أنك وقفت علينا غريباً ونحن والله
وقفنا على غريبك نحن بعثنا خلاداً وخدمناه وأطعمناه في أنفسنا حتى جاء
بك فقال خلاص صدقن والله خدمتني وخدمتك فجلست وتحدثنا فأنشدتهن
. فقالت هند لقد رأيته منذ أيام وقد أصبحت عند أهلي فأدخلت رأسي
في جيبى ونظرت الى هني فإذا هو ملء الكف ومنية الممتنى فناديت
يا عمراء يا عمراء يا عمراء . قال عمر فقلت يالبيك يالبيك يالبيك ثلاثاً ومددت
في الثالثة صوتي فضحكت وحادثتهن ساعة ثم ودعتهن وانصرفت فذلك قولي
عَرَفْتُ مَصِيفَ لَحْيٍ وَالمُتَرَبِّعَا يَبْطُنُ حُلَيَّاتِ دَوَارِسَ بَاقِعَا
إِلَى السَّفْحِ مِنْ وَادِي المَغْمَسِ بُدِّلَتْ مَعَالِمُهُ وَبَلَاءٌ وَنَكْبَاءُ زَعَزَعَا
إِهْنِدْ وَأَتَرَابَ لِهْنِدْ إِذِ الهَوَى جَمِيعٌ وَإِذْ لَمْ نَخْشَ أَنْ يَتَصَدَّعَا

وإذ نحنُ مثلُ الماءِ كانَ مِرَاجُهُ إذا صَفَّقَ السَّاقِي الرَّحِيقَ المُشْعِشَا
وإذ لا نُطِيعُ الكَاشِحِينَ ولا نَرَى لوَاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الصَّرْمَ مَطْمَعَا
وقال عمر ما رأيت يوماً غابت عواذله وحضرت عواذره بأحسن من
يومنا ولا صبوة كصبوتنا ولا قيادة كقيادة خالد ولا أملح ولقد وصفت

ذلك في شعر فقلت في تمام ما تقدم

أناي رَسُولٌ مِنْ ثَلَاثِ حَرَائِرٍ ورابعةٌ يَزُكُّوها الحُسْنُ أَجْمَعَا
فقلتُ لِمُطَرِّبِينَ فِي الحُسْنِ إِنَّمَا ضَرَرْتُ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا
لئنْ كانَ ما حَدَّثْتَ حَقًّا لَمَّا أَرَى كَمِثْلِ الأُولَى أَطَرَيْتِ فِي النَّاسِ أَرْبَعَا
وهِيجَتْ قَلْبًا كانَ قَدِ ودَّعَ الصَّبَا وأَشِيعَةً فَاشْفَعُ عَسَى أَنْ تُشَفِّعَا
فقالَ تَعَالَ أَنْظُرْ فقلتُ فَكَيْفَ لِي أَخافُ مَقَامًا أَنْ يَشِيعَ وَيَشْنَعَا
فقالَ اكْتَفِلْ نِمَّ التَّيْمُ وَأَتِ باغِيَا فَسَلِّمْ وَلَا تُكْثِرْ بَأْنَ تَوَرَّعَا
فأني سَأَخِفِي العَيْنَ عَنْكَ ولا تُرِي مَخَافَةَ أَنْ يُفْشِيَ الحديثُ قَيْسِمَعَا
فأقبلتُ أَهْوَى مِثْلَ ما قالَ صاحِبِي لِمَوْعِدِهِ أَزْجِي قَعُودًا مَوْقَعَا
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ وَجُوهُ زَهَّابِها الحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا
تَبَاهَنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفَنِي فَقُلْنَ امْرُؤًا باغٍ أَضَلَّ وَأَوْضَعَا
فَلَمَّا تَنَازَعْنَ الأَحاديثَ قُلْنَ لِي أَخِفْتَ عَلَيْنَا أَنْ نُفَرَّ وَنُخْذَعَا
فما جِئْتَنَا إِلَّا عَلى وَفْقِ مَوْعِدِ عَلى مَلَأٍ مِنْهُ خَرَجْنَا لَهُ مَعَا
رَأَيْنَا خِلاءَ مِنْ عَيونٍ وَجَلِيسًا دَمِيتُ الثَّرِي سَهْلَ المَحَلَّةِ مُمرِعَا
وَقُلْنَ كَرِيمٌ نالَ وَصْلَ كَرَامِ وَحَقٌّ لَهُ فِي اليَوْمِ أَنْ يَتَمَتَّعَا

وفيهِنَّ هِنْدٌ تُكْمِلُ الْهَمَّ وَالْمُنَى وإِخْدَاعَ عَيْنِي كُلَّمَا رُمْتُ مَهْجَعَا

قال ولما أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قصيدته التي يقول فيها

فَأَتَتْهَا طِبَّةٌ عَالِمَةٌ تَخْلِطُ الْجِدَّ مَرَارًا بِاللَّعِبِ

تَرْفَعُ الصَّوْتَ إِذَا لَانَتْ لَهَا وَتُرَاحَى عِنْدَ سَوَارَاتِ الْغَضَبِ

قال ابن أبي عتيق امرأتي طالق ان لم يكن الناس في طلب مثل هذه

منذ قتل عثمان يجعلونها خليفة فلم يقدرُوا عليها وأنت تريدُها قِوَادَة قال

ولما حجا كثير بنى ضمرة فقال

وَيُحْشَرُ نَوْرُ الْمُسْلِمِينَ أَمَامَهُمْ وَيُحْشَرُ فِي أَسْتَاهِ ضَمْرَةٌ نَوْرُهَا

اشتدت بنو ضمرة عليه وعلى عزة وأرادوا قتله ووضعوا له العيون

فكث شهما لا يصل إليها فالتقى جميل وكثير فشكى أحدهما إلى صاحبه

ما يلقي . فقال جميل أنا رسولك إلى عزة فأخبرني بما كان ينسكما . قال آخر

مالقيتها بالطلحة مع أتراب لها قال فأتاهم جميل وهو ينشد ذودا له ففطنت عزة

فقال تحت الطلحة التمس ذودا هناك فأنصرف جميل فأخبر كثيرا فلما كان

في بعض الليل أتيا الطلحة وأقبأت عزة وصاحبة لها فتحدثا ملياً وجعل

كثير يرى عزة تنظر إلى جميل وكان جميلا وكثير دميما فغضب كثير وغار

عليها وقال لجميل انطلق بنا قبل أن يصبح علينا الصبح فانطلقا فعند ذلك

يقول

رَأَيْتُ ابْنَةَ الشَّيْلِ عَزَّةً أَصْبَحَتْ كَمَحْطَبٍ مَا يَلْقَى بِاللَّيْلِ يَحْطَبِ

وَكَانَتْ تَمْنِينَا وَتَزَعْمُ أَنَّنَا كَبَيْضِ الْأَنْوَقِ فِي الصَّفَا الْمُتَغَيَّبِ

ثم قال كثير لجميل متى عهدك ببثينة قال في أول الصيف بوادي الدوم

ومعها جوارىها يغسلن ثياباً نخرج كثير حتى أناخ بهم وهو يقول

وَقَلْتُ لَهَا يَا عَزَّازُ أَرْسَلَ صَاحِبِي عَلَى بُعْدِ دَارٍ وَالرَّسُولُ مُوَكَّلُ

بَأَنْ تَجْعَلَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا وَأَنْ تَأْمُرَنِي بِالَّذِي فِيهِ أَفْعَلُ

أَمَا تَذَكِّرِينَ الْعَهْدَ يَوْمَ لَقَيْتُكُمْ بِأَسْفَلِ وَادِي الدَّوْمِ وَالثَّوْبُ يُغْسَلُ

فعلمت بثينة ما أراد فصاحت أخساً أخساً فقال عمها مادهاك يا بثينة . قالت ان كلباً يأتينا من وراء هذا التل فيأكل مايجد ثم يرجع فرجع كثير . وقال لجميل قد وعدتك التل فدونك نخرج جميل وكثير حتى انتهيا الى الدومات وقد جاءت بثينة فلم تزل معه حتى برق الصبح وكان كثير يقول ما رأيت مجلساً قط أحسن منه . عمر بن شبة عن اسحاق بن ابراهيم الموصلي . قال حدثني شيخ من خزاعة قال ذكرنا ذا الرمة وعندنا عصمة بن مالك الفزاري وهو يومئذ ابن عشرين ومائة سنة فقال اياي فاسألوا عنه كان من أطرف الناس خفيف العارضين آدم حلوا المضحك اذا أنشد اختصر وأتاني يوماً فقال ان مية منقرية وان بنى منقر أخبث حي وأعلمه بأثر فهل عندك من ناقة تزورها عليها قلت أى والله عندي اثنتان قال فسرنا نخرجنا حتى أشرفنا على الحى وهم خلوف فعرف النساء ذا الرمة فعدلن بنا الى بيت مي وأنخنا عندهن فقلن لذي الرمة أنشدنا ياأبا الحارث فقال أنشدهن فأنشدتهن قوله

نَظَرْتُ إِلَى أَطْعَامِ مَيِّ كَانَهَا ذُرَى النَّخْلِ أَوْ أَثْلُ تَمِيدُ ذَوَائِبِهِ

فَأَشْعَلَتِ النَّيْرَانُ وَالصَّدْرُ كَانَتْهُمُ بِمَغْرُورِقٍ نَمَتْ عَلَيْهِ سَوَاكِبُهُ

بَكَى وَامِقٌ جَاءَ الْفِرَاقُ وَلَمْ تَجُلْ جَوَائِبَا أَسْرَارُهُ وَمَعَاتِبُهُ

فقالت ظريفة منهن إبيكى اليوم فررت فيها حتى انتهيت الى قوله

اذا سَرَحْتَ مِنْ حُبِّ مَيِّ سَوارِحْ عَلَى الْقَلْبِ آتَبُهُ جَمِيعاً عَوَازِبُهُ
 فقالت الظريفة قتلتك الله فقالت ما أحبه وهنيئاً له فتنفس ذو الرمة
 تنفساً كادت حرارته تساقط لحى ثم مررت فيها حتى انتهيت الى قوله
 وقد خَلَفْتَ بِاللَّهِ مَيَّةً ما الذى أقولُ لها إلا الذى أنا كاذِبُهُ
 إِذَا فَرَمَانِي اللهُ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى وَلَا زَالَ فِي أَرْضِي عَدُوًّا أُحَارِبُهُ
 فالتفتت مى الى ذي الرمة فقالت ويحك خف عواقب الله ثم أنشدت الى أن
 انتهيت الى قوله

اذا نازَعَتْكَ الْقَوْلَ مَيَّةٌ أَوْ بَدَأَ لَكَ الْوَجْهُ مِنْهَا أَوْ نَضَا الدَّرْعَ سَالِبُهُ
 فبِالْكَ مِنْ خَدِّ أَسِيلٍ وَمَنْطِقٍ رَحِيمٍ وَمِنْ خَلْقٍ يُعَلِّلُ جَاذِبُهُ
 فقالت تلك الظريفة أما القول فقد نازعتك والوجه فقد بدا لك فمن لنا
 بأن ينضو الدرع سالبه فقالت لها مى قاتلك الله ما أنكر ما تحيئين به اليوم
 فتحدثنا ساعة ثم قالت تلك الظريفة ما أحوج هذين الى الخلوة فهضت
 وسائر النساء فصررت الى بيت قريب منهما حيث أراها فما ارتبت بشيء ولا
 رأيت أمراً كرهته فلبث ساعة ثم أتاني ومعه قارورة وثلاث قلائد فقال
 هذا طيب زودتنا مى وقلائد تحفكت بها ابنة الجودي فكنا نختلف اليها
 حتى انقضى المربع ودعانا الصيف فرحلوا قبلنا وأتاني ذو الرمة فقال قد
 ظننت مى فم يبق الا الديار والنظر الى الآثار فاخرج بنا الى دارها فخرجت
 معه حتى اذا وقفنا عليها أنشأ يقول

ألا فاسلمنى يا دارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مِنْهَا بَجَرَ عَائِكَ الْقَطْرُ
 حتى أتى على آخرها ثم انهملت عيناه بعبرة . فقلت له ما هذا فقال . انى

الجلید وان کان منی ماری فما رأیت أحدا أحسن شوقا وصباة وعزاء منه
وعن سلیمان راویة أبی نواس قال کنت مع أبی نواس أسیر حتی انتهینا الی
درب القراطیس فخرج من الدرب شیخ نصرانی وخلفه غلام کانه غصن بان
یتثنی کأحسن ما رأیت فقال یاسلیمان أما ترى الدرة خلف البعرة . ثم قال
هل لك أن تأخذ منی رقعة فتوصلها الیه قلت بلی فکتبها ودفعها الیَّ
فأوصلتها الیه فاذا أمام غلام وأخفه روحا فقال من صاحب الرقعة قلت
أبو نواس . قال ابن هو . قلت علی باب درب القراطیس قال فلیقف مکانه
حتى أروح وکان فی الرقعة

تَمُرُّ فَاسْتَحْيِكَ أَنْ أَتَاكَمَا وَيَثْنِيكَ زَهْوُ الْحُسْنِ عَنْ أَنْ تُسَلِّمَا
وَيَهْتَزُّ فِي ثَوْبِكَ كُلَّ عَشِيَّةٍ قَضِيبٌ مِنَ الرَّبْحَانِ أَضْحَى مِنْهُمَا
فَحَسْبُكَ أَنْ الْجِسْمَ قَدْ شَقَّهُ الْهَوَى وَأَنْ جَعُونِي فِيكَ قَدْ ذَرَفَتْ دُمَا
أَلَيْسَ عَجِيبٌ عِنْدَ كُلِّ مُوَحِّدٍ غَزَالٌ مُسِيحِيٌّ يُعَذِّبُ مُسْلِمَا
فَلَوْلَا دُخُولُ الدَّرِّ بَعْدَ تَنْصَرُّ عِبَدْتُ مَكَانَ اللَّهِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَا
وحدثنا الجمار : قال كنت يوما على باب عدى الدراء فمر بي أبو نواس
شبهها بالجنون فاذا خلفه غلام كأنه مهر عربي فتأت له مالاك . فقال
إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلَهَا عَوَزُ الْمَسْكَنِ وَقَدْ تَهَيَّأَ الْمَرْكَبُ
فعدلت به وبالغلام فأقاما سائر يومهما قال وكان عبيد الله بن يحيى يتعشق
غلاما من دار المتوكل يقال له رشيق فلا يصل اليه حتى طال ذلك عليه .
وكان أبو الأخطل يخلفه في المركب وينبسط اليه فقال له عبيد الله يوما
ياأبا الأخطل من لي برشيق . فقال الصفر الصغار والبيض الصحاح وجعل

عبيد الله يلتقي رشيقا في الدار فيخلو به ويساره ويعطيه مائة دينار في كل
لقية الى أن علم رشيق بما في نفس عبيد الله وكان يتعذر عليهما الاجتماع
لقضاء الوطر واللذة . فركب أمير المؤمنين يوما ومعه أبو الأخطل فطلب
عبيد الله وتعهد أبو الأخطل رشيقا فردده اليه فلما ظفر به في منزله خاليا
قضى حاجته منه وركب يريد أمير المؤمنين مسرعا فوصل الى الموكب وقد
تصبب عرقا فقال أبو الأخطل

لا خيرَ عندي في الخليلِ ينامُ عن سهرِ الخليلِ
قولوا لأَكْفَرِ مَنْ رَأَيْتُ لِكُلِّ مَرْوُفٍ جَلِيلِ
هَلْ تَشْكُرُنَّ لِي الْغَدَاةَ تَلَطَّفِي لَكَ فِي الرَّسُولِ
اذنَحْنُ فِي صَيْدِ الْجَبَالِ وَأَنْتِ فِي صَيْدِ السَّهْلِ

✽ ما قيل فيه من الشعر ✽

وتمشيت في الجبلِ فأسرعت وإن كنت لست تأتي جميلا
إنَّ مَنْ مَدَّ لِلْقِيَادَةِ رِجْلًا لِحَرِيٍّ بَانَ يَكُونُ نَبِيلا
آخر

لهوَاهُ لَا تِلَافَ وَمَلَاهُ لَا اخْتِلَافَ
ليس يقرأ من كتاب الله إلا لا يلاف

وقال آخر

إنَّ الرَّقَاشِيَّ مَنْ تَكَرَّمَهُ بَلَّغَهُ اللهُ مُتَمِّحِي هَمَمِهِ
يبلغ من برِّه ورأفته حُملَانُ أضيافه على حُرْمِهِ
✽ ومن محاسن ذلك ✽ حدثنا علي بن الحسين بن علي بن عثمان ابن

علي بن الحسن قال كانت ضمير جارية مولدة لميمونة بنت الحسن بن علي بن زيد فادبتها وعلمتها الغناء فبرعت فيه وكانت من أحسن الناس وجها وبدنا وأبرعهم غناء وضربا فأعطيت بها مولانها عشرة آلاف دينار فلما أرادت أن تبيعها وأحضر المال بكت وقالت ياسيديتي ربيتيني واتخذتيني ولدا ثم تريدن بيعي فأغرب عنك ولا أرى وجهك قالت أشهد الله ومن حضر أنك حرة لوجه الله فلما ماتت ميمونة خطبها آل أبي طالب وغيرهم فغاب عليها جعفر بن حسن بن حسين فتزوجها وأحبها حبا شديدا فقدم بها البصرة فقال علي بن الحسين وكان يجالسها ويسمع غناءها فأردت الخروج الى الرضى بنجراسان فودعت جعفرها وخرجت فأثمت بالأهواز أياما ثمياً للخروج على طريق فارس فورد علي كتاب جعفر أنه قد وقع بينه وبين ضمير شر وأنها قد أغلظت له حتى تناوها ضربا وانها على مفارقتها وسأني القدوم لأصالح بينهما فقال علي بن الحسين وكانت لي حاجة بالرضى وكنت أرجو لذلك في وجهي منه ومن المأمون الغنى فلما قرأت كتابه لم أعط صبرا حتى انصرفت راجعا الى البصرة فجننت الى جعفر فأوقعت به شتا وعدلا ثم أرسلت اليها أقسمت عليك بخفي الا رجعت نخرجت مرهء شعثة وسخة الثياب حتى جاست نجاست بينهما فأقبل جعفر يعطيني من نفسه لها كل ما أريد وهي ساكتة ثم قات ياجارية هاتي العود فأخذته فأصاحت منه حتى تغننت وهي تبكي ودموعها تكف

أزنجى خالقي وأعلم حتماً أنه ما يشاء ربى كفانى
لا تلمنى وارفق خالى بشأنى إنه ما عناك يوماً عنانى

قال علي بن الحسين فوالله ما رأيت أحسن منها ولا أرق من غنائها بهذا الصوت فما برحت حتى اصطلحنا وألهتني والله عن الغنى فأقمت بالبصرة . وعن الكلابي قال بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت في حال نسكه فاذا هو بشاب قد دنا من شابة ظاهرة الجمال فالتقى اليها كلاما فقال له عمر يا عدو الله في بلد الله الحرام وعند بيته تصنع هذا فقال ياعماء انها ابنة عمي وأحب الناس اليّ واني عندها كذلك وما كان بيني وبينها من سوء قطأ أكثر مما رأيت قال ومن أنت قال أنا فلان بن فلان قال أفلا تزوجها قال أبي علي أبوها قال ولم قال يقول ليس لك مال فقال انصرف والقى فلقيه بعد ذلك فدعي ببغاته فركبها ثم أتى عم الفتى في منزله فخرج اليه فرحا بمجيئه ورحب وقرب فقال ما حاجتك يا أبا الخطاب قال لم أرك منذ أيام فاشتقت اليك قال فانزل فانزله وألطفه فقال له عمر في بعض حديثه اني رأيت ابن أخيك فأعجبني تحركه وما رأيت من جماله وشبابه قال له أجل ما يغيب عنك أفضل مما رأيت قال فهل لك من ولد قال لا الا فلانة قال فما يمنعك أن تزوجه اياها قال انه لا مال له قال فإن لم يكن له مال فلك مال قال فاني أضن به عنه قال لكني لا أضن به عنه فزوجه واحتكم قال مائة دينار قال نعم فدفعها عنه وتزوجها الفتى وانصرف عمر الى منزله فقامت اليه جارية من جواريه فأخذت رداءه وألقى نفسه على فراشها وجعل يتقلب فأنته بطعام فلم يتعرض له فقالت أظنك والله قد وجدت بعض ما كان يعرض لك من حكم النساء فلا تكتمها فقال هاتي الدواة فكتب

تَقُولُ وَلَيْدَتِي لَمَّا رَأَتْنِي طَرِبْتُ وَكُنْتُ قَدْ اقْصَرْتُ حِينَا

أراك اليوم قد أحدثت شوقاً وهاج لك الهوى داء دفيناً
وكنت زعمت أنك ذو عزاء اذا ما شئت فارقت القريناً
بعيشك هل أنك لها رسولٌ يسرك أم لقيت لها خديناً
فقلت شكاً إلى أخٍ محبٌ كبعض زماننا إذ تعلمينا
وذو القلب المصاب ولو تعزى مشوق حين يلتقى العاشقين
فقص على ما يلتقى بهند وأشبهه ذاك ما كنا لقينا
فكم من خلقة أعرضت عنها وكنت بودّها دهرًا ضينا
أردت فراقها فصبرت عنها ولو جنّ الفؤاد بها جنونا

قال . وقال عمر بن أبي ربيعة بينا أنا خارج محرماً إذ أتاني جارية كأنها دمية
في صفاء اللجين في ثوب قصب كقضب على كتيب فسلمت عليّ وقالت انت
عمر بن أبي ربيعة فتى قریش وشاعرها قالت انا والله ذاك قالت فهل لك ان
اريك احسن الناس وجهها قالت ومن لي بذلك قالت انا والله لك بذلك على
شريطة قلت وما هي قالت اعصبك واربط عينيك واقودك لئلا قلت لك
ذاك قال فاستخرجت معجراً من قصب عجرتني به وقادتني حتى انت بي
مضرباً فلما توسطته فتحت العجارة عن عيني فاذا انا بمضرب ديباج ابيض
مزرر بحمرة مفروش بوشى كوفي وفي المضرِب ستارة مضروبة من الديباج
الاحمر عليها تمائل ذهب ومن ورائها وجه لم احسب ان الشمس وقعت
على مثله حسنا وجمالا فقامت كالخجلة وقعدت قبالي وسلمت عليّ نخيل لي
ان الشمس تطلع من جبينها وتغرب في شقائق خدها قالت انت عمر بن ابي
ربيعة فتى قریش وشاعرها قلت انا ذلك يامنهي الجمال قالت انت القائل

بينما يَنْعَتَنِي أَبْصَرَنِي دُونَ قَيْدِ الْمَيْلِ يَدُوبِي الْأَغْرَ
 قَالَتِ الْكُبْرَى أَمَا تَعْرِفَنِي ذَا قَالَتِ الْوُسْطَى بَلَى هَذَا عُمَرُ
 قَالَتِ الصَّغْرَى وَقَدْ تَيَّمَّتْهَا قَدْ عَرَفْنَاهُ وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ

قلت أنا والله قائلها ياسيديتي قالت ومن هؤلاء قلت ياسيديتي والله ماهو عن قصد مني ولا في جارية بعينها ولكني رجل شاعر أحب الغزل وأقول في النساء قالت يا عدو الله يا فاضح الحرائر أنت قد فشا شعرك بالحجاز وأنشده الخليفة والامراء ولم يكن في جارية بعينها يا جوارى أخرجنه فخرجت الوصائف فأخرجتنني ودفعنني الى الجارية فعجرتني وقادتني الى مضربي فبت ليلة كانت أطول من سنة فلما أصبحت بقيت هائماً لا أعقل ما أصنع فمازلت أرقب الوقت فلما كان وقت المساء جاءتنى الجارية وسلمت عليّ وقالت يا عمر هل رأيت ذلك الوجه قلت أي والله قالت فتحب أن أريكه ثانية قلت اذا تكلمت فتكونين اعظم الناس عليّ منة فقالت على الشريطة فاستخرجت المعجر وعجرتني وقادتني فلما توسطت المضرب فتحت العصابة عن وجهي فاذا أنا بمضرب ديباج احمر مدثر ببياض مفروش بفرش أرمني ففعدت على نمرقة من تلك النمارق فاذا أنا بالشمس الضاحية قد أقبلت من وراء الستر تتمايل من غير سكر ففعدت كالخجلة فسلمت عليّ وقالت انت عمر بن ابي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت انا ذاك قالت انت القائل

وَنَاهِدَةِ الثَّدْيَيْنِ قَاتِلُهَا اسْكِي عَلَى الرَّمْلِ فِي دَيْمُومَةٍ لَمْ تَوَسَّدِ
 فَقَالَتْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ أَمْرُكَ طَاعَةٌ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ كُفِلْتُ مَالِمِ اعْوَدِ
 فَمَا زِلْتُ فِي لَيْلٍ طَوِيلٍ مُلْتَمِئًا لَذِيذِ رُضَابِ الْمِسْكِ كَالْمُتَشَهِّدِ

فَلَمَّادَنِي الْإِصْبَاحُ قَالَتْ فَضَحَّتَنِي فَعَمُّ غَيْرَ مَطْرُودٍ وَإِنْ شَتَّتَ فَازِدِ

فَمَا أَرَدَدَتْ مِنْهَا وَاتَّشَحَّتْ بِمِرْطَبِهَا وَقَلْتُ لِعَبْنَى اسْفَحَا الدَّمْعَ مِنْ غَدِ

فَقَامَتْ تُعَنِّي بِالرِّدَاءِ مَكَانَهَا وَتَطْلُبُ شَذْرًا مِنْ بُحْمَانٍ مُبَدَّدِ

قلت انا قائلها قالت فمن الناهدة اللديين قلت ياسيديتي قد سبق في الليلة الأولى والله ماهو من قصد ولا في جارية بعينها ولكني رجل شاعر أحب الغزل وأقول في النساء قالت يا عدو الله أنت قد فشا شعرك بالحجاز ورواه الخليفة وتزعم أنه لم يكن في جارية بعينها يا جوارى ادفننه فوثبت الجوارى فأخرجني ودفعتني الى الجارية فعجرتني وقادتني الى مضر بن قيس في ليلة كانت أطول من الليلة الأولى فلما أصبحت أمرت بخلق فضرب لي وبقيت أرقب الوقت هائم فلما كان وقت المساء جاءتني الجارية فسلمت علي وقالت يا عمر هل رأيت ذلك الوجه قالت أي والله قالت أفنحب أن أريكه الثالثة قالت اذا تكوئين أعظم الناس على منة قالت على الشريطة قالت نعم فاستخرجت المعجر وعجرتني به وقادتني حتى أتت بي المضرب فلما توسطته فتحت العصابة عن عيني فاذا أنا في مضرب ديباج أخضر مدثر بحمرة مفروش بخز أحمر واذا انا بالشمس الضاحية قد أقبلت من وراء الستر كحور الجنان فسلمت علي وقالت أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها قالت أنا ذاك قالت أنت القائل

نَعَبَ الْغُرَابُ بَيْنَ ذَابِ الدَّمْلَجِ لَيْتَ الْغُرَابَ يَبَيِّنُهَا لَمْ يَشْجَحِ

مَا زِلْتُ أَتَّبِعُهُمْ وَأَتَّبِعُ عَيْسَهُمْ حَتَّى دُفَعْتُ إِلَى رَبِيبَةٍ هَوْدَجِ

قَالَتْ وَعَيْشُ أَخِي وَحُرْمَةُ وَالِدِي لَا نَبِيَّ إِلَّا الْحَيُّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ

فَلَمَّتْ فَاهَا آخِذَا بَقْرُومَهَا شَرِبَ النَّزِيفَ بَرْدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ
فَتَنَاوَلَتْ كَفِّيَ لَتَعْرِفَ مَسَهَا بِمُخَضَّبِ الْأَطْرَافِ غَيْرِ مُشَنِّجِ

قلت انا قائلها . قالت يا عدو الله أنت الذي فضحتنا ونفسك وجهي من
وجهك حرام ان عدت الى يا جوارى اخرجنه فوثب الى الوصائف
وأخرجني ودفعني الى الجارية فعجرتني وقادنتي وقد كنت عند خروجي
من مضربي ضربت يدي بالخلق وأسدت عليها ردائي فلما صرت الى باب
مضربها أخرجت يدي ووضعتها على جانب المضرب وضعا بينا فلما أصبحت
صحت بغلامي وعبيدي ولي الف عبد من اتاني بخبر المضرب الذي ضرب فيه
بكذا وكذا فهو حر لوجه الله فلما كان في وقت المساء أتتني وليدة سوداء
فقال قد عرفت المضرب وهو لرملة أخت عبد الملك بن مروان فأعقبتها
وأمرت لها بمائتي دينار وأسرت بمضربي فقلع وضرب بحذاء مضربها
وكتب بالخبر الى عبد الملك بن مروان فكتب اليها بالرحيل فركبت
هودجها وركبت فرسى فزاحمتها في بعض الطريق فأشرفت على من هودجها
فقال اليك عنى أيها الرجل . قلت خاتم او قميص اذكرك به . فقالت لبعض
جوارىها التي اليه قميصا من قميصي فأخذته وانا اقول

فلا وأبيك ما صوتُ العَوَانِي ولا شَرِبُ التي هي كالْفُصُوصِ

أَرَدْتُ بِرَحْلَتِي وَارِيدُ حَظًّا وَلَا أَكُلُ الدَّجَاجِ وَلَا الْخَبِيسِ

قِمِصٌّ مَا يُفَارِقُنِي حَيَاتِي أُنِيسُ فِي الْمَقَامِ فِي الشُّخُوصِ

وجعلت أنزل بنزولها وأركب بركوبها حتى كنا من الشام على ثلاث مراحل
فاستقبلها عبد الملك في خاصته فدخل اليها . ثم قال يارملة ألم انهك ان تطوفي

بالبيت الا ليلاً يحفك الجوّاري ويحف الجوّاري الخدم ويحف الخدم الوكلاء
 لكلا يراك عمر بن أبي ربيعة . قالت والله وحياء امير المؤمنين ماراً في ساعة
 قط فخرج من عندها فبصر بمضربى . فقال لمن المضرب قيل لعمر بن أبي
 ربيعة . قال علىّ به فأتيته بلا رداء ولا حذاء فدخلت عايه وسلمت عليه
 فقال يا عمر ما حملك على الخروج من الحجاز من غير اذن . قلت شوقا اليك
 يا امير المؤمنين وصبابة الى رؤيتك فاطرق مليا ينكت في الأرض بيده ثم
 رفع رأسه فقال يا عمر هل لك في واحدة . قلت وما هي يا امير المؤمنين
 قال رملة ازوجكها . قلت يا امير المؤمنين وان هذا لكائن . قال أى ورب
 السماء ثم قال قد زوجتك فادخل اليها من غير أن تعلم فدخلت عايها فقالت
 من أنت هبلك أمك فقلت ياسيدي أنا المعذب في الثلاث فارتحلت وأنا
 عدلها فأنشأت أقول

لَعَمْرِي لَقَدْ نِلْتُ الَّذِي كُنْتُ أُرْتَجِي وَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشِي الَّذِي كُنْتُ أُحْذَرُ
 فَلَيْسَ كَمِثْلِي الْيَوْمَ كَسْرِي وَهَزْمِي وَلَا الْمَلِكُ النُّعْمَانُ مِثْلِي وَقَيْصَرُ
 فَلَمْ أَزَلْ مَعَهَا بِأَحْسَنَ عَيْشٍ وَغُبْطَةٍ

✽ محاسن الديب ✽

الأصمعي . قال اخبرني رجل من بني اسد انه خرج في طلب ابل قد
 ضلت فبينما هو يسير في بلاء وتعب وقد أمسى في عشية باردة اذ رفعت له
 اعلام . قال فقصدت بيتا منها فاذا انا بامرأة جميلة ذات جزالة فسلمت فردت
 علىّ السلام . ثم قالت ادخل فدخلت فبسطت لي ومهدت واذا في حجرها
 صبي اطيب ما يكون من الولدان فبينما هي تقبله اذ اقبل رجل امام الابل

دميم المنظر ضئيل الجسم كانه بعرة دمامة واحتقارا فلما بصر به الصبي هس اليه وعدا في تلقائه فاحتمله وجعل يقبله ويفديه فقلت في نفسي اظنه عبدا لها فجاءني ووقف بباب الخيمة وسلم فرددت عليه السلام . فقال من ضيفكم هذا فأخبرته فجلس الى جانبها وجعل يداعبها فطفقت انظر اليها تارة واليه أخرى اتعجب من اختلافهما كأنها الشمس حسنا وكأنه القرود قبحا ففطن لنظري . وقال يا اخا بني اسد اترى عجبا . قال تقول احسن الناس وجهها واقبح الناس وجهها فايث شعري كيف جمع بينهما اخبرك كيف كان ذلك قلت ما احوجنى الى ذلك . قال كنت سابع اخوتي كلهم لو رايتني معهم ظننتني عبدا لهم وكان ابي واخوتي كلهم انحاب ابل وخيل وكنت من بينهم مطروحا لكل عمل دني للعبودية تارة ولرعي الابل اخرى فيينا انا ذات يوم تعب مكتئب اذ ضلت لنا بعير فتوجه اخوتي كلهم في بغائه فلم يقدروا عليه فاتوا ابي وقالوا ابعث فلانا ينشد لنا هذا البعير فدعاني ابي وقال اخرج فانشد هذا البعير . فقلت والله ما انصفتني ولا بنوك اما اذا الابل درت البائها وطاب ركوبها فانتم جماعة اهل البيت اربابها واذا ندت ضلالها فانا باغيها . فقال قم يالكم فاني اراه آخر يومك فغدوت مقهورا خلق الثياب حتى اتيت بلاداً لا أنيس بها فطفقت يومى ذلك أجول الفقر فلما أمسيت رفعت لي أبيات فقصدت أعظم بيت منها فاذا امرأة جميلة مخيلة للسودود والجزالة فبدأتني بالنحية وقالت انزل عن الفرس وأرح نفسك فأتني بعشاء فتعشيت وأقبلت هذه تسخر منى وتقول مارأيت كالعشية أطيب ريحا منك ولا انظف ثوبا ولا اجمل وجهها . فقلت : يا هذه دعيني وما انا فيه فاتني عنك في شغل شاغل فأبت على . وقال هل لك ان تلج عليّ السجف

اذا نام الناس فأغراني والله الشيطان فلما شبعت من القرى وجاء ابوها
 واخوتها فضجعوا امام الخيمة قمت ووكرته برجلي . قالت ومن انت .
 قلت الضيف . قالت لحيالك الله اخرج عليك لعنة الله فعلمت اني لست
 في شيء من أمرها فوليت راجعاً فوأنبى كلب لهم كأنه السبع لا يطاق فأراد
 أكلني فأنشب أنيابه في مدرعة صوف كانت عليّ وجعل يمزقني فردني
 القهقري وتعذر عليّ الخلاص فأهويت أنا والكلب من قبل عقي في بئر
 فأحسن الله اليّ أنه لا ماء فيها فلما سمعت المرأة الراغية أتت بجبل فأدلته
 وقالت ارتق لعنك الله فوالله لو لا انه يقتبس أثري غدا لوددت أنها قبرك
 فاعتنقت الجبل فلما كدت أن اتناول يدها قضى أن تهوّر ماتحت قدميها
 فإذا أنا وهي والكلب في قرار البئر بئر أيما بئر انما هي حفرة لا طي لها
 ولا مرقاة كأشد بلية بنا عضا الكلب يابح من ناحية وهي تدعى بالويل
 والثبور من ناحية وأنامنقبع قد برد جلدي على القتل من ناحية فلما أصبحت
 أمها فقدتها فلما لم ترها أتت أباه فقالت يا شيخ أعلم أن ابنتك ليس لها
 أثر يحس وكان أبوها عالماً بالآثار تابعاً لها فلما وقف على شفير البئر ولي
 راجعاً فقال لولده يا بني أعلمون أن أخنكم وضيغكم وكلبكم في البئر
 فبادروا كالسباع فمن بين آخذ حجراً وآخر سيفاً أو عصاً وهم يومئذ
 يريدون ان يجعلوا البئر قبري وقبرها فلما وقفوا على شفير البئر قال أبوهم
 ان قتلتم هذا الرجل طولبتم بدمه وان تركتموه افتضحتم وقد رأيت أن
 أزوجهما اياه فوالله ما يقدح لها في نسب ولا في حسب ثم قال لي أفيك
 خير فلما شممت روح الحياة وثاب اليّ عجلي قلت وهل الخير كله الا في
 فهات اخنكم : فقال مائة بكرة وبكرة وجارية وعبد فقلت لك ذلك وان

شدت فازدد فاخرجت أولا والكلب ثانياً وأخرجت ثالثاً فأثيت ابني فقال لا أفلحت فأين البعير . قلت أربع عليك أيها الشيخ فانه كان من القصة كيت وكيت . قال افعل والله لا أخذلك فدعا بالابل فأعد منها مائة بكرة وبكرة وستفناها مع جارية وعبد واخذت منه هذه غرة نفسها قال هي والله كذلك وجعلت تصدف عن حديث زوجها صدوف المهرة العربية سمعت لجامها وربما قالت لا اطاب الله خبرك

﴿ ضده مساوى الديب ﴾

قال وقيل لخراش الاعرابي حدثنا ببعض هناتك قال : خرجت في بغاء ذود لي فدفعت في عشية شالية الى أخبية كثيرة فضافوا وحيوا ورحبوا فلما أردت النوم أقاموا فتاة لهم من موضع مبيتها وجعلوني مكانها لئلا أتأذى بالغنم واني لمضطجع اذا أنا بيد انسان يحامشني ويريد في الظلمة مؤاتاتي فتمعدت فاذا أنا برجل يمد يده ومعه علبة فيها أرنب مشوية فأخذتها وجعلتها في شيء كان معي ثم مد يده ثانيا فناولته يدي فأقبضني على غرمول كمثل الوند فلم أنفر منه ولم أره وحشة وجردت ما عندي وتناولت يده فأقبضته على مثل ما أقبضني عليه ففطن ورمي بمحففة خز كانت عليه ووثب مدعورا فنفرت الابل وهاجت الغنم وكدت أغشى لما بي من الضحك وأخفيت ما بي وكتمته فلما أصبحت ركبت راحتي ومعي الملعقة والعلبة والارنب فلما امتد الضحى اذا أنا بابل فاخذت نحوها فاذا شاب حسن الهيئة فسلمت فرد السلام ثم قال ان كان معك مانأ كل نصب من هذا الوطب فاخرجت العلبة فلما رآها عرفها وقال انك هو قلت وما هو قال

صاحب البارحة . قلت نعم ان كنت إياه قال الحمد لله الذي أتى بك لو لم تأت لظننت اني أوسوس وذلك اني لصاحبة الستر عاشق وتعلم ما فعلت وفعلت البارحة ولا تطبقت له حتى ابتلاني الله بك البارحة وجعلت أقول حين أقبضتني عليه اترأها تحولت رجلاواني لفي شك من اسرى حتى اتاني الله بك فاكلت انا وهو الارنب وشربنا من اللبن وصرنا اصدقاء : الاصمعي . قال اتى خالد بن عبد الله اعرابي فاضافه وأحسن اليه وبذل له صحن الدار فلما كان في بعض الليل اشرف عليه يتعاهد منه ما كان يتعاهد من ضيفه فاذا هو قد دبَّ على جارية وهو على بطنها فاعرض عنه فمالبت الاعرابي ان فرغ وقام يمسح فيشاته بالحائط فضربته عقرب فصاح واستغاث واشرف خالد عليه وهو يقول

ودارى اذا نام سُكَّانُهَا تُقِيمُ الحُدُودَ بِهَا العَقْرَبُ
اذا غَمَلَ النَّاسُ عَنْ دِينِهِمْ فَإِنَّ عَمَارِينَا تَغَضِبُ

قال وكان اعرابي ضيفا لقوم فنظر الى جارية جميلة فدب اليها فاذا عجوز في صحن الدار تصلي فعاد الى فراشه ثم عاودها فنبح الكلب ثم عاد اليها فاذا القمر قد طلع فانشأ يقول

لَمْ يَخْلُقِ اللهُ خُلُقًا كُنْتُ أَكْرَهُهُ إِلَّا الْعَجُوزَ وَعَيْنَ الْكَلْبِ وَالْقَمَرَ

هذا يصيحُ وهذا يُسْتَضَاهُ بِهِ وهذه شَيْخَةٌ قَوَّامَةُ السَّحَرِ
وقال وشرب سعيد بن حميد البصرى عند راشد فدب على غلامه فكتب اليه سعيد

مَا سَمِعْنَا مِنْ قَبْلِهَا بِأَدِيبٍ بَارِعِ الظُّرْفِ مَا جِدَ قَمَقَامٍ

ضلَّ عنه وهو المهذبُ علماً فتَكَاتُ الكُؤُوسِ بالأحلامِ
 أينَ ماجاءَ منَ حديثِ رسولِ اللهِ سَيِّدِ الحُكَّامِ
 ما على مُثْقَلٍ مِنَ النَّوْمِ والسَّكَرِ انِ عَيْبٌ فيما أتى منِ أنامِ
 ثمَّ أينَ الذي بهِ حَكَمَ المأْ مونُ في الظُّرْفِ منه والإِسلامِ
 أثمًا ما جدَّ أرادَ سُروُرا باجتماعِ منِ مَعَشَرِ النَّدَامِ
 فعليه طيُّ البِساطِ بما قد سنَّهُ السَّكَرُ منِ قَبِيحِ وذامِ
 جُلتَ بيني وبينَ عَقْلِي بِأَرْطَا لكِ والمُتَرَعَاتِ منِ كُلِّ عامِ
 ثمَّ وَكَلَّتْ في العُصُوفِ رَشيقًا فسَقَانِي بِطَرْفِهِ والمُدَامِ
 ثمَّ با كَرَّتَنِي بِعَتَبِكَ وَاللَّوْ مٍ لَقَدْ حَدَّثَتْ عَن سَبِيلِ الكِرَامِ
 وتَغَضَّبْتَ أَنِّي قُدْتُ عَمْرًا ثمَّ ثَنَيْتُ بَعْدَهُ بِغَرَامِ
 هلْ رَأَيْتَ الإِلَهَ يَأْخُذُ بِمَجْنُو نًا بِسُكْرِ أَوْ حَالِمًا فِي مَنَامِ
 لَنْ تَرَانِي مُعَاشِرًا لَكَ مَا عَشَشْتَ وَلَوْ دُمْتُ عَائِشًا أَلْفَ عامِ
 أَوْ تُرَى تَائِبًا وَتَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ لِمَا كَانَ مِنْ شَنِيعِ الكَلَامِ

فاجابه راشد فقال

يَا أَبَا جَعْفَرٍ سَلِيلَ المَعَالِي وَنَجِيبَ الأُخْوَالِ والأَعْمَامِ
 إِنْ يَكُنْ قَدْ أَتَاكَ عَنِّي مَرْحٌ لَمْ يَكُنْ عَن حَقِيقَةٍ فِي الكَلَامِ
 أَوْ أَكُنْ فِيهِ كَالَّذِي كَانَ يَغْدُو بِمَلَامٍ عَلَيْكَ فِي اللُّوَامِ
 إِنِّي عَالِمٌ بِأَنَّكَ لَمْ تَأْ تِ قَبِيحًا وَلَا آرَتِكَ ابِ الإِثَامِ

هُوَ ذَنْبُ الْمَدَامِ لَا ذَنْبُ خَلٍ لَمْ يَزَلْ حَافِظًا لِعَهْدِ الدِّمَامِ
 ثُمَّ ذَنْبُ الْعُيُونِ يَا ابْنَ حَمِيدٍ فَلَهُ الذَّنْبُ بَعْدَ إِسْتِ غَرَامِ
 قَعْدًا فِي طَرِيقِ أَيْرِكَ حَتَّى عَرَّضَاهُ لِلظَّنِّ وَالْإِتِّهَامِ
 فَتَعَمَّدَ أَخَاكَ بِالصَّفْحِ فَالصَّفْحُ دَلِيلٌ عَلَى سَجَايَا الْكِرَامِ
 إِنِّي تَائِبٌ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِمَا كَانَ مِنْ شَنِيعِ الْكَلَامِ

ما قيل في ذلك من الشعر

فَمَا أَعْيُنُ عَشْرَةٍ عَلَى سَاقِ نَرْجَسٍ تَسَاحُطُ عَيْنُ الشَّمْسِ بِالْمُتَلِّ الصَّفْرِ
 بِأَحْسَنَ مِمَّنْ رَأَى بَعْدَ هَبْجَةٍ يَمِيسُ هُرَيْنًا فِي الظَّلَامِ عَلَى دُعْرِ

قال ودب رجل على قينة في مجلس فغنت

مَاذَا يُشَوِّشُ طَرَفِي يَقُومُ فِي وَقْتِ السَّجَرِ
 مَاذَا يُعَالِجُ تَكَلُّفِي وَيَلَامُ عَذَابِي السَّهَرِ

وقال علي بن حمزة

مُتَوَرِّدُ الْخَدَّيْنِ مِنْ خَجَلٍ مُخَاذِلُ الْأَعْضَاءِ مِنْ كَدَلٍ
 خَاضَ الدَّجَا وَالشَّوْقُ يُحْمِلُهُ وَأَنْتَكَ يَمْشِي غَيْرُ مُتَعَلٍ
 مَا رَاعَنِي إِلَّا تَدَافَعُهُ كَالْفَصْنِ بَيْنَ الصَّدْرِ وَالْكَفْلِ

وقال عمرو بن أبي ربيعة الخزومي

قَالَتْ وَأَبْثَثْنَا سِرِّي وَبُجْتُ بِهِ قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تَحِبُّ السَّيْرَ فَاسْتَرِ
 أَلَسْتُ تَبْصِرُ مَنْ حَوْلِي فَقُلْتُ لَهَا غَطَى هَوَاكَ وَمَا أَتَى عَلَى بَصَرِي

﴿ محاسن الباء ﴾

حكى عن عالج جارية مكشوح أنها حدثت مولانها أنها كانت تغتسل كل يوم فساءلها عن ذلك . فقالت يا هذه أنه يجب على المرأة ما يجب على الرجل بعد احتلامه . قالت أو تحتملين . قالت انه لاتأتي على ليلة لأجامع فيها الا وأحتم . قلت فكيف يكون ذلك قالت أرى كأن رجلا جامع ولقد رأيت ليلة كأنني مررت بدكان أبي مالك الطحان وبغل له واقف قد أدلى ورماني تحته وأولاه فاحتلمت ثم انتهت وأنا أجد معكة في مراق بطني ولذة في سويداء قلبي وكان هذا البغل اذا أدلى حك الارض برأس أيرمه وضرب به في بطنه فترى الغبار يتطاير عن يمينه وشماله . قال وكانت مهديّة بنت جبير التغلبيّة تقول مافي بطن الرجل بضعة أحب الى المرأة من بضعة تناط بعقد الحالبين ومنفرج الرجلين : حدثني جهم . قال قلت لامرأة من كاب ما أحب الأشياء من الرجل الى النساء قالت ما يكثر الاعداد ويزيد في الاولاد حربة في غلاف تناط بحقوي رجل جاف اذا غافس أو هي واذا جامع أنجبى . قال وقال أبو نمامة لامرأة من زبيد وهي تبكي عند قبر من الميت قالت كان يجمع بين حاجبي والساق ويهزني هز الصارم الاعناق ووالله لولا ما ذكرته لك ما استهت بالدموع عيناى وقد كذبتك امرأة تبكي على زوجها لغير ما أعلمتك . . قال وركب الرشيد حمارا مصرياً وطاف على جواريه . فقالت له واحدة يا مولاي ما أكثر ما تركت هذا الحمار . قال لانه يسب طيفور . قال فمن يسب طيفور يركب . قال نعم قالت فني حرام طيفور . قال فزل وواقعها وأنشد في مثله

نَظَرْتُ إِلَيْهَا حِينَ مَرَّتْ كَأَنَّهَا عَلَى ظَهْرِ عَادِيٍّ فَنَاقَتْ مِنَ الْجِنِّ
وَلِي نَظَرٌ لَوْ كَانَ يُجِبُّ نَظْرُ بَنَظَرَتِهِ انِّي لَقَدْ حَبَلْتُ مِنْهُ

☆ ضده في مساوى العنين ☆

قال بعضهم تزوج العجاج امرأة يقال لها الدعناء بنت مسجل فلم يقدر
عليها فشكت ذلك الى أهلها فسألوه فراقها فأبى وقال لأبيها تطاب لا بئتك
الباء . قال نعم عسى أن ترزق ولدا فمن مات كان فرطا وان عاش كان قرة
عين فقدموه الى السلطان فأجله شهرا ثم قال

قَدْ ظَنَنْتِ الدَّهْنَا وَظَنْ مَسْجَلُ أَنْ الْأَمِيرَ بِالْقَضَاءِ يُعْجَلُ
عَنْ كَسَالَتِي وَالْحِصَانُ يَكْسُلُ عَنِ السَّفَادِ وَهُوَ طَرَفُ هَيْكَلُ
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ فَقَالَتْ

تَبَحَّ أَنْ تَمْلِكَنِي بِضَمٍّ وَلَا بِتَقْيِيلٍ وَلَا بِشَمٍّ
إِلَّا بِزَعْرَائِرٍ يُسَلِّي هَمِّي يَسْتَطِئُ مِنْهُ فَتَخِي فِي كَمِّي
يَطِيرُ مِنْهُ حَزَنِي وَغَمِّي

ابن أبي الدنيا أن اعرابيا أخبره أن امرأة منهم زفت الى رجل فعجز
عنها فتذاكر الحي أمر الضعفاء من الأزواج عن الباء وامرأة الاعرابي
تسمع فتكلمت بكلام ليس في الارض أعف منه ولا أدل على عجز الرجل
عن النساء فقالت متمثلة

تَبَيْتُ الْمَطَايِحَ حَادَاتٍ عَنِ الْهَدَى إِذَا مَا الْمَطَايَا لَمْ تَجِدْ مَنْ يُقِيمُهَا
الرقاشي : قال حدثني أبو عبيدة قال سمعت ناسا من الحجاز يقولون تزوج

رجل منا امرأة فعجز عنها الا أنه اذا لامسها ابتأر فيها فقضى أن حملت
وما مكثت الا أن رأس ولدها جلس في المجلس فقال له قائل لقد جئت من
بلد قليل قال جئت من بلد لو أصاب مغيض أمك لكان كما قال الشاعر
رَطِبُ الْعُتْبَاعِ إِذَا حَرَّكَتْ جَوْهَرَهُ وَجَدْتَ أَعْضَاءَهُ غُرَقَى مِنَ الْبَلَلِ
وَلَمْ أَهْجَنَّهُ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ قَلَّتْ سَلَامَتُهُ مِنْ جَانِبِ الْكَفَلِ
الهلالى : قال رأيت وافر بن عصام يسير المهدى فحدثه بحديث فضحك
فقلت له حدثني ما حدثت به المهدى قال سألتني ما عندك للنساء فقلت ما هن
عندي الا حديث ابن حزم قال وما حديثه : قلت عمر حتى بلغ الثمانين
فتزوج ابنة عم له فلما أهديت اليه قعد بين شقيها فاكسل وأراق على بطنها
فاقبل عليها كلمه تنذر فقال هذا خير من الزناء . قالت كل ذلك لاخير فيه .
قال وشكت امرأة زوجها وأخبرت عن عجزه انه اذا سقط عليها انطبق
والنساء يكرهن وقوع الرجل على صدورهن فقالت زوجي عيايا طباقا
وكل داء له دواء وقيل في ذلك

جَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا مِنْ رَفِيقٍ إِذَا بُلِّغْتَ مِنْ رَكْبِ النِّسَاءِ
رَمَاكَ اللَّهُ مِنْ عِرْقٍ بِأَفْعَى وَلَا عَافَاكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ
أَجْبُنَا فِي الْكَرِيمَةِ حِينَ تَلْقَى وَنَعْظًا حِينَ تَغْبُرُ فِي الْخَلَاءِ

✽ محاسن النيروز والمهرجان ✽

قال الكسروي كان أول من أبدع النيروز وأسس منازل الملوك وشيد معالم
السلطان واستخرج الفضة والذهب والمعدن واتخذ من الحديد آلات وذلل
الحليل وسائر الدواب واستخرج الدروجلب المسك والعنبر وسائر الطيب وبني

القصور واتخذ المصانع وأجرى الانهار كياخسرو بن ابرويز جهان وتفسيره حافظ الدنيا بن ارغشدد بن سام بن نوح عليه السلام وكان الاصل فيه انه في النيروز ملك الدنيا وعمر أقاليم إيران شهر وهي ارض بابل فيكون النيروز في اول ما اجتمع ملكه واستوت اسبابه فصارت سنة وكان في ملكه الف سنة وخمسين سنة ثم قتله البيوراسف وملك بعده الف سنة الى افريدون بن اثفيان وفيه يقول حبيب

وَكَاثَةُ الضَّحَّاكُ فِي فَتَكَاتِهِ بِالْعَالَمِينَ وَأَنْتَ أَفْرِيدُونُ

فطلب البيوراسف وملك بعده الف سنة وخمسين سنة واسره بارض المغرب وكبله وسجنه بجبل دناوند واستوفى عدة ما كتب الله له من عمره وانفق لافريدون سجن البيوراسف يوم النصف من مهرماه ومهرروز فسمى ذلك اليوم المهرجان فالنيروز لجم والمهرجان لافريدون والنيروز اقدم من المهرجان بالني وخمسين سنة وقسم جم ايام الشهر وجعل الخمسة الايام الاولى للاشراف وبعدها خمسة ايام نيروز الملك يهب فيها ويصل ثم بعدها خمسة ايام لخدم الملك وخمسة ايام لخوادم الملك وخمسة لجنده وبعدها خمسة ايام للرعاع فذلك ثلاثون يوما وابتدع المهرجان افريدون لما اسر البيوراسف روزمهر وكان الملك اذا لبس زيفته ولزم مجلسه في هذين اليومين اتاه رجل رضى الاسم مختبر باليمن طلق الوجه ذلق اللسان فيقوم قبالة الملك ويقول ائذن لى بالدخول فيسأله من انت ومن اين جئت واين تريد ومن سار بك ومع من قدمت وما الذى معك فيقول جئت من عند الایمنين واريد الاسعدين وسار بى كل منصور واسمى خجسته اقبلت معي السنة الجديدة وأوردت الى الملك بشارة وسلاماً ورسالة فيقول الملك

أُذِنُوا لَهُ فَيَقُولُ لَهُ الْمَلِكُ ادْخُلْ وَيَضَعُ يَدَيْهِ خَوَانًا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ جُمِعَ فِي
نَوَاحِيهِ أَرْغَافَةٌ قَدْ خَبِزَتْ مِنْ أَنْوَاعِ الْحُبُوبِ مِنَ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ وَالْذَّخْنِ وَالذَّرَّةِ
وَالْحَمَصِ وَالْعَدَسِ وَالْأَرَزِ وَالسَّمْسَمِ وَالْبَاقِلَى وَاللُّوبِيَا وَجُمِعَ مِنْ كُلِّ صَنْفٍ
مِنْ هَذِهِ الْحُبُوبِ سَبْعُ حَبَاتٍ فَجَعَلَ فِي جَوَانِبِ الْخَوَانِ وَوَضَعَ فِي وَسْطِهِ
سَبْعَةَ مِنْ قُضْبَانِ الشَّجَرِ الَّتِي يَتَفَاعَلُ بِهَا وَبِاسْمِهَا وَيَتَبَرَّكُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا كَالْخِلَافِ
وَالزَّيْتُونِ وَالسَّفَرَجِلِ وَالرَّمَانِ مِنْهَا مَا يَقْطَعُ عَلَى عَقْدَةٍ وَمِنْهَا عَلَى عَقْدَتَيْنِ
وَمِنْهَا عَلَى ثَلَاثَةٍ وَيَجْعَلُ كُلُّ قُضْبٍ بِاسْمِ كَرَّةٍ مِنَ الْكُورِ وَيَكْتُبُ فِي مَوَاضِعِ
أَبْزُودٍ وَأَبْزَائِدٍ وَأَبْزُونٍ وَبَرْوَارٍ وَفَرَاخِيٍّ وَفَرَاهِيٍّ تَأْوِيلُهُ زَادَ وَيَزِيدُ وَزِيَادَةٌ
وَرَزَقٌ وَفَرَحٌ وَسَعَةٌ وَيُوضَعُ سَبْعُ سَكَّرَاتٍ بَيِضٌ وَدِرَاهِمٌ بَيِضٌ مِنْ ضَرْبِ
سَنَتِهِ وَدِينَارٌ جَدِيدٌ وَضَعَتْ مِنْ أَسْبَنْدٍ وَيَتَنَاوَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَدْعُو لَهُ بِالْخُلُودِ
وَدَوَامِ الْمَلِكِ وَالسَّعَادَةِ وَالْعِزِّ وَلَا يُؤَامِرُ يَوْمَهُ فِي شَيْءٍ أَشْفَاقًا مِنْ أَنْ يَبْدُوَ
مِنْهُ مَا يَكْرَهُ فَجَرَى عَلَى سَنَتِهِ وَكَانَ أَوَّلُ مَا يَقْدُمُ إِلَيْهِ صِينِيَّةٌ ذَهَبٌ أَوْ فِضَّةٌ
عَلَيْهَا سَكَّرٌ أَبْيَضٌ وَجُوزٌ هِنْدِيٌّ مَقْشَرٌ رَطْبٌ وَجَامَاتٌ فِضَّةٌ أَوْ ذَهَبٌ وَيَبْتَدِئُ
بِاللَّبَنِ الْحَلِيبِ الطَّرِيٍّ مِنْهُ قَدْ انْتَقَعَ فِيهِ تَمْرٌ طَرِيٌّ فَيَتَنَاوَلُ بِالنَّارِ جِيلَ تَمِيرَاتٍ
وَيَتَحَفَّ مِنْ أَحَبِّ مِنْهُ وَيَذُوقُ مَا أَحَبَّ مِنَ الْحُلُوى وَكَانَ يَرْفَعُ فِي كُلِّ يَوْمٍ
مِنْ أَيَّامِ النِّيرُوزِ بَازٌ أَبْيَضٌ وَكَانَ مِمَّنْ يَتِمَنَّ بِأَبْتَدَائِهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ لَقْمَةً مِنْ
اللَّبَنِ الصَّرْفِ الطَّرِيٍّ وَالْجَبْنِ الطَّرِيٍّ وَكَانَ جَمِيعُ مُلُوكِ فَارَسٍ يَتَبَرَّكُونَ
بِذَلِكَ وَكَانَ يَسْرِقُ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ نِيرُوزِ مَاءٍ فِي جَرَّةٍ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ فِضَّةٍ
وَيَقُولُ اسْتَرْقَ هَذَا الْأَسْعَدِينَ وَيَتَحَمَّلُ الْأَيْمَنِينَ وَجَعَلَ فِي عُنُقِ الْجَرَّةِ قَلَادَةً
مِنْ يَوَاقِيتِ خَضَرٍ مَنْظُمَةٍ فِي سَلَكِ الذَّهَبِ مَمْدُودٍ فِيهَا خَرَزٌ مِنْ زَبْرِجَدٍ
أَخْضَرٍ وَلَمْ يَكُنْ يَسْرِقُ ذَلِكَ الْمَاءَ إِلَّا الْبَكَارُ مِنْ أَسَافِلِ دَارَاتِ الْأَرْحَاءِ وَصَنَائِعِ

الغنى فكان متى اجتمع النيروز في يوم سبت أمر الملك لرأس الجالوت بأربعة آلاف درهم ولم يعرف له سبب أكثر من أن السنة جرت منهم بذلك فصارت كالجزية فكان يبنى قبل النيروز بخمسة وعشرين يوماً في صحن دار الملك اثنتا عشرة اصطوانة من لبن تزرع اصطوانة منها برا واصطوانة شعيراً وأخرى أرزا وأخرى عدساً وأخرى باقلى وأخرى قرطماً وأخرى دخناً وأخرى ذرة وأخرى لوبيا وأخرى حمصاً وأخرى سمسماً وأخرى ماشاً ولم يكن يحصد ذلك الا بغناء وترنم وهو وكان يوم السادس من يوم النيروز واذا حصد نثر في المجلس ولم يكسر الى روزه من ماه فروردين وانما كانوا يزرعون هذه الحبوب للتناول بها ويقال أجودها نباتاً وأشدّها ستواء دليل على جودة نبات ما زرع منها في تلك السنة فكان الملك يتبرك بالنظر الى نبات الشعير خاصة وكان مؤدب الرماة يتناول الملك يوم النيروز قوساً وخمس نشابات وينال الملك قيمه على دار المملكة أترجه فكان فيما يغنى بين يدي الملك غناء المخاطبة وأغاني الربيع وأغاني يذكر فيها أبناء الجبابرة وتوصف الأنواء وأغاني أفرين والخسرواني والمآذر استاني والفهلبد وكان أكثر ما يغنى العجم الفهلبد مع أيام كسرى أبرويز وكان من أهل مرو وكان من أغانيه مديح الملك وذكر أيامه ومجالسه وفتوحه وذلك بمنزلة الشعر في كلام العرب يصوغ له الالحان ولا يمضي يوم الا وله فيه شعر جديد وضرب بديع وكان يذكر الاغاني التي يستعطف بها الملك ويستميحه نرازيته وقواده ويستشفع لمذنب وان حدثت حادثة أو ورد خبر كرهوا انهاء اليه قال فيه شعراً وصاغ له لحناً كما كان فعل حين نفق مركوبه شبديز ولم يجسروا على انهاء ذلك فغنى بها وذكر أنه محمود في أريه ماد قوائمه

لا يعتلف ولا يتحرك فقال الملك هذا قد نفق اذا قال أنت قلت ذلك أيها الملك
وكان يضطر بأشعاره أن يتكلم بالذي يكره عماله أن يستقبلوه به

(العلة في صب الماء) ذكروا أن العلة في صب الماء أنه كان أول من

تكلم في المهد قبل المسيح زوبن طهمست وكان مات أبوه على قحط شديد قد
شمل الأقاليم فتكلم ودعا الله تبارك وتعالى فسقى الناس الغيث وأخصبت
أرضهم وعاشت مواشيتهم فجعلوا صب الماء فيه سنة . . وقد حكى أيضاً عن
أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين صلوات الله عليه أنه قال في ذلك أن
ناساً من بني اسرائيل أصابهم الطاعون فخرجوا من مدينتهم هاربين الى
أرض العراق فبلغ كسرى خبرهم فأمر أن يبنى لهم حظيرة يجعلون فيها لترجع
أنفسهم اليهم فلما صاروا في الحظيرة ماتوا وكانوا اربعة آلاف نفس ثم ان
الله تبارك وتعالى أوحى الى نبي ذلك الزمان ان رأيت محاربة بلاد كذا
فحاربهم ببني فلان فقال يارب كيف احاربهم بهم وقد ماتوا فأوحى الله اليه
اني احييهم لتحارب بهم وتظفر بعدوك فأمطر الله عز وجل ليلة صب
الماء فاصبحوا احياء فهم الذين قال الله تعالى فيهم (ألم تر الى الذين خرجوا
من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) قال هؤلاء
قوم اصابهم عنة من الازل فخطوا زمانا فهزلوا واجدب بلادهم فغيثوا في
هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا وأخصبت بلادهم فجعله الفرس سنة

(صفة الأيام) قال كسرى يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر

للهو والشرب . وقال غيره يوم السبت يوم مكر وخديعة والأحد يوم غرس
وبناء ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق والثلاثاء يوم حجامة والاربعاء
يوم ضحك ونحس والخميس يوم الحج والجمعة يوم مسجد ونساء وكساء

(في البرد) سئل بعض الحكماء عن البردائه أشد : . فقال اذا أصب
السما نقيه والارض ندية والريح شامية

✽ محاسن الهدايا ✽

قال وكتب الناس في الهدايا فأكثروا من الكلام المشور والش
الموزون وكل يكتب ويقول بمقدار عقله وعلمه حتى قالوا انها قرابة و
كالرحم الماسة والقرابة القريبة وكالحمة النسب وأكثروا من الشفيق ل
رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا . وقيل الهدية تفتح الب
المصمت وتسلسل سخيمة القلب وروي عن عائشة انها قالت اللطفة عطا
وتزرع في القلوب المحبة . قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدا
ويثيب عليها ما هو خير منها وقال عليه الصلاة والسلام لو اهدى الى ذر
لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت وقال عليه الصلاة والسلام الهدية رز
من الله عز وجل فمن اهدى اليه شئ فليقبله وقال صلى الله عليه وسلم
نعم الشئ الهدية أمام الحاجة ما أَرْضَى الغضبان ولا استعطف ولا استب
الهاجر ولا توفى المحذور بمثل الهدية والبر وقال الله عز وجل (وانى مر
اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال ائمنوني بم
فما آتاني الله خيرا مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) وروى ان عا
لعلي رضي الله عنه قدم من بعض الاطراف فاهدى الى الحسن والح
سلام الله عليهما ولم يهد الى ابن الحنفية فقال من مثلا

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَزْرٍ وَبَصَاحِكِ الذِّى لَا تَصْحَيْنَا

فأهدى العامل اليه كما أهدى الى اخويه وروى من أمير المؤمنين علي عليه السلام أن قوما من الدهاقين أهدوا اليه جامات فضة فيها الأخبصة فقال ما هذا قالوا يوم نيروز فقال نيروزنا كل يوم فاكلوا الخبيص وأطعم جلساءه وقسم الجامات بين المسلمين وحسبها لهم في خراجهم ، وقيل ان جلساء المهدي اليه شركاؤه في الهدية . والهدية تجلب المودة وتزرع المحبة وتنفي الضغينة وتركها يورث الوحشة ويدعو الى القطيعة والهدية تصير البعيد قريبا والعدو صديقا والبغيض وليا والثقل خفيفا والعبد حرا والحر عبدا وفيها قول الشاعر

مَا مِنْ صَدِيقٍ وَإِنْ أَبْدَى مَوَدَّتَهُ يَوْمًا بِأَنْجَحَ فِي الْحَاجَاتِ مِنْ طَبَقٍ
إِذَا تَقَنَعَ بِالْمُنْدِيلِ مُنْطَلِقًا لَمْ يَخْشَ نَبْوَءَ بَوَّابٍ وَلَا غَلَقٍ
لَا تُكْثِرَنَّ فَإِنَّ النَّاسَ مُذْخِخُوا لِرَغْبَةٍ كُلَّمَا يُعْطُونَ أَوْ فَرَقٍ

وقال آخر

إِذَا أَرَدْتَ قَضَاءَ الْحَاجِ مِنْ أَحَدٍ قَدِّمْ لِنَجْوَاكَ مَا أَحْبَبْتَ مِنْ سَبَبٍ
إِنَّ الْهَدَايَا لَهَا حَظٌّ إِذَا وَرَدَتْ أَحْطَى مِنَ الْإِ بْنِ عِنْدَ الْوَالِدِ الْحَدَبِ
وقد قيل كل يهدي على قدره .. وذكروا أن سليمان بن داود عليهما السلام بينما يسير بالريح اذ أتى على عش قبرة فيها فراخ لها فأمر الريح فعدلت عن العش فلما نزل وافق يومه ذلك النيروز فجاءت تلك القنبرة حتى رفرفت على رأس سليمان وألقت في حجره جرادة فقبل له في ذلك فقال كل يهدي على قدره .. وكان مما تهديه ملوك الأمم الى ملوك فارس طرائف ما في بلادهم فمن الهند الفيلة والسيوف والمسك والجلود ومن تبت

والصين المسك والحريز والسك والاولانى ومن السند الطواويس والبيغاء
ومن الروم الديباج والبسط وكان القواد والمرازبة والأساورة يهدون
النشاب والاعمدة المصمتة من الذهب والفضة والوزراء والكتاب والخاصة
من قراباتهم جامات الذهب والفضة المرصعة بالجواهر وجامات الفضة الملوحة
بالذهب والعظماء والاشراف البراة والعقبان والصقور والشواهين والفهود
والسروج وآلاتها وربما أهدي الرجل الشريف سوطاً فقبلة وكانت
الحكام يهدون الحكمة والشعراء الشعر وأصحاب الجواهر الجواهر وأصحاب
نتاج الدواب الفرس الفاره والشهري النادر والتمار المصري والبغال الهماليج
والظرفاء قرب الحريز الصيني مملوءة ماورد والمقاتلة القسي والرماح والنشاب
والصياقلة وانزرا دون نصول السيوف والدروع والجواشن والبيض والأسنة
وكانت نسوة الملك تهدي احدها من الجارية الناهدة والوصيفة الرائقة والأخرى
الدرة النفيسة والجوهرة المثمنة وفص خاتم وما لطف وخف وأصحاب البرز
الثوب المرتفع من الخز والوشي والديباج وغير ذلك والصارفة نقر الذهب
والفضة وجامات الفضة مملوءة دنائير وأوساط الناس دنائير ودراهم من ضرب
سنتهم مودعة أترجة أو سفرجلة أو تفاحة والكتاب واقف يكتب كل مهدي
وجائزة كل من يجيزه الملك على هديته ليودع ذلك ديوان النيروز

ومن الهدايا التي لم يسمع السامعون بمثها هدية ابرويز الى ملك الروم
بعقب محاربة بهرام جوبين وقد شارف الروم فأفند رسولا يستنجد به وبعث
اليه مائة غلام من أبناء الاتراك مختارين في صورهم ونفوسهم في آذانهم
أقراط الذهب معلق فيها حب الدر على مراكب بسروج الذهب منظمة
بالبواقيت والزمرد وبعث معه مائدة من عنبر فتحها ثلاثة أذرع مكحلة

المستدار بالدر لها ثلاث قوائم من ذهب احداها ساعد أسد مع كفه
والاخرى ساق وعل مع ظلفه والثالثة كف عقاب في كف الاسد ياقوتة
خضراء وبين ظلفي الوعل ياقوتة حمراء وفي كف العقاب قبجة من اللازورد
عينها ياقوتتان حمراوان تتوقدان حمرة وفي وسط المائدة جام من جزع
يماني فاخر فتحه شبر في شبر مملوء يواقيت حمر وسفط ذهب فيه مائة درة
كل درة مثقال ومائة لؤلؤة كل لؤلؤة مثقال ومائة خاتم من ذهب مرصع
بالجوهر مشبك الأعلى حشوه مسك وغنبر ووصل رسل ابرويز الى ملك
الروم بهذه الهدية فأنجده وأرسل اليه عشرين ألف فارس بالسلاح الشاك
وبعث اليه بألني ألف دينار لأرزاق جتده وألف ثوب منسوج وعشرين
جارية من بنات ملوك الصقالبة بأقبية الديباج المطير في آذانهن أقرطة
الذهب المزينة بالدر والياقوت وعلى رؤسهن أكلية الجوهر وأنفذ اليه
عشرين مركباً على كل مركب صليب تحت كل صليب ألف فارس وألف
برزون وألف شهري وألف بغلة وألف نجيب بسروج مذهبة وألف
مذهبة ولحم من ذهب مصبوب وبرادع مذهبة وجلال وبراقع وديباج
منسوج بالذهب واللؤلؤ وأوقر البغال من السندس والاستبرق والذهب
واللؤلؤ وبعث اليه مساحة جريب أرض من ذهب فيه نخل من ذهب
سعفه الزمرد وطلعة اللؤلؤ وشمابخه الياقوت الأحمر وكربه الجزع وبعث
اليه ألف ألف لؤلؤة كل لؤلؤة بألف دينار وبعث اليه ألف ألف درهم
مناقيه ألف ألف دينار خسرواني وأتى به واعتذر اليه من التقصير فقابله
ملك الروم عامه المقبل يوم النيروز بفارس من ذهب على شهري من
فضة عينا الشهري جزع أبيض محقق بسواد وناصيته وعرفه وذنبه شعر

اسود بيد الفارس صولجان من ذهب والى جانبه ميدان من فضة في وسط الميدان كرة عقيق احمر يحمل الميدان ثوران من فضة والشهري يبول الماء فاذا بال انحط الصولجان على الكرة فمر بها الى اقصى الميدان فتحرك بحركتها الثوران والميدان ويركض الفارس على عجل تحت حوافر الشهري فاما اهل الاسلام فلم يسمع بمثل هدية حسان النبطى الى هشام بن عبد الملك فانه اهدى اليه والى امهات اولاده هدية كثيرة من الكساء والعطر والجوهر وغيرها فاستكثرها هشام وقال بيت المال احق بهذا ثم امر فتودي عليها فبلغت مائة ألف دينار فبعث حسان اثنائها وقال يا امير المؤمنين قد طابت الآن هذه مائة الف دينار تحمل الى بيت المال فاقبل هديتي فقبلها ونادى على مناديه حسان سيد موالى امير المؤمنين قد طابت الآن هذه . واستملح المأمون من أبى سلمة ذكر هدية لطيفة قال اهدى الى امير المؤمنين خواناً من جزع ميلا في ميل فقال المأمون أو قبضت الهدية قيل نعم قال أهى فى دارى أم دارى فيها قال بل هى فى منديل فدعا بهديته فاذا خوان من جزع عليه ميل من ذهب قد صنع من مائة مثقال بطول الخوان وعرضه فاستملحه وقبله .. وأهدت أسماء بنت داود الى أسماء بنت المنصور مائة مرن من فضة فيها أنواع اللعلخ والريحان المطيب ومائة جفنة مطيبة وأنواع من الاطعمة والاشربة وعشرا من الوصائف فى قد واحد فقومت هدينها فبلغت خمسين ألف دينار .. وبعث الحسن بن وهب الى المتوكل بحام من ذهب فيه ألفا مثقال من العنبر وكتب اليه

يَا إِمَامَ الْمُدَى سَعِدْتَ مِنَ الْمَهْرِ بِرُكْنٍ مِنَ الْإِلَهِ عَزِيزٍ
وَبِظَلِّهِ مِنَ النَّعِيمِ مَدِيدٍ وَبِحِرْزِهِ مِنَ الْإِلَهِ حَرِيرٍ

لَا تَزَلْ أَلْفَ حِجَّةٍ مِهْرِجَانٍ أَنْتَ تُفْضِي بِهِ إِلَى النَّيْرُوزِ
وَنَعِيمِ أَلَدٍّ مِنْ نَظَرِ الْمَعْشُوقِ مِنْ بَعْدِ نَبْوَةٍ وَنُشُوزِ

قال خالد المهلبى أهديت الى المتوكل في يوم نيروز ثوب وشي منسوج بالذهب
ومشمة عنبر عاها فصوص جوهر مشبك بالذهب ودرعا مضاعفة وخشبة
بخور نحو القامة وثوبا بغداديا فأعجبه حسنه ثم دعا به فلبسه . وقال يامهلبى
انما لبسته لاسرك به فقلت ياأمير المؤمنين لو كنت سوقة لوجب على الثقتان
تعلم الفتوة منك فكيف وأنت سيد الناس . وأحسن من جميع ما تقدم ذكره
قول عبد الله العباسى والى الحرمين فانه قال هذا يوم يهدي فيه الى السادة
والعظماء والواجب أن أهدي الى سيدي الا كبر ثم دعا بعشرة آلاف
دينار فقسما على أهل الحرمين فكانت فكرته في هذا أحسن من فعله
﴿ التلطف في الهدايا ﴾ كتب سعيد بن حميد الى بعضهم النفس لك
والمال منك غير أنى كرهت أن أخلى هذا اليوم من سنة فأكون من
المقصرين أو أدعي أن فى ملكي ماينى بحقك فأكون من الكاذبين وقد
وجهت اليك بالسفرجل لجلالته والسكر لحلاوته والدرهم لنفاقه والدينار
لعزه فلا زلت جليلا في العيون مهيباً في القلوب حلوا لاخوانك كحلاوة
السكر عزيزا عند الملوك لانحسن أفئتهم الا بك ولا زلت نافقاً كنفاق
الدرهم .. وأهدي احمد بن يوسف الى ابراهيم بن المهدي وكتب اليه
الامراء أعزك الله تسهل سبيل الملاطفة فى البر فأهديت هدية من لا يحتشم
الى من لا يغتم مالا فلا أكره نبيجاً ولا أقله ترفعاً

﴿ هدايا النيروز ﴾ قال كتب الحسن بن وهب الى المتوكل في يوم
نيروز بهذه الرقعة أسعدك الله ياأمير المؤمنين بكر الدهور وتكامل السرور

وبارك لك في اقبال الزمان وبسط بين خلافتك الآمال وخصك بالمزيد
وأبهجك بكل عيد وشد بك أزر التوحيد ووصل لك بشاشة أزهار
الربيع المونق بطيب أيام الخريف المغدق وقرب لك التمتع بالمهرجان والنيروز
بدوام بهجة أيلول وتموز وبمواقع تمكين لا يجاوزه الامل وغبطة اليها نهاية
ضارب المثل وعمر ببلائك الاسلام وفسح لك في القدرة والمدة وأمتع
برأفتك وعدلك الامة وسربلك العافية ورداك السلامة ودرعك العز
والكرامة وجعل الشهور لك بالاقبال متصدية والازمنة اليك راغبة
متشوقة والقلوب نحوك سامية تلاحظك عشقا وترفر فرحاً وشوقاً
وكتب في آخره

فدَاكَ الزَّمانُ وأهلُ الزَّمانِ	إمامَ الهدى بك مُستبشرين
قدْ ألقوا اليك مقاليدَهُمْ	جميعاً مُطيعينَ مُستوسقين
ولا زلتَ زيناً لأعيادِنَا	وللدينِ كهفاً وحصناً حصيناً
يعزُّ بدولتك الصالحونَ	ويشقى بك الشركُ والمُشركونا
فيا ربَّ مُشكلةٍ أبرقتْ	فجللتها السيفَ حقاً يقينا
بصدقِ عزيمةٍ مُستبصرٍ	وضربَ يقدُّ الطلَى والمُتونا
وسمَّتِ النَّصارى بشيطانِها	وذلت منها الأغرَّ البطينا
وكم فعلةٍ لك في المُشركينَ	أقرَّتْ عُيوناً وأبكت عُيوناً

وكتب آخر

المهرجانُ لنا يومٌ نُسرُّ بهِ	يومُ نُظَمُّه الأشرافُ والعجمُ
وأنتَ فيه لنا بذرٌ يُضَى كما	أنَّ السماءَ يذرُ الليلُ تبسُّمُ

وكتب آخر

عِيْدُهُ جَدِيدُهُ وَأَنْتَ جَدِيدُهُ يَا مَنْ بِهِ لِلزَّمانِ تَجْدِيدُهُ
لَا زَالَ طُولَ الزَّمانِ يَرْجِعُهُ وَظِلُّ مُلْكِكَ عَلَيْكَ مَمْدُودُهُ
وقيل للمازني أى هؤلاء أطرف في شعره الذي يقول

جَعَلْتُ فِدَاكَ لِلنَّيرُوزِ حَقًّا فَأَنْتَ عَلَى أَعْظَمَ مِنْهُ حَقًّا
وَلَوْ أَهْدَيْتُ فِيهِ جَمِيعَ مُلْكِي لَكَانَ جَلِيلُهُ لَكَ مُسْتَدَقًّا
فَأَهْدَيْتَ الثَّنَاءَ بِنَظْمِ شِعْرِ وَكُنْتَ لِذَلِكَ مِنِّي مُسْتَحِقًّا
أَمْ الَّذِي يَقُولُ

دَخَلْتُ الشُّوقَ أَبْتَاغُ وَأَسْتَطْرِفُ مَا أُهْدَى
فَمَا اسْتَطَرَفْتُ لِلْإِهْدَا إِلَّا طَرْفَ الْحَمْدِ
إِذَا نَحْنُ مَدْحُكَ رَعِينَا حُرْمَةَ الْمَجْدِ
أَمْ الَّذِي يَقُولُ

وَكَمْ مِنْ مُرْسَلٍ لَكَ قَدْ أَنَانِي بِمَا يُهْدَى الْخَلِيلُ إِلَى الْخَلِيلِ
فَظَهَرَتْ الشُّرُورُ وَقَلَّتْ أَهْلًا وَسَهَّلًا بِالْهَدِيَّةِ وَالرَّسُولِ
فَقَالَ أَشْعَرُهُمْ جَمِيعُهُمْ وَأَطْرَفُهُمُ الَّذِي يَقُولُ

فَوَاللَّهِ لَا أَنْفَكَ أَهْدَى شَوَارِدًا إِلَيْكَ يُحْمَلْنَ الثَّنَاءُ الْمُبَجَّلَا
الَّذِي مِنَ السُّلُوبِ وَأَطْيَبَ نَفْحَةً مِنَ الْمِسْكِ مَقْنُونًا وَأَيْسَرَ مَخْلَا
وَبَعَثَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي طَاهِرٍ قَارُورَةَ مَا وَرَدَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ
وَزَائِرَةً حُورِيَّةً فَارَسِيَّةً كَنَشَرَ حَيْبَ حَادِيوَمَا عَنِ الصَّدِّ
تَرُدُّ رَيْعًا فِي مَصِيفٍ بِنَفْحَةٍ إِذَا قَدَّتْ وَرَدًا تَنْوُبُ عَنِ الْوَرْدِ

حَكِي نَشْرُهُامنهْ خَلَّاقَ نَشْرِهِ كَنَشْرِ نَسِيمِ الرُّوضِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
وَشَبَّهَتْهَا فِي صَفْوِهَا بِصَفَائِهِ لِإِخْوَانِهِ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ وَفِي الْبُعْدِ
وَأَهْدَتْ لَنَا مِنْهُ النَّسِيمَ نَسِيمُهُ وَإِنْ كَانَ إِنْ حَالَتْ يَدُومُ عَلَى عَهْدِ

وعن اسحاق بن ابراهيم الموصلي . قال دار كلام بين الامين وبين ابراهيم
ابن المهدي . قال فوجد عليه الامين فهجره فوجه اليه ابراهيم بوصية
مغنية مع عبد هندی فأبى الامين أن يقبلهما فكتب اليه

هَتَكْتَ الضَّمِيرَ بِرَدِّ اللَّطْفِ وَكَشَفْتَ هَجْرَكَ لِي فَأَنْكَشَفَ
فَإِنْ كُنْتَ تَحْقِذُ شَيْئًا مَضَى فَهَبْ لِلْخِلَافَةِ مَا قَدْ سَلَفَ
وَجُدْ لِي بِعَفْوِكَ عَنْ زَلَّتِي فَبِالْفَضْلِ تَأْخُذُ أَهْلَ الشَّرَفِ

فرضي عنه ودعاه للعنادمة

﴿ هدايا الفصد ﴾ قال ابن حمدون النديم اقتصد المأمون فأهدى اليه

ابراهيم بن المهدي جارية معها عود ورقعة فيها

عَفْوَتَ وَكَانَ الْهَفْوُ مِنْكَ سَجِيَّةً كَمَا كَانَ مَعْقُودًا بِمَفْرَقِكَ الْمُلْكَ
فَإِنْ أَنْتَ أَنْتَمَتَ الرِّضَى فَهُوَ الْمُنَى وَإِنْ أَنْتَ جَارَيْتَ الْمُسِيءَ فَذَا الْهَلْكَ

فقال المأمون خرف الشيخ يوم مثل هذا يذكر الثواب والآخرة فلم يقبل
الوصيفة واغتم ابراهيم وكتب اليه مع الوصيفة

لَا وَالَّذِي تَسْجُدُ الْجِبَاهُ لَهُ مَا لِي بِمَا دُونَ نَوْبِهَا خَيْرُ
وَلَا بِغِيهَا وَلَا هَمَّتْ بِهَا مَا كَانَ إِلَّا الْحَدِيثُ وَالنَّظَرُ

فقال المأمون نعم الآن أقبلها فقبلها . قال أبو القاسم بن أبي داود كنت
عند أحمد بن محمد العلوي وقد اقتصد فخرج بعض الخدم ومعه طبق من

فضة عليه تفاح طيب مكتوب حواليه بالذهب

سُرَّ الْغَدَاةَ بِوَجْهِكَ الْغَبُّ وَجَرَى يُمْنٍ فِصَادِكَ الطَّرْبُ
وَتَدَاعَتْ الْعِيدَانُ فِي زَجَلٍ وَتَنَاوَلَتْ رَاحَتَاهَا النُّخْبُ
فَاشْرَبَ بِهَذَا الْجَامِ يَا مَلِكِي شُرْبًا حَثِيثًا إِنَّهُ عَجَبُ
وَاجْعَلْ لِمَنْ قَدْ خَفَّ فِي لَطْفٍ مِنْ زَوْزُهُ يُخْشِي وَيُرْتَقَبُ

فقال للخادم اخرجها الى الستارة فخرجت وخلا ليلته بها . وقيل اقتصد المعتصم فاهدت اليه شمائل صينية عقيق عليها قدح أسبل عليهما منديل مطيب مكتوب عليه بالعنبر في كل ربع منه بيت شعر

خَضَبَ الْخَلِيفَةُ كَفَّهُ مِنْ فَضْدِهِ بَدَمَ يُحَاكِي عَبْرَةَ الْمُشْتَقِ
تَاهَ الْفِصَادُ فَمَا يُقَامُ لَتِيهِ إِذْ صَارَ مُفْتَصِّدًا أَبُو إِسْحَاقِ
وَتَوَافَتْ الْعِيدَانُ عِنْدَ حُضُورِهِ قُبَّ الْبُطُونِ ذَوَابِلَ الْأَعْنَاقِ
مَلِكٌ إِذَا خَطَرَ الشَّرَابُ بِيَالِهِ لَبَسَ السَّرُورُ غُلَّائِلَ الْإِشْرَاقِ

فلما قرأه أمر باحضار اسحاق بن ابراهيم الموصلی وأمره أن يجعل له لحنا وأمر مسرورا باخراجها من وراء الستارة ثم لم يزل اسحاق يردد هذه الأبيات حتى أحكمتها شمائل وغنت فكأن سقط الدر يتناثر من فيها وأمر لاسحاق بمال وللجارية بخمس وصائف وخمسة آلاف دينار . المبرد قال أهدى اليزيدي الى الرشيد يوم فصد جام بلور وشمامات غالية وكتب اليه يأمر المؤمنين تفاءلت في الشرب في الجام بحمام النفس ودوام الأانس والغالية للفلو في السرور والازدياد من الخير والحبور وقلت

دُمُ الْفَضْدِ مِنْ يَدِكَ الْعَالِيَةِ يُدَاعِي لِجِسْمِكَ بِالْعَافِيَةِ

كسا الدهر نوباً من الأرجوان بدیع الطرازین والحاشیه
وعصفر صفحة وجه الربيع بصنع من أسرارهِ الجاریه
فكم روضة نشرت وشيها وزهرة روض غدت زاهیه
إمام أسال دم المكرّمات فشجج أفتانها الحامیه
فلا زال في عيشة راضية ودامت له النعمة الكافیه

قال اليزيدي افتصد المأمون فأهدت اليه رباح أترجة عنبر عليها مكتوب بماء الذهب
تعالج من هويت بفضد عرق فأضحى السقم في خلع الخضوع
وجاءت تحفة الأبواب تسمى بورز قاتض فيض الدموع
فقال المأمون لليزيدي ويحك ماتقول فيمن كتب هذين البيتين قال يكافأ
بالدنيا وما استدق منها فأمر لها بال كثير ووصلني ببعضه . قال واقتصد
عبد الله بن طاهر فأهدى له أبو دلف جميع ما أصاب في السوق من الورد
وكتب اليه

تضاحك الورد في وجهي فقلت له لم ذا فقال أبو العباس مفتصد
فقمْتُ أطلب ما أهديهِ من طرف للفصد في الشوق حتى خانني الجلد
يوم الفصد له أزر مطيبة محجوبة لا يراها الجرّد والزرد
فاشرب على الورد مسروراً بطاعته يا ابن الكرام فانت السيّد التجرد

قال عمرو بن بانة اعتل المعتم فآشار عليه بختيشوع بالفصد وأنا عنده
فأخرجت اليه هدايا الفصد وكان فيما أخرج طبق صندل مكتوب عليه
بجزع كما بدور عليه شمامات مسك وعنبر فأمر بقراءة ما عليه فاذا هو
فُصِدَ الإمام لعلّة في جسمه فشفني الاله السقم بالفصد

وَجَرَى إِلَى الطُّشْتِ السِّقَامُ مُبَادِرًا وَجَرَى الشَّقَاءُ إِلَيْهِ بِالسَّعْدِ
يَا مَالِكًا مَلَكَ الْعِبَادِ بِجُودِهِ إِسْلَمَ سَلِمَتَ بَعِيشَةٍ رَغْدِ

فقال يا عمرو من يلومني على حب هذه الجارية والله ما أراها الا تزايدت في عيني وخليق أن تنجب فان لها همة فولدت له غلاما وكانت آثار جواربه عنده وأحظا من لديه . وأخبرنا ابراهيم القاري قال كنت عند المأمون فاحتاج الى الفصد فقال له الاطباء البلد بادر فقال لا بد لي منه ففصدوه فلما كان وقت الظهر حضروا فراموا فجر العرق فاذا هو قد التحم فشدوا الوباط وفيهم ميخايل فما ظهر الدم فقال لهم المأمون عقرتموني فخلوا الرباط وعلى رأسه بختيشوع وابن ماسويه فقال ماتقولون . قالوا ماندرى مانقول قال فاشاروا هناك أن جلالة الخليفة ربما أدهشت الحاذق بالصناعة والمتقدم في الرياسة فاعزلوا ناحية وأبطؤا عليه فقال لاسود كان على رأسه اذن فص الجرح ففعل فنار الدم فقال ادع هؤلاء الحاكة فجأوا وشهدوا خروج الدم قال أين كنتم . قال ابن ماسويه لو فعل جالينوس مازاد عليه . قال وافصد أحمد بن عيسى بالري وهو أميرها فكتب اليه جعفر الشيباني

فَصَدَّتْ بَارِضِ الرَّيِّ طَابَ لَكَ الْفَصْدُ وَفَارَقَ نَجْمَ النَّخْسِ طَالَعُكَ السَّعْدُ
فَأَعْقَبَكَ الْحُسْنَى الَّتِي لَا مَدَى لَهَا وَلَا زَالَ بُرْدِكَ الْجَلَالَةُ وَالْحَمْدُ
تَوَرَّدَتِ الدُّنْيَا بِفَصْدِكَ مِثْلَ مَا بِفَصْدِكَ يَا ابْنَ الْمُصْطَفَى ضَحِكَ الْوَرْدُ
فَلَا أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَا عِشْتَ شَانِيَا وَمِنْ كُلِّ مَا تَهْوَاهُ لَا خَانَكَ الْعَهْدُ
وفي مثله

يَا فَاصِدًا مِنْ يَدِي جَلَّتْ أَيَادِيهَا وَنَالَ مِنْهُ الَّذِي يَرْجُوهُ رَاجِعُهَا

يَدُ النَّدَى هِيَ فَارْفُقْ لَا تَرْقُ دُمُهَا فَنَ آمَالَ طَلَّابِ النَّدَى فِيهَا

قال وكتب الحمدوني الى الفضل بن جعفر وقد افتصد

أَلَا يَا طَيْبَ الْفَصْدِ هَلْ أَنْتَ عَالِمٌ بِمَا صَنَعْتَ كَفَّاكَ فِي كَفِّ ذِي الْمَجْدِ
أَسَلْتَ دَمًا مِنْ سَاعِدٍ يَنْثَنِي بِهَا حَيَاءُ نَدَى فَاقْصِدْ بِذَرْعِكَ فِي الْفَصْدِ
فَدَاوَيْتَ كَفًّا تَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهَا دَوَاءٌ مِنَ الْأَمْحَالِ فِي الزَّمَنِ النَّكَدِ
وَلَمَّا أَنَا الْمُخْبِرُونَ بِفَصْدِهِ أَرَدْتُ بَأَنْ أَهْدِيَ عَلَى قَدَرِ مَا عِنْدِي
وَشَاوَرْتُ فَاسْتَصَحَبْتُ آلِي وَجِيرَتِي فَلَمْ أَرَ أَمْرِي مِنْ ثَنَاءٍ وَمِنْ حَمْدِ

وقال آخر

تُوْنُقُ مِنْ ثَنَائِكَ فِي الْهَدَايَا غَدَاةً أَرَدْتُ فَصْدَ الْبَاسِاقِ
فَلَمْ أَرَ كَالِدُعَاءِ أَنْتُمْ نَفْعًا وَأَجْمَلَ فِي مَكَاوَاةِ الصَّدِيقِ
وَأَكْثَرُ الدُّعَاءِ وَقُلْتُ رَبِّي يَقِيكَ شُرُورَ آفَاتِ الْعُرُوقِ

وقال آخر

عَلَى طَيْبِ أَيَّامِ التَّمَتُّعِ بِالْوَرْدِ فَصَدْتُ فَأَصْحَبْتُ السَّلَامَةَ فِي الْفَصْدِ
وَلَا زِلْتُ لَا زِلْتُ مِنَ اللَّهِ أَنْعَمَ عَلَيْكَ قَرِيرِ الْعَيْنِ مَغْتَبِطِ الْحَسَدِ
لَقَدْ رُمْتُ جَهْدِي طُرْفَةً وَهَدِيَّةً إِلَيْكَ فَكَانَ الشُّكْرُ أَكْثَرَ مَا عِنْدِي

وقال آخر

أَيُّهَا الْفَاصِدُ الْعَلِيلُ الصَّحِيحُ بَأْنِي ذَلِكَ الْجِرَاحُ الْجَرِيحُ
إِنَّ مَنْ عَلَّقَ الذِّرَاعَ مِنَ الْفَصْدِ إِلَى الْجِيدِ ذَاكَ شَيْءٌ مَلِيحُ مَلِيحُ
أَيُّهَا الْفَاصِدُ الْمُهْنَأُ لَهُ الْوَزْ دُوفِي وَجْتِيهِ وَرَدُّ يَلُوحُ

وقال آخر

أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي فَصَدَ الْعِرْ
كَمْ تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ طَيْبًا
وقال آخر أَجْمَلُ جُعِلْتُ فِدَاكَ بِالْجِلْدِ
لَوْ عَايَنْتُ عَيْنَاكَ مُضْطَرِّبِي
وَتَخَشَّعْتُ عِنْدَ الطَّيِّبِ كَأَنَّهُ
كَالنَّارِ مَبْضَعُهُ يَقْلِبُهُ
حَتَّى أَعْتَرَزْتُ عَلَى مُحَاجَزَةٍ
مَا كَانَ مِنَ أَلَمٍ شَعَرْتُ بِهِ
إِذْ سَأَلَ مُنْبَعَثًا سَوَاقِبُهُ
فَسَلَّمْتُ وَالرَّحْمَنُ سَلَامِي
مَا بَعْدَ طَبَّاحِي أَلِافْتَخِرِ
نَصَبَ الْقُدُورِ بِنَفْسِهِ كَرَّمَا
فَأَجَادَ صَنَعَتَهَا وَعَجَّأَهَا
وَنَبِيذُنَا صَافٍ وَمَجَاسِنَا
فَهَلُمَّ وَاحْضَرْ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ
لَا تَجْمَعُنَّ عَلَيَّ مُحْتَسِبًا
قَ وَأَزْخِي دُونِي ذُبُولَ الشَّرُورِ
وَمُنَى الصَّبِّ تَرَاهَاتُ الْغُرُورِ
وَأَمْنٌ عَلَيَّ بِأَجْمَلِ الرَّدِّ
وَتَقَرُّدِي بِالْمَدِّ وَالشَّدِّ
مَوْلَى يُرِيدُ عَقُوبَةَ الْعَبْدِ
وَيُدِيرُ مَقَالَةَ حَازِمِ الْجَنْدِ
وَصَدَدْتُ عَنْهُ أَيَّمَا صَدِّ
إِلَّا كَمَوْقِعِ شَرْطَةِ الْجِلْدِ
كَالنَّارِ خَارِجَةً مِنَ الزَّنْدِ
ذَوَا الْمَنِّ وَالْآلَاءِ وَالْحَمْدِ
فَخَرُّ لِمَنْ قَبْلِي وَمَنْ بَعْدِي
لِنُصَيْبِ شَهَوَاتِنَا عَلَى عَمْدٍ
مِنْ غَيْرِ مَاتَبٍ وَلَا جَهْدٍ
فِي الطَّيِّبِ يَحْكِي جَنَّةَ الْخُلْدِ
وَاجْعَلْ غَدَاكَ سَيِّدِي عِنْدِي
ضَعْفَ الْعَلِيلِ وَوَحْشَةَ الْفَرْدِ

✽ محاسن الوصائف المغنيات ✽

قال الأصمعي . بعث إليَّ هرون الرشيد وهو بالرقعة فحملت إليه فأنزلني الفضل

ابن الربيع ثم أدخاني عليه وقت الغروب فاستدناي وقال : يا عبد الملك وجهت اليك بسبب جاريتين أهديتا اليّ وقد أخذتا طرفاً من الأدب أحببت ان تبرز ما عندهما وتسير على الصواب فيهما ثم أمر باحضارهما فحضرت جاريتان مارأيت مثلهما قط فقلت لاحداهما ما عندك من العلم . قالت ما أمر الله في كتابه ثم ما ينظر فيه الناس من الاشعار والابخار فسألتها عن حروف القرآن فأجابتنى كأنها تقرأ في كتاب الله ثم سألتها عن الاشعار والابخار والنحو والعروض فما قصرت عن جوابي في كل فن اخذت فيه فقلت لها فانشدينا شيئاً . فأنشدت

يَا غِيَاثَ الْبِلَادِ فِي كُلِّ مَحَلٍ مَا يُرِيدُ الْعِبَادُ إِلَّا رِضَاكَ
لَا وَمَنْ شَرَّفَ الْإِمَامَ وَأَعْلَى مَا أَطَاعَ الْإِلَهَ عَبْدٌ عَصَاكَ

فقلت يا أمير المؤمنين مارأيت امرأة في نسك رجل مثلها وخبرت الاخرى فوجدتها دونها فامر أن تصنع تلك الجارية لتحمل اليه في تلك الليلة . ثم قال لي : يا عبد الملك أنا ضجر وأحب أن تسمعني حديثاً مما سمعت من أعاجيب الزمان نفرح به . فقلت يا أمير المؤمنين كان لي صاحب في بدو بني فلان وكنت أغشاه وأتحدث معه وقد أنت عليه ست وتسعون سنة وهو أصح الناس ذهنًا وأقوامهم بدنا فغبت عنه ثم أتيت فوجدته ناحل البدن كاسف البال فسألته عن سبب تغيره فقال : قصدت بعض القرابة فأنفقت عندهم جارية قد طلت بالورس بدنًا وفي عنقها طبل تشد عليه

مَحَاسِنُهَا سِهَامٌ لِلْمَنَايَا مُرَبِّشَةٌ بِأَنْوَاعِ الْخَطُوبِ
تَرَى رَيْبَ الْمَنُونِ بَيْنَ مَهْمَا تُصِيبُ بِنَصْلِهِ مُنْعَ الْقَاوِبِ

قَفِي شَفَقِي مِنْ مَوْضِعِ الطَّبْلِ تَرْتَمِي كَمَا قَدْ أَبْخَتِ الطَّبْلُ فِي جِيدِكَ الْحَسَنَ
هَبْنِي عَوْدًا جَوْفَهُ تَبَخَّتْ مِنْهُ يُتَمَعْنِي مَا بَيْنَ نَحْرِكَ وَالذَّقَنِ
فلما سمعت شعري رمت بالطبل في وجهي ودخلت الخيمة فوقفت حتى
حمت الشمس على مفرقي ولم تخرج فانصرفت قريح القلب فهذا التغير من
عشقي لها . فضحك الرشيد حتى استلقى وقال : ويلك يا عبد الملك ابن ست
وتسعين يعشق . فقلت قد كان هذا . فقال يا عباس اعط عبد الملك مائة ألف
درهم وردّه الى مدينة السلام . فانصرفت ثم أتاني خادم فقال : أنا رسول
ابنتك — يعني الجارية — تقول لك ان أمير المؤمنين قد أمر لها بمال
وهذا نصيبك . فدفع الى ألف دينار ولم تزل تواصلني بالبر الواصل حتي
كانت فتنة محمد وانقطع خبرها وأمر الفضل لي بعشرة آلاف درهم . علي
ابن الجهم . لما أفضت الخلافة الى المتوكل أهدى اليه الناس على أقدارهم
فاهدى اليه ابن طاهر جارية أديبة تسمى قبيحة تقول الشعر وتلحنه وتحسن
من كل علم أحسنه فحلت من قلب المتوكل محلا جايلا فدخلت يوما للعنادمة
وخرج المتوكل وهو يضحك وقال : يا علي دخلت فرأيت قبيحة قد كتبت
على خدها بالمسك جعفر فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيئا . فسبقني
محبوبة وأخذت عودها فغنت

وَكَاتِبَةٌ بِالْمِسْكِ فِي الْخَلْدِ جَعْفَرَا بِنَفْسِي خَطُّ الْمِسْكِ مِنْ حَيْثُ أُثْرَا
لَنْ أَوْدَعْتَ سَطْرًا مِنَ الْمِسْكِ خَدَّهَا لَقَدْ أَوْدَعْتَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ أَنْطَرَا
فِي أَمْنٍ لِمَأْوَاكِ يَظُلُّ مَلِيكُهُ مُطِيعًا لَهُ فِيمَا أَمَرَ وَأَجْهَرَا
وَيَأْمَنُ لِعَيْنِي مَنْ رَأَى مِثْلَ جَعْفَرٍ سَقَى اللَّهُ صَوْبَ الْمُسْكِرَاتِ لَجَعْفَرَا

قال . فنقلت خواطري حتى كاني ما أحسن حرفاً من الشعر وقلت للمتوكل
أقل فقد والله غرب عني ذهني فلم يزل يعيرني به ثم دخلت عليه للمنادمة
بعد ذلك فقال : يا علي أعلمت اني قد غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها
ومنعت أهل القصر من كلامها . فقلت ياسيدي ان غاضبتها اليوم فصالحها
غدا فدخلت عليه من الغد فقال : ويحك يا علي رأيت البارحة في النوم كاني
صالحاً محبوبة . فقالت جاريته . شاطر ياسيدي لقد سمعت الآن في مقصورتها
هينة فقال . ننظر ماهي . فقام حافياً حتى وصلنا مقصورتها فاذا هي تغني

أدورُ في القصرِ كى أرى أحداً أشكو اليهِ فلا يُكَلِّمُنِي
فمن شَفِيعٍ لنا إلى مَلِكٍ قد زارَني في الكَرِّ يا تَبْنِي
حتى إذا ما الصَّبَّاحُ عادَ لنا عادَ إلى هَجْرِهِ ففارقني

فصفق المتوكل طرباً فلما سمعته خرجت تقبل رجليه وتمرغ خدها في
التراب حتى أخذ بيدها راضياً عنها . حدث أبو علي بن الاسكري المصري
واسكر هي القرية التي ولد فيها موسى عليه السلام قال : كنت من جلاس
تميم بن تميم ومن يخف عليه فتى من بغداد تجارية رائعة فئقة الغناء فدعا
بجاسائه وقدمت الستارة فغنت

وبَدَّاهُ مِنْ بَعْدِ مَا نَدْمَلُ الْهُوَى بَرَقَ تَأَلَّقَ مُوهِنًا لِمَعَانِهِ
يَبْدُو كَحَاشِيَةِ الرِّدَاءِ وَدُونِهِ صَعْبُ الزَّرَى مُتَمَنِّعٌ أَرَّ كَانُهُ
وَبَدَّ الْبِنَظْرُ كَيْفَ لَاحَ وَلَمْ يَبْطُقْ نَظَرًا إِلَيْهِ وَهَذُّهُ هَيَّجَانُهُ
فَالنَّارُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ وَالْمَاءُ مَا سَحَّتْ بِهِ أَجْفَانُهُ

قال فاحسنت ماشاءت فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

سَيَسْلُبُكَ مَمَادُونَ دَوْلَةً مُفَضَّلُ أَوَاللهُ مُجْمُودَةٌ وَأَوَاخِرُهُ
ثَنَى اللهُ عَظَمِيهِ وَأَلْفَ شَخْصُهُ عَلَى الْبَرِّ مَذْشَدَّتْ عَلَيْهِ مَا زَرَهُ

فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

أَسْتَوْدِعُ اللهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَرًا بِالكَرَّخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ

فأفرط تميم في الطرب جدا وقال لها : تمنى ماشئت فلك منك . قالت أتمنى

أيها الأمير عافيته وسلامته . فقال والله لا بد أن تمنى . فقالت على الوفاء

أتمنى أن أغنى هذه النوبة ببغداد فتغير وجه تميم وتكدر المجلس وقمنا فلحقني

بعض خدمه فردني فلما وقفت بين يديه قل : ويحك أرايت ما امتحنابه ولا

بد لنا من الوفاء ولم أثق في هذا بغيرك فتأهب لحملها الى بغداد فاذا غنت

هناك قاصر فيها . فقلت سمعا وطاعة ثم أحجبها جارية سوداء تخدمها وتعاد لها

وأمر بناقة لي تحمل عليها هودج وأدخلت فيه وسرنا مع القافلة الى مكة

ففضينا حجنائهم لما وردنا القادسية أتتني السوداء فقالت : تقول لك سيدتي

أين نحن . فقلت لها نحن الآن بالقادسية فأخبرتها فسمعت صوتا قد ارتفع ناشدا

لَمَّا رَأَيْنَا الْقَادِسيَّةَ حَيْثُ مُجْتَمِعُ الرِّفَاقِ

وَشَمَمْتُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَابِ زَنْسِيمَ أَنْفَاسِ الْعِرَاقِ

أَيَقَبْتُ لِي وَلَمْ أُوْجِبْ بِمَجْمَعِ شَمْلٍ وَاتِّفَاقِ

وَضَحِكْتُ مِنْ فَرَحِ اللَّقَا كَمَا بَكَيْتُ مِنَ الْفِرَاقِ

فصاح الناس من أقطار القافلة . أعيدي بالله فلم يسمع لها كلمة فلما نزلنا

الناصرية على خمس أميال من بغداد في بساتين متصلة تبيت الناس فيها ثم

يبكرون ببغداد . فلما قرب الصباح اذ السوداء قد أتتني مذعورة فقالت :

أن سيدتي ليست بحاضرة فلم أجدها ولا وجدت لها ببغداد خبرا . فقضيت حوائجي وانصرفت الى تيم وأخبرته خبرها فلم يزل واجما عليها . واخبار القينات كثيرة فنقتصر منها على هذا القدر

﴿ محاسن الجوارى مطلقا ﴾

قيل .. كان يقال : من أراد قلة المؤونة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر . وكان مسلمة بن مسلمة يقول : عجبت لمن استمتع بالسراى كيف يتزوج المهاثر . وقال : السرور باتخاذ السراى وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ الاماء أمهات أولادهم حتى نشأ فيهم علي بن الحسين بن على رضي الله عنهم وفاق أهل المدينة فقها وعلماء وورعا فرغب الناس في اتخاذ السراى . قال . وليس من خلفاء بنى العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والأمين والباقون كلهم أبناء الجوارى وقد علقت الجوارى لانهن يجتمعن عز العرب ودهاء العجم

(ضده)

إذا لم يكن في منزل المرء حرّة رأى خللاً فيما تولى الولائد فلا يتخذ منهم حرّاً قعيدةً فمنّ لعمرك الله شرُّ القعائد وكان يقال الجوارى تحبز السوق والحرائر تحبز الدور . ومن أمثال العرب لا تمازح أمة ولا تبتك على أكمة .. وقال بعضهم . لا تفتش من تداولتها أيدي النخاسين ووقع ثمنها في الموازين .. وقال . لا خير في بنات الكفر وقد نودي عليهن في الاسواق ومرت عليهن أيدي الفساق

﴿ محاسن الموت ﴾

في الحديث المرفوع . الموت راحة .. وقال بعض السلف . مامن مؤمن
 الا والموت خير له من الحياة لانه ان كان محسنا فالله يقول (وما عند الله
 خير للابرار) وان كان سيئا فالله تعالى جده يقول أيضاً (ولا يحسبن الذين
 كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً) وقال ميمون
 ابن مهران . أتيت عمر بن عبد العزيز فكثرت بكأؤه ومثثلته الله الموت
 فقلت . يا أمير المؤمنين تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يدك خيراً كثيراً
 أحبيبت سنناً وأمت بدعا وفعلت وصنعت ولبقائك رحمة للمؤمنين . فقال
 ألا أكون كالعبد الصالح حين أقر الله عينه له أمره قال (رب قد آتيتني من
 الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث) الى قوله (وألحقني بالصالحين) فمادار
 عليه أسبوع حتى مات رحمه الله .. قالت الفلاسفة . لا يستكمل الانسان
 حد الانسانية الا بالموت لان حد الانسانية انه حي ناطق ميت .. وقال بعض
 السلف .. الصالح اذا مات استراح والطالح اذا مات استريح منه قال الشاعر
 وما الموت إلا راحة غير أنه من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي

وقال آخر

جزا الله عنا الموت خيراً فإنه أبرّ بنا من كل برّ وأزأف
 يعجل تخليص النفوس من الأذى ويؤدني من الدار التي هي أشرف

وقال منصور الفقيه

قد قلت إن مدحو الحياة فأسرفوا في الموت ألف فضيلة لا تُعرف
 منها أمان بقاءه ببقائه وفراق كل معاشر لا يُنصف

وقال احمد بن أبي بكر الكاتب

من كان يَرْجُو أن يَعِيشَ فَإِنِّي
أصْبَحْتُ أَرْجُو أن أَمُوتَ فَاعْتَقَا .
في الموتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَّهَا
عُرِفَتْ لَكَانَ سَبِيلُهُ أنْ يُعْشَقَا

وقال لسكك البصري

نَحْنُ وَاللَّهِ فِي زَمَانٍ غَشْمٍ
لَوْ رَأَيْنَاهُ فِي الْمَنَامِ فَرَعْنَا
أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ سُوءِ حَالٍ
حَقٌّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ أنْ يُهَنَّا

❖ ضده ❖

في الحديث المرفوع اكثر واذا كر هاذم الذات يعنى الموت .. قال الشاعر
يَا مَوْتُ مَا أَجْمَأَكَ مِنْ نَازِلٍ
تَنْزِلُ بِالْمَرَّةِ عَلَى رَغْمِهِ
تَسْتَلِبُ الْعَذْرَاءَ مِنْ خَذَرِهَا
وَتَأْخُذُ الْوَاحِدَ مِنْ أُمِّهِ
وقال وكلٌ ذى غيبة له إيابٌ
وغائب الموت لا يؤوبُ

وقال بعضهم الناس في الدنيا أغراض تنفصل فيها سهام المنايا . وقال ابن
المعتمر الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سفره نحوك . وقال بعضهم
الموت أشد مما قبله وأهون مما بعده . ونظر الحسن رضي الله عنه الى ميت
يدفن فقال ان شيئاً أوله هذا لحقيق أن يخاف آخره وان شيئاً هذا آخره
لحقيق أن يزهد في أوله . وسئل بعض الفلاسفة عن الموت فقال مفازة من
ركبها ضل خبره وعفي أثره . والله أعلم بالعواب واليه المرجع والمآب

بحمد المنزه عن المساوي والانداد تم طبع كتاب المحاسن والاضداد

وكان ذلك في غرة ربيع الاول من شهر سنة ١٣٣٠ هجرية

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فهرست كتاب المحاسن والأضداد

صحيفة	صحيفة
٢٢ محاسن الصبر على الحبس	٢ مقدمة الكتاب
٤٤ ضده	٣ محاسن الكتابة والكتب
٤٧ محاسن المودة	٥ ضده
٤٧ ضده	٩ محاسن الخطابات
٤٩ محاسن الولايات	١٣ ضده
٥٠ ضده	١٤ محاسن المكاتبات
٥١ محاسن الصعبة	١٧ ضده
٥١ ضده	١٨ محاسن الجواب
٥٣ محاسن التطير	١٩ ضده
٥٤ ضده	٢٠ محاسن حفظ اللسان
٥٥ محاسن الوفاء	٢٢ ضده
٥٩ ضده	٢٣ محاسن كتمان السر . وضده
٥٩ محاسن السخاء	٢٨ محاسن المشورة
٦٨ مساوي البخل	٢٨ ضده
٧٧ محاسن الشجاعة	٢٩ محاسن الشكر
٨٦ ضده	٣٢ ضده
٩٠ محاسن حب الوطن	٣٤ محاسن الصدق .
٩٥ ضده	٣٦ ضده
٩٧ محاسن الدهاء والحيل	٣٩ محاسن العفو
١٠١ ضده	٤١ ضده

محيبة

١٠٣ محاسن المفاخرة

١٢٣ ضده

١٢٦ محاسن الثقة بالله سبحانه

١٢٧ ضده

١٢٨ محاسن طلب الرزق

١٢٩ ضده

١٣١ محاسن المواعظ

١٣٢ ضده

١٣٣ محاسن فضل الدنيا

١٣٤ ضده

١٣٨ محاسن الزهد

١٤١ ضده

١٤٢ محاسن النساء النادبات

١٤٧ محاسن النساء الماجنات

١٥٥ محاسن النساء الاعريبات

١٥٧ محاسن النساء المتكلمات

١٦٣ محاسن النساء مطلقا

١٦٨ محاسن التزويج

١٧٣ أمثال في التزويج

١٧٥ في الناشئة من النساء

١٧٩ ما جاء في نساء الخلفاء

١٨٢ ما جاء في المطلقات

محيبة

١٨٧ محاسن وفاء النساء

١٩٤ ضده

٢٠٢ محاسن مكر النساء

٢٠٦ مساوي مكر النساء

٢٠٨ محاسن الفيرة

٢١٧ اخبار وامثال في الباب

٢٢٢ اخبار الشعراء في الباب

٢٢٤ مساوي شدة الفيرة الخ

٢٣٠ محاسن القيادة

٢٦٤ محاسن الديب

٢٦٧ مساوي الديب

٢٧١ محاسن الباء

٢٧٢ ضده في مساوي العنين

٢٧٣ محاسن النبروز والمهرجان

٢٧٨ محاسن الهدايا

٢٨٣ التلطف في الهدايا

٢٨٣ هدايا النبروز

٢٨٦ هدايا الفصد

٢٩١ محاسن الوصائف المغنيات

٢٩٦ محاسن الجواري مطلقا

٢٩٦ ضده

٢٩٧ محاسن الموت . ٢٩٨ ضده

